دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية

مكسيم چوركي

المؤلفات الكاملة

المجلد

٣

الأعماق

الدكتور

فؤاد ايوب   سهيل ايوب

سلسلة عيون الأدب العالمي

٢٣

دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية

مكسيم چوركي

المؤلفات الكاملة

المجلد

٣

الأعماق

الدكتور

فؤاد ايوب

سهيل ايوب

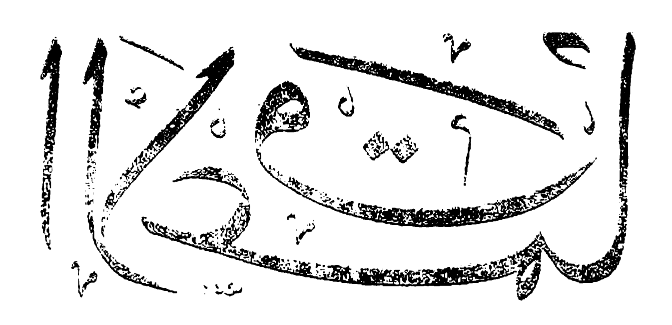
سلسلة عيون الأدب العالمي

٢٣

المشتمل



مسرحية في أربعة فصول



ملحمة [illegible] [illegible] [illegible]

الأشخاص

ميخائيل إيفانوف كوستيليو ، ٥٤ عاماً ، صاحب دار للسكنى.

فاسيليزا كاربوفنا ، ٢٦ عاماً ، زوج ميخائيل .

ناتاشا ، ٢٠ عاماً ، شقيقتها .

أبرام (أبرامكا) ميدفيديف ، ٥٠ عاماً ، عمها ، من أفراد الشرطة .

فاسيلي (فاسكا) بيبيل ، ٢٨ عاماً .

أندريه (أندريوشكا) كليش ، ٤٠ عاماً ، صانع أقفال .

آنا ، ٣٠ عاماً ، زوج أندريه .

ناستيا (ناستكا) ، ٢٤ عاماً ، عاهرة تتجول في الطرقات .

كفاشنيا ، امرأة في حوالي الأربعين تبيع الزلابية .

بوبنوف ، ٤٥ عاماً ، صانع قبعات .

ساتان } حوالي الأربعين من العمر .
الممثل }

البارون ، ٣٣ عاماً .

لوكا ، ٦٠ عاماً ، أحد الحجاج .

أليوشكا ، ٢٠ عاماً ، اسكافي .

كريفوي زوب } حمالان
التتري }

الفَصلُ الأوّل

(قبو أشبه ما يكون بالكهف ، سقفه الثقيل المقبّب قد سوّده الدخان ، وتساقط الجصّ عنه في بعض نواحيه . النور ينحدر من نافذة مربعة الشكل تقوم إلى اليمين ، وثمة فاصل رقيق يفصل الزاوية اليمنى من المسرح إلى غرفة تخصّ بيبيل ، وبالقرب من بابها ينتصب سرير بوبنوف . مدفأة روسية ضخمة تشغل الزاوية العليا اليسرى . وإلى اليسار باب في حائط حجري يقود إلى المطهى ، حيث تعيش كفاشنيا ، والبارون ، وناستيا ... سرير عريض مغطى بقصاصة وسخة من القطن يقبع قريباً من الحائط بين المدفأة وذلك الباب ، ودكك من الأخشاب قد اصطفت على طول الجدران . وإلى الأسفل واليسار من المسرح كتلة كبيرة من الحطب عليها ملزمة حديدية وسندان . وخلف هذا السندان ، على كتلة مماثلة سوى أنها أوطأ ، يقبع كليش ، وهو يجرّب إدخال بعض المفاتيح في قفل عتيق بين يديه . وقد تبعثرت على الأرض حواليه حلقات ملأى بمفاتيح شتى من مختلف القياسات ، وسماور محطم من الصفيح ، ومطرقة ومبارد إلخ ... أما وسط المسكن فيشغله طاولة كبيرة ، ودكتان خشبيتان ، وكرسي بدون مسند ، وكل هذه الأشياء قذرة غير مدهونة . كفاشنيا تقف إلى الطاولة منهمكة في إعداد السماور ، والبارون يمضغ قطعة من الخبز الأسود ،

وناستيا مرتفقة المائدة تتفرّس في رواية ممزّقة . صوت آنا يدفدف من خلف ستر السرير وهي تسعل . بوبنوف متربع على سريره وكتلة ساخنة من الخشب بين ركبتيه ، يحاول قصّ كمة من عدة شرائط ثياب فتّقها من زوج سراويل عتيق ، وإلى الأمام منه قطع من القصاصة والقماش المشمع والورق المقوى اصنع حافات القبعات . ساتان ، وقد أفاق لتوه ، مضطجع على دكته يدمدم . الممثل يسعل ويتنقل جيئة وذهوباً على ظهر المدفأة (١) ، بعيداً عن نظر النظارة . الوقت صباح يوم ربيعي .)

البارون : ثم ماذا ؟

كفاشنيا : وقلتُ له : أوه ، لا تفعل ، يا عزيزي ! وقلتُ : إبق على تلك المسافة بيننا . وقلتُ : لقد سبق لي فجرّبت هذا الشيء ، فلن تستطيع جرّي إلى الهيكل مرة ثانية حتى ولا لقاء مائة درفيل مشوي .

بوبنوف (إلى ساتان) : فيم تقبع هكذا ؟

(ساتان يدمدم من جديد .)

كفاشنيا : وقلتُ أيضاً : أنا ، المرأة الحرة الطليقة ، الطليقة كما هو معلّمها ، أذهب وأسجّل نفسي في جواز شخص آخر ؟ وقلتُ : بحيث أصبح عبدة رجل ما — كلا وحياتك ! أوه ، كلا ! وإن يكن ملك أمير كا عينه !

---

(١) المدفأة الروسية مبنيــة بشــكل متسع بحيث يـكفي سطحها لاستخــدامه كسرير (المترجمان) .

كليش : هذا كذبٌ صراح !

كفاشنيا : ما هذا ؟

كليش : هذا كذب فاضح . لسوف تتزوجين أبرامكا !...

البارون (يختطف كتاب ناستيا ويقرأ العنوان) : « الحب القاتل ... »
(يضحك .)

ناستيا (تسرع خلف الكتاب) : هاتِ ، رُدَّهُ إليّ ! ... تعال ! ...
كفى هذراً !

(البارون يغيظها بتلويح الكتاب في الفضاء .)

كفاشنيا (إلى كليش) : أنت تيس عجوز أحمر الشعر ، لا أكثر ولا أقل!
كذبٌ صراح ! كيف تجرؤ على إهانتي هكذا ؟!

البارون (يضرب ناستيا بالكتاب على رأسها) : أنتِ حمقاء ، ياناستكا !..

كليش : يا للسيدة الرائعة!... لكنك ستتزوجين أبرام على كل حال!...
هذا كل ما تنتظرين ! ...

كفاشنيا : آهٍ ، نعم ، بالطبع ! وماذا أيضاً ؟... تلك الطريقةُ التي
سُقْتَ بها زوجتك إلى الموت ...

كليش : إخرسي ، أيتها الساحرة ! ليس هذا من شأنك !...

كفاشنيا : أو ـ هو ! الستَ تحبُّ سماع الحقيقة !

البارون : لقد شرعا في القتال ! ناستكا ، أين أنت ؟

ناستيا (دون أن ترفع رأسها) : أوه ، أخرج من هنا !

آنا (تطلُّ من خلف الستائر) : لقد بدأ النهار ! فبحقِّ الله... لاتصيحوا...
لا تتشاجروا !

كليش : ها هي تعول ثانية وتعوي !

آنا : كلُّ نهارٍ مقدَّس !... ألا اتركوا المرء يموت في طمأنينة وراحة على الأقل !

بوبنوف : أنتِ لا تخيفين الموت وتطردينه بقليلٍ من الصخب والضجيج...

كفاشنيا (تذهب صوب آنا) : كيف تقوين على الحياة مع هذا العفريت ، أيتها المحبوبة المسكينة ؟

آنا : اتركيني لوحدي ... اذهبي عني ...

كفاشنيا : وَيْ ! ياللضحيَّة ! ... أصدرك أكثر راحة اليوم ؟

البارون : كفاشنيا ! حان وقت الذهاب إلى السوق !

كفاشنيا : حسناً ، سأذهب ! (إلى آنا) أفلا تريدين بعض الزلابيَّـة الحارة الطيبة ؟

آنا : كلا ، شكراً ... فيم إزعاج نفسي بالطعام ؟

كفاشنيا : جرّبيها فقط . طيبة حارة ، وستخفف من حدة سعالك . سأترك لك منها في هذا الطاس ، بحيث تأكلينها وقتما تشعرين برغبة في ذلك . هيا معي ، ياسيدي ! (إلى كايش) بر ـر ـر! أيتها النفس الشريرة ، أنتَ !

(تخرج الى المطهى.)

آنا (وهي تسعل) : ياللسماوات ! ...

البارون (يدفع رأس ناستيا بلطف) : إطرحي هذا ... أيتهـا الحمقاء الصغيرة !

ناستيا (مجمجمةً) : أخرج من هنا !... أنا لا أتعرَّض لك على الاطلاق .

(البارون يصفر لحناً ، وهو يخرج في أعقاب كفاشنيا .)

ساتان (ينهض نفسه في سريره) : من ضربني ليلة البارحة ؟

وبنوف : وأي فارق في ذلك عندك ؟ .

ساتان : ولا فارق ، على ما أعتقد ... لكن ، لماذا ضربوني ؟

بوبنوف : أكنت تلعب بالورق ؟

ساتان : نعم ...

بوبنوف : إذن ، لهذا السبب ضربوك ...

ساتان : ياللأوغاد !...

الممثل (يحكّ رأسه على حافة المدفأة) : سيضربونك حتى الموت في أحد هذه الأيام ...

ساتان : أنت حمار .

الممثل : لماذا ؟

ساتان : أنت لا تقتل إنساناً مرتين .

الممثل (بعد فترة صمت) : لِمَ لا ؟ لست أرى ... مانعاً من ذلك .

كليش (إلى الممثل) : إهبط عن هذه المدفأة وادْنُ مني ههنا ... أخائف أنت من إتلاف يديك ؟

الممثل : هذا ليس من شأنك ...

كليش : مهلاً حتى تجيء فاسيليزا . وسترينَّك مِنْ شأنُ مَنْ هذا !...

الممثل : إلى قاع الجحيم ، أنت وفاسيليزا ! هو دور البارون في التنظيف اليوم ... بارون !

البارون (داخلاً من المطهى) : لا وقت عندي للتنظيف ... فأنا ذاهب إلى السوق بصحبة كفاشنيا .

الممثل : ليس هذا من شأني ... في استطاعتك المضيّ إلى السجن أيضاً دون أن يعنيني ذلك ، لكنه دورك في مسح الأرض ...

فلن أنوب عن أي إنسان في عمله ، أياً كان هذا الانسان ...

البارون : إمضِ إلى الجحيم ! لسوف تمسح ناستكا الأرض ... هاي ، أنت ، أيها الحب القاتل ! استيقظي ! (يختطف الكتاب منها.)

ناستيا (وهي تنهض) : ماذا تريد ؟ أعطنيه ! ما أسخفك ! أنت تبعث على السخرية ، أليس كذلك ؟ ... وتسمّي نفسك جنتلماناً !...

البارون (يناولها الكتاب) : إمسحي الأرض عني ، ياناستيا . أنت فتاة طيبة .

ناستيا (تمضي إلى المطهى) : آهٍ ، طبعاً !... هذا هو المطلوب !

كفاشنيا (على باب المطهى ، موجهةً الحديث إلى البارون) : تعال ! سيدبرون الأمور ههنا من دونك ... هاي ، أنت ، أيها الممثل ! إنهم يرجون ذلك منك ، فكن لطيفاً ... ذلك لن يقصف ظهرك !

الممثل : هَه ... دائماً أنا ... لست أفهم لماذا ...

البارون (يدخل من باب المطهى يضع نيراً خشبياً على كتفيه تتدلى منه سلَّتان تحويان جرَّتين مستورتين بالثياب) : الحِمْلُ أثقل من المعتاد اليوم ...

ساتان : أكان ذلك يستحق منك أن تُولد باروناً ؟

كفاشنيا (إلى الممثل) : هيا أنت ، وباشر المسح الآن !

(تخرج عبْرَ الممرّ ، وتفسح مجالاً للبارون الانطلاق قبلها .)

الممثل (يهبط عن المدفأة) : ايؤذيني استنشاق الغبار . (بفخر واعتزاز) لقد تسمَّمت عضويتي بالكحول ... (يستغرق في التأمل ثم يغرق في أحد الأسرة .)

ساتان : العضوية ... العطونة ...

آنا : أندريه ميتريش ...

كليش : ماذا تبغين الآن ؟

آنا : لقد تركتْ لي كفاشنيا بعض الزلابية...خذها وكُلْها . .

كليش (يتجه نحوها) : وأنتِ ؟ أفلا تريدينها ؟

آنا : كـلا . . فيمَ آكل ؟ يَبْدُ أنك رجلٌ عامل . . . أنت تحتاج إليها ...

كليش : أخائفة أنت ؟ لاتخافي ... لا يمكنك الجزم ... لربما ...

آنا : هيا وكلها . فأنا سيئة الحال ... لأظن أن ذلك لن يتأخر بعد الآن .

كليش (خارجاً): لا تراعي .. قد تتحسَّن صحتك ... ذلك يحدث أحياناً.

(يذهب إلي المطهى .)

الممثل (بصوت عال ، وكأنما استفاق بغتة) : البارحة قال لي الطبيب في العيادة : لقد تسمَّمت عضويتك بالكحول تماماً . هذا ما قال لي ...

ساتان (مبتسماً) : العطونة ...

الممثل (بإصرار) : ليس عطونة ، بل عضو ـ ية ...

ساتان : معميَّات !

الممثل (ملوِّحاً بيده في وجهه) : بلاهة : لكنني أتحدث جاداً ... بلى، إني أفعل ! إذا تسمَّمت عضويتك ... فمن المؤذي إذن أن تمسح الأرض ... أن تستنشق ذلك الغبار .

ساتان : ياللمعمّرين !... هَهْ !

بوبنوف : ما هذا الذي تثرثر به ؟

ساتان : كلمات ... ثم هنالك ذالك ... المطـا ـ مي ...

بوبنوف : وما معنى هذا ؟

ساتان : لا أدري ... لقد نسيت ...

بوبنوف : إذن فيمَ قلتَ ذلك ؟

ساتان : لمجرد التسلية ، ليس غير ... إنني مريض بسائر تلك الكلمات التي يستعملها البشر ، يا أخي ... إنني مريض بسائر كلماتنا ! لقد سمعتها جميعاً أكثر من ألف مرة !...

الممثل : يقولون في هملت : « كلمات ، كلمات ، كلمات! » . تلك مسرحية رائعة ! ... لقد مثّلت فيها دور حفّار القبور ...

كليش (يدخل من باب المطهى) : ومتى ستبدأ بتمثيل دور ماسح الأرض ؟

الممثل : اهتمّ بشؤونك الخاصة فقط !... (يضرب صدره .) أوفيليا ! « ياعروس البحر ، فلتُذكر في ابتهالاتك جميع أخطائي !...» (على مقربة من المسرح تدفّ جلبة أصوات ، وصراخ ، وصفير أنفار من الشرطة . يجلس كليش للعمل ، مثيراً ضجيجاً خشناً بمبرده .)

ساتان : إنني أحب الكلمات الشاذة الغريبة ، المستعصية على الفهم ... عندما كنت صبياً ، أعمل في مكتب للبرق ، قرأت أشياء كثيرة .

بوبنوف : أكنت عامل برق أيضاً ؟

ساتان : نعم ... ثمة مجموعة رائعة من الكتب ... وكمية عظيمة من الكلمات الغريبة المثيرة للفضول ... لقد كنت شخصاً

رفيع الثقافة ... هل وعيت ذلك ؟

بوبنوف : سمعته مئات المرات . وماذا إذا كنت كما تقول ؟... ثمة فارق كبير في الوقت الراهن ... خذني ، أنا ، مثلاً . لقد كنت تاجر فراء مرة ، أملك دكاناً خاصة بي . وكانت يداي مغرقتين في الصفرة دائماً من جراء صبغ الفراء — يداي وذراعاي جميعاً ، حتى المرفقين تماماً . وكنت أعتقد أنهما سيبقيان صفراوين على ذلك الغرار حتى يوم وفاتي . وحسبت أني سأموت بتينك الذراعين الصفراوين ... أنظر إليهما الآن ... وسختان ، ليس غير ... هه .

ساتان : حسناً ، حسناً ، وماذا في ذلك ؟

بوبنوف : لا شيء . هذا كل شيء .

ساتان : ما كان مغزى حديثك بالضبط ؟

بوبنوف : لا شيء على وجه التعيين. تلك كانت فكرة طارئة فقط ... ولقد تبيَّن أنك مهما دهنت الخارج وصبغته ، فسرعان ما يمَّحي كلّه ... يمَّحي بأجمعه . هه !

ساتان : آه ، كم تؤلمني عظامي !

الممثل (يجلس محتضناً ركبتيه) : الثقافة لا تعني شيئاً ، إنما العبرة الموهبة... تعرفت مرة إلى ممثل لا يتمكن من قراءة دوره إلا بتهجّي المقاطع ، وعندما يمثل كان المسرح يهتز ويموج من فرط سرور النظّارة وغبطتهم .

ساتان : بوبنوف ، أقرضني خمسة كوبيكات !

بوبنوف : لا أملك سوى كوبيكين ...

الممثل : كنت أخبرك أنك لا تحتاج إلى سوى الموهبة لتصير ممثلاً . والموهبة تعني الأيمان بنفسك ، بكفاءتك ذاتها ...

ساتان : أعطني خمسة كوبيكات وسأومن بأنك نابغة عبقري، أنك بطل، أنك تمساح ، أنك ضابط شرطـة ... كليش ، أعطني خمسة كوبيكات !

كليش : إذهب إلى الشيطان ! ثمة كثيرون من أمثالك في الجوار .

ساتان : فيمَ الشتم والتجديف ؟ أفـلا أدري أنك لا تحمل كوبيكاً واحداً يكون ملكاً حلالاً لك ؟

آنا : أندريه ميتريش ... لا أستطيع سبيلاً إلى التنفّس ... الجو خَدِرٌ يكتم الأنفاس ويخنقها...

كليش : وماذا أستطيع في ذلك ؟

بوبنوف : إفتح باب الممرّ ...

كليش : أوه ، بلى ، طبعاً . أنت تتربّع هنالك في العالي على سريرك ، وأنا أتجوّر على الأرض هنا ... هيا نتبادل مكانينا ، وافتح الباب على هواك ومُرادك ... إني أحسّ البرد والباب مغلق .

بوبنوف (بهدوء) : لستُ من يريد الباب أن يُفتح ... تلك زوجتك تطلب ذلك ...

كليش (باكتئاب) : ثمة أشياء لا حصر لها في استطاعة المرء أن يطلبها ...

ساتان : يالرأسي كيف يطن ويدوّي ! ... لم ينبغي للناس أن يلحقوا الأذى ببعضهم بعضاً على الفاصولياء ؟

بوبنوف : ليس على الفاصوليـــاء فحسب ، بل على كل ماتبقى من

مساحة الجسد. (ينهض.) سأخرج لابتياع قليل من الخيطان...
ترى، ما الذي يعوق سيّد الدار وزوجته عن المجيء حتى
الآن هذا اليوم ؟... لربما رفسا الدلو ! (يخرج .)
(آنا تسعل. ساتان يضطجع بدون حراك ويداه تحت رأسه.)

الممثل (يتطلع حوله يائساً، ثم يخطو في اتجاه آنا) : أحالتك سيئة ؟

آنا : الجو خانق جداً ...

الممثل : سأصحبك إلى الممرّ خارجاً ، إذا شئتِ . هيا انهضي .
(يساعدها على النهوض ، ثم يلقي بعض الأسمال على كتفيها ،
ويقودها إلى الخارج .) تعالي ، تعالي ... تابري ! أنا الآخر
مريض ... متسمّم بالكحول ...

كوستيليوف (على وصيد الباب) : أخارجان في نزهة ؟ ماأجمل الاثنين ،
الحَمَلُ والنعجة ...

الممثل : تنحَّ عن الطريق ... أفلا ترى أننا مريضان ؟

كوستيليوف: إلى الأمام باستقامة ! على كل حال ... (يهمهم بلحنٍ كنسيٍّ
من خلال أنفه ، ويرنو بريبةٍ في أرجاء الدار ، ويدير رأسه
إلى اليسار وكأنما يرهف السمع إلى شيء يدفّ من غرفة
بيبيل. كليش يخشخش بمفاتيحه عن قصد ، ويشتغل بمبرده ،
وهو يراقب حركات سيد الدار من تحت حاجبيه .)
أتبرد الحديد ؟...

كليش : ما هذا ؟

كوستيليوف: أقول : أتبرد الحديد ؟ (صمت .) همْ-مْ ... والآن ،
ماذا كنت أريد أن أسأل ؟ (يتحدث بسرعة بصوت

مخفوض.) هل جاءت زوجي إلى هنا ؟

كليش : لم أرها ...

كوستيليوف (يسترق الخطا في اتجاه الباب المؤدي إلى غرفة بيبيل .) : أنت تشغل مساحة واسعة لقاء روبلين اثنين في الشهر ،أليس كذلك ؟ سرير وبقعة تجلس فيها أيضاً . هِمْ - مْ ... هذه البقعة تستحق خمسة كوبيكات على الأقل ، وشرفي ... يجب أن نضيف عليها نصف روبل آخر ...

كليش : أضف إليها أنشوطة واخنقني حتى أموت ... تقِفُ على عتبة الموت ، وما تبرح تتصوَّر كيف تبتزّ نصف روبل آخر !...

كوستيليوف: وفيمَ أخنقك ؟ مَنْ يستفيد من هذا ؟ ألا استمرَّ على العيش حسب هواك ، ولسوف يساعدك الله . لكنني سأضيف هذا النصف روبل الزائد على كل حال ... سوف أشتري قليلا من الزيت لقنديل أيقونتي ، وأجعله يحترق أمام الصورة المقدسة ، ذبيحة تكفير عن خطاياي ، وخطاياك أيضاً . فأنت لا تفكر في خطاياك أبداً ، هل تعرف ذلك ؟ آه ، إنك إنسان خبيث، يا أندريوشكا ! ولقد يبست زوجتك بسبب من دناءتك وحقارتك ... ليس مَن يستلطفك ، وليس مَنْ يحترمك ... أبداً تقرض حديدك هذا ، وتضرب على أعصاب الجميع دون تفريق ...

كليش (يصيح) : هل جئت إليَّ لتسمِّم حياتي ليس غير ؟

(ساتان يزمجر)

كوستيليوف: ألا رحمة طيبة ، أيها الرجل الطيب ...

الممثل (يدخل) : لقد ثبتّها خارجاً في الممرّ ، ولففتها جيداً ...

كوستيليوف: إن بين جوانحك قلباً حنوناً ، يا أخي . ذلك شيء حسن ... ولسوف يُحفظ لك كل شيء ...

الممثل : متى ؟

كوستيليوف: في العالم الآخر ، يا أخي ... هنالك يحسب كل شيء وكل عمل مهما يك صغيراً ...

الممثل : لعلك تكافئني على لطفي ههنا بالضبط ، وفي الحال .

كوستيليوف: كيف أفعل ذلك ؟

الممثل : بأن تشطب نصف ما لَكَ عليّ من دين ...

كوستيليوف: وَيْ ! وَيْ ! لسوف تمزح ما طاب لك المزاح ! ... كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال ! الاحسان ! إنه أرفع النعم والبركات ! لكن الدَّيْن دَيْن ، وهذا يعني أن وفاءه واجب ... أما ذلك اللطف الذي أظهرته تجاه رجل عجوز مثلي ، فيجب ألا تفكر بمكافأة عليه !

الممثل : إنك أفّاق ، أيها الهرشف!...

(يداف إلى المطهى . ينهض كليش ويخرج إلى الممر .)

كوستيليوف (إلى ساتان) : المقرض هذا ... لقد هرب. وَيْ ، وَيْ! إنه لا يحبني ...

ساتان : ومن يستطيع سوى الشيطان أن يحبك ؟

كوستيليوف (هازلاً) : والآن ، ما الذي يحملك على إخباري بهذه الأمور ! أنا ، الذي أحبكم حباً جماً ! ... أفلا أعرف أنكم جميعاً إخوتي ،

إخوتي الهُدَرَةُ المساكـــين التعساء ؟... (فجأة ، وبسرعة)
آه ... فاسكا ـ أهو في البيت ؟

ساتان : ألقِ نظرة ...

كوستيليوف (يتجه إلى الباب ويقرعه) : فاسيلي !

(يظهر الممثل على باب المطهى يمضغ شيئاً .)

بيبيل : من هناك ؟

كوستيليوف: أنا ... أنا ، يافاسيلي .

بيبيل : ماذا تريد ؟

كوستيليوف (يتحرك مبتعداً) : إفتح الباب ...

ساتان (دون أن يتطلّع إلى كوستيليوف) : سيفتح الباب، فاذا هي هنالك ...

(الممثل ينفخ بمنخره .)

كوستيليوف (في صوت مخفوض ، قلِقاً) ماذا ؟ من هناك ؟ ماذا قلت ؟

ساتان : أتخاطبني ؟

كوستيليوف: ماذا قلتَ ؟

ساتان : لا شيء على التعيين ... كنت أحدِّث نفسي ...

كوستيليوف: انتبه إلى خطواتك ، يا أخي ! النكتة نكتة ، لكن عندما يكون ثمة مجال لها ! (يقرع الباب بشدة .)فاسيلي !

بيبيل (يفتح الباب) : حسناً ؟ فيم جئت تزعجني ؟

كوستيليوف (يرمق الغرفة خلسة) : أنا ... أنت ترى ... أنت ...

بيبيل : هل أتيت بالمال ؟

كوستيليوف: لي عمل معك ...

بيبيل : هل أتيت بالمال ؟

كوستيليوف: أي مال ؟ انتظر لحظة ...

بيبيل : الروبلات السبعة ثمن الساعة . أين هي ؟

كوستيليوف: أية ساعة ، يافاسيلي ؟ ... ياإلـهي ، أنت ...

بيبيل : فتّح عينك ! لقد رآنا بعض الناس ، وأنا أبيعك الساعة نهار البارحة لقاء عشرة روبلات ـ دفعت من أصل ثمنها ثلاثة ، وتبقّى عليك سبعة . هاتها . فيم وقوفك ههنا ، تحملق فيّ وتطرف بعينيك ؟ إنك تدبُّ في الجوار وتخبُّ مزعجاً الجميع ومقلِقاً راحتهم عوضاً عن السعي وراء أعمالك !

كوستيليوف: هُسْ ـ سْ ـ سْ ! لاتغضب ، يافاسيلي ! فالساعة ... إنها ...

ساتان : بضائع مسروقة !...

كوستيليوف: لا أدنس يديَّ ببضائع مسروقة ا... كيف تجرؤ ...

بيبيل (يمسك به من كتفيه) : فيمَ جئت تزعجني ؟ ماذا تريد ؟

كوستيليوف: أنا ؟ كيف ، لا شيء ... لاشيء البتة . سأذهب ... إذا كنت على هذا ...

بيبيل : أخرج من هنا ، وجئني بالمال !

كوستيليوف (مغادراً) : تفو ! ياهؤلاء البشر الأفظاظ !...

الممثل : إنها مهزلة حقيقية !

ساتان : حسناً ، فهذا ما أحب ...

بيبيل : ماذا كان يفعل هنا ؟

ساتان (ضاحكاً) : أفلا يمكنك تخمين ذلك ؟ يفتش عن زوجته ... لمَ لمْ تضربه ، يافاسيلي ؟

بيبيل : لكأنني أدمر حياتي من أجل مثل هذا الخنزير ! ...

ساتان : ألا أسرع في ذلك . تستطيع إذن الزواج من فاسيليزا ، وتحصيل الآجار منا .

بيبيل : أفلن يكون ذلك مضحكاً ! كنتَ تستطيع، قبل أن أعرف ذلك، أن تبتلعني وكل ما أملك في صفقة رابحة ، وذلك بسبب من طيبة قلبي... (يجلس على أحد الأسرّة.) ذلك الشيطان العجوز... لقد بعثني من رقادي . وكنت غارقاً في أمواج حلمٍ بديع : كنت أصطاد ، فأمسكتُ بسمكةٍ كبيرة من سمك الكركي ! أنت لا تجد سمكة بمثل حجمها إلا في الحلم ! كانت هنالك في آخر الخيط ، وأنا أشد الصنارة ، ثم هيئت الشبكة ... وفكرت أن الوقت قد أزفّ الآن ...

ساتان : تلك لم تكن سمكة كركي . تلك كانت فاسيليزا ...

الممثل : لقد اصطاد فاسيليزا منذ أمد بعيد ...

بيبيل (غاضباً) : تستطيعون جميعاً أن تنطلقوا إلى الجحيم ، وأن تحملوها معكم !

كليش (يدخل من الممر) : ياللصقيع الشيطاني !

الممثل : لماذا لم تُدخل آنا ؟ لسوف تتجمد من البرد خارجاً ...

كليش : لقد نقلتها ناتاشكا إلى المطبخ ...

الممثل : لسوف يطردها ذلك الشيخ الهرم ...

كليش (يجلس وراء عمله) : فتعيدها ناتاشا إلى هنا .

ساتان : فاسيلي ! أقرضني خمسة كوبيكات !...

الممثل (إلى ساتان) : هَهْ !. . خمسة كوبيكات ! فاسيلي ! أقرضنا عشرين كوبيكاً !...

بيبيل : الأفضل أن تسرع ، وإلا طلبوا منك روبلاً كاملاً ! إليكما !

ساتان : ياجبل طارق ! إن اللصوص لاروع الناس على وجه البسيطة !

كليش (مكتئباً) : فالمال ينصبُّ في جيوبهم بسهولة ويسر ! ... وهم لا يكدّون أو يتعبون ...

ساتان : كثرة يتصيَّدون المال في سهولة ، لكنْ قلة يعطونه في سهولة ... العمل ؟ أوجد لي عملاً يكون إنجازه باعثاً على السرور ، ولعلني أشتغل به إذن... وَيْ! . ربما . عندما يبعث العمل على السرور، تكون الحياة إذن فرحةً حقيقية . وعندما يكون العمل واجباً ، تكون الحياة عبودية إذن ! (إلى الممثل) تعال ، أنت ياساردناباﻟوس! فلنذهب !

الممثل : فلنذهب ، يانبوخذنصَّر !... اسوف أشرب كأربعة آلاف سكّير !

(يخرجان.)

بيبيل (يتثاءب) : كيف حال زوجك ؟

كليش : تستطيع أن ترى أن الأمر لن يطول ...

(فترة صمت .)

بيبيل : لتضطرني إلى التساؤل عما يحملك على قرض الحديد هناك دون انقطاع أو توقُّف .

كليش : ماذا تتوقع مني أن أعمل ؟

بيبيل : لا شيء ...

كليش : وكيف أطعم نفسي ؟

بيبيل : الناس الآخرون يتدبرون أمرهم ...

كليش : أولئك ؟ أتسميهم ناساً ؟ أفّاقون! صعاليك ! طغام ! إنني عامل،

ويخجلني مجرّد النظر إليهم . إنني أعمل منذ زمن بعيد ، بمقدار ما تعود بي الذاكرة القهقرى. أفتظنني لن أخرج من هنا ؟ لسوف أفعل عن قريب . قد أمزّق جلد بدني بأكمله ، ولكنني سأفرّ من هـــذا المكان .. انتظر فقط ... لسوف يطوي الموت عمر زوجتي قريباً ... إنني لم أقطن هذا المكان إلا منذ ستة شهور... ولكنها تبدو في عينيّ ست سنوات ...

بيبيل : نحن جميعاً وأنت في الطينة سواء ، فمن العبث التحدّث بمثل هذا الكلام .

كليش : في الطينة سواء ! إنهم مجردون عن الشرف ، عن الوجدان ! ...

بيبيل (بلا مبالاة) : وما جدواهما ـ الشرف والوجدان ؟ لست تستطيع أن تلبس الشرف والوجدان في قدميك عوضاً عن حذائك ... أولئك الذين يملكون القوة يحتاجون ، وحدهم ، إلى الشرف والوجدان ...

بوبنوف (داخلاً) : بر ـ ر ـ ر ! ... لقد تجلّدت .

بيبيل : بوبنوف ! هل فيك وجدان ؟

بوبنوف : ما هذا ؟ وجدان ؟

بيبيل : أجل .

بوبنوف : وما حاجتي إليه ؟ لست ثرياً .

بيبيل : هذا هو رأيي : الأغنياء وحدهم يحتاجون إلى الشرف والوجدان. لكن كليش ههنا يزعق ويصيح . إنه يقول : وجداناتنا...

بوبنوف : ماذا ينوي ؟ أن يستدين وجداناً ؟

بيبيل : أوه ، كلا ، فهو يملك وجداناً رائعاً .

بوبنوف (إلى كليش) : وهكذا أنت تبيعه ؟ إذن فأنت لن تجد زبوناً في هـذا

المكان . لو انه ورق لعب قديم ، فقد كان يثـــير فيّ بعض الاهتمام . . . أللهم إذا قبلت أن تبيعني إياه ديناً .

بيبيل (بلهجة واعظة) : أنت أحمق غبي ، ياأندريوشكا ! لتفعل حسناً ، فيما يتعلق بالوجدان ، باصغائك إلى ساتان ... أو حتى إلى البارون . . .

كليش : ليس شيء يستطيعان أن يعلمّاني إياه ...

بيبيل : إنهما يفوقانك فهماً ... حتى إذا كانا سكرانين ...

بوبنوف : إن الانسان السكران والحكيم في وقت واحد يتمتّع بجدارة مضاعفة ...

بيبيل : يقول ساتان : كلّ إنسان يريد من جاره أن يكون ذا وجدان ، لكن ليس من يريد وجداناً لنفسه ... وهذه هي الحقيقة ...

(تدخل ناتاشا ، يتبعها لوكا وفي إحدى يديه عصا ، يتدلى كيس على كتفيه ، وقد ربط إلى حزامه قصعة من الصفيح وميحَمّاً للشاي .)

لوكا : السلام عليكما ، أيها الشريفان !

بيبيل (يمسّد شاربيه) : آه ، ناتاشا !

بوبنوف (إلى لوكا) : كنا شريفين فيما غبر من الزمان — في العام المنصرم قبل العام الماضي .

ناتاشا : إليكما بنزيل جديد ...

لوكا : سواء عندي ، فأنا أحترم اللصوص النشّالين أيضاً . ليس برغوث إلا ويتمتع بجدارة خاصة به . هذه نظرتي إلى الحياة . فالبراغيث جميعاً سوداء ، وهي جميعاً تقفز قفزاً ... والآن ، أي مكانٍ كنت تنوين إحلالي ، يا عزيزتي؟

ناتاشا (تشير إلى باب المطهى) : هنالك ، يا جدّاه ...

لوكا : شكراً لك ، يا بنيّتي . إذا قلتِ هنالك ، فالى هنالك سأسرع إذن ... كل بقعة دافئة تصلح مأوى للعظام التي نخرتها الشيخوخة وهرّأتها ...

بيبيل : لقد جئتنا بانسانٍ عجوزٍ حذق، يا ناتاشا ...

ناتاشا : إنه أبعث على الاهتمام منك !... أندريه ! زوجك قابعة في مطبخنا ... فتعال خُذها بُعيْدَ هُنيهات .

كليش : حسناً ... سآتي ...

ناتاشا : يجب أن تعاملها الآن بلطفٍ أكثر من السابق ... في وسعك أن ترى أنها راحلة عن قريب .

كليش : أعرف ذلك ...

ناتاشا : لا يكفي أن تعرف . يجب أن تفهم ! لمن المخيف أن يموت المرء ، على كل حال ...

بيبيل : لست بخائف ...

ناتاشا : لا تقل هذا ! ... أيها الفتى الشجاع الرائع !...

بوبنوف (صافراً) الخيوط فاسدة ، فهي رميم !...

بيبيل : وحقّ الآلهة ، إني لست كما تحسبين . لأودّ أن أموت الآن ، في هذه اللحظة بالذات ! هيا تناولي تلك السكين واغرزيها في قلبي ... وسوف أموت من غير أن ألهث. اسوف أكون مسروراً إذن ، إذ أموت بيد نقية ! ...

ناتاشا (وهي خارجة) : مَن ذا تمازح ؟

بوبنوف (وهو ينوح) : هذه الخيطان فاسدة متعفّنة ! ...

ناتاشا (على باب الممر) : لا تنسَ زوجتك ، يا أندريه ...

كليش : حسناً ...

بيبيل : إليك هذه الفتاة !

بوبنوف : إنها رائعة ...

بيبيل : لماذا هي ... هكذا معي ؟ تطردني ... لسوف يلحقها الدمار إذا بقيت هنا ...

بوبنوف : سيلحقها الدمار بسببك ...

بيبيل : لماذا بسببي ؟ فأنا ... أرثي لها .

بوبنوف : مثل الثعلب إذ يرثي للحمل ...

بيبيل : هذا كذب ! إنني أرثي لها كثيراً . فمن العسير عليها أن تعيش هنا . أرى ذلك بنفسي .

كليش : انتظر حتى تقبض عليك فاسيليزا وأنت تثرثر معها .

بوبنوف : فاسيليزا ؟ هِمْ ـ م . ليست ممن يُعطون مقابل لا شيء . تلك سيدة شرسة كاسرة ! ...

بيبيل (يضطجع على السرير) . تستطيعان الذهاب إلى الشيطان معاً !. . زوج من الأنبياء !

كليش : اسوف ترى .. انتظر فقط ...

لوكا (يغني في المطبخ) : يا ظلام الليل ... قد ضاعت الدرب في العتمة ...

كليش (يخطو إلى الممرّ) فيم تنبح وتعول ؟ هذا واحد آخر !...

بيبيل : لكم تبعث هذه الأشياء على الضجر !... ما الذي يحملني على السأم من حين لآخر ؟ أنت تحيا ، يوماً بعد يوم ، وكل شيء رائع يسير على ما يرام . وفجأة ، تبدو وكأنما القشعريرة قد دبّت في

أوصالك . كل شيء مضجر مثل جهنم ...

بوبنوف : الضجر ؟ هه !

بيبيل : نعم ، نعم !

لوكا (يغني) : آه ـ ه ! ولا ممرّ في الظلام !...

بيبيل : هاي! أيها العجوز !

لوكا (يظهر على الباب) : أتناديني أنا ؟

بيبيل : أنت بالضبط ! كفّ عن الغناء .

لوكا (يدخل) : أفلا يروقك ؟

بيبيل : كنت أحبه لو كان جيداً ...

لوكا : وهذا يعني ، بكلام آخر ، أنه غير جيد ؟

بيبيل : لقد حزرت ...

لوكا : أنت تمزح ! ولقد كنت أحسب أن لي صوتاً جيداً ... هذا ما يقع دائماً : يحدّث المرء نفسه ـ أفلست أفعل ذلك حسناً الآن؟ ولكن الآخرين لا يروقهم ذلك ، وكذلك هي الحال ! ...

بيبيل (ضاحكاً) : هذا هو الواقع !...

بوبنوف : لقد قلت لتوّك إنك ضجران ، وهذا أنت تضحك .

بيبيل : أيعنيك هذا ، أيها النّعاب الشيخ !...

لوكا : ماذا ؟ مَنْ يستشعر الضجر ؟

بيبيل : أنا . أنا الذي أستشعر ذلك

(يدخل البارون)

لوكا : دع عنك هذا الكلام ! هنالك فتاة قابعة في المطبخ تقرأ في كتاب وتبكي . صدقوني ! فالدموع تتدحرج على وجنتيها ... ولقد

قلت لها : « ما هذا، ياعزيزتي؟» فقالت : « ياللرجل المسكين ! » .
فقلت : «أي رجل ؟ » . فقالت : «هنا في هذا الكتاب ». والآن،
ما الذي يحمل المرء على تزجية وقته بمثل هذه الأشياء ؟ أحسب
أنه الضجر ، كما هي حالك ...

البارون : إنها حمقاء ...

بيبيل : آه ، البارون ! هل شربت شايك ؟

البارون : نعم ... ثم ماذا ؟

بيبيل : أتود مني أن أرشوك بنصف قدح ؟

البارون : بالطبع ... ثم ماذا ؟

بيبيل : إركع على أربعتك وانبح كالكلب .

البارون : أبله ! من عساك تكون ، أحد هؤلاء التجار ؟ أم أنك سكران
ليس غير ؟

بيبيل : هيا وانبحْ كي تسلّيني ... أنت جنتلمان ... وما كنت ، في غابر
الزمان ، تعتبر البشر من أمثالنا مخلوقات بشرية ...

البارون : حسناً ، ثم ماذا ؟

بيبيل : حسناً ، وها أنا الآن أطلب إليك الركوع على أربعتك والنباح
كالكلب ، ولسوف تفعل ذلك ... هل تسمع ؟

البارون : كما تشاء ، أيها الأحمق ! اسوف أفعل ذلك . لكنني لا أدري أية
غبطة ستستخرج من ذلك . لقد أدركت من تلقاء نفسي مرة أنني
أصبحت أسوأ منك ، وما كنت تحاول أن تحملني على الركوع على
أربع عندما كنت أتفوق عليك ...

بوبنوف : هذا صحيح !

لوكا : وعرضه رائع أيضاً !...

بوبنوف : ما فات قد فات ، ولم يبق سوى زغب الدجاجات ... ليس بينكم جنتلمان واحد هنا ... لقد غُسلتِ الأصباغ جميعاً ، ولم يتبقَّ غير حزمة من القوم العراة ...

لوكا : وبكلمة أخرى ، الجميع متساوون ... لكن ، هل كنت باروناً حقيقة ، يا رجُلي الطيب ؟

البارون : ماذا تسمي هذا ؟ من أنت ، أيها العفريت ؟

لوكا (ضاحكاً) : لقد شاهدت كونتاً ... لقد شاهدت أميراً ... لكنني لم أشاهد باروناً من قبل قط ، وباروناً جربان أيضاً ...

بيبيل (ضاحكاً) بارون ! ليجعلني أخجل ! ...

البارون : لقد حان الوقت لِتَعْقُل ، يا فاسيلي !

لوكا : يا الله ، يا الله ، يا الله ! عندما أنظر إليكم ، يا إخوتي ، والحياة التي تعيشون ـ هِمْ ـ مْ ـ مْ ...

بوبنوف : نفيق ونحن نزمجر ، ننام ونحن نتأوه ـ هذه هي الحياة التي نحيا .

البارون : كنا نعيش بصورة أفضل ذات مرة ... ويْ ، أذكر أني كنت أستيقظ صباحاً ، فتقــدَّم إليَّ القهوة في فراشي ... القهوة بالزبدة ! ... نعم ، هذا ما كان يحدث !

لوكا : إننا كائنات بشرية ، جميعنا ، ولا فرق كيف نتظاهر ، ولا فرق كيف نوحي للآخرين : لقد وُلدنا كائنات بشرية ، وكائنـــات بشرية سنموت ... والناس يزدادون حكمة ، في رأيي ، ويصيرون أبعث على الاهتمام ... وكلما ساء عيشهم ، كلما ازدادوا تعلّقاً بأسباب الحياة .. إن الكائنات البشرية جماعة عنيدة الرأس !

البارون : من أنت ، أيها العجوز ؟ ... ومن أين جئت ؟

لوكا : أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوكا : جميعنا حُجّاج على هذه الأرض ... وقد سمعت بعضهم يقول إن أرضنا هذه ما هي إلا حاجّة في السماوات .

البارون (بحدّة) : فليكن ذلك ما يكون ، إنما أنت - هل تحمل جواز سفر ؟

لوكا (متردداً) : من أنت ، أجاسوس أنت ؟

بيبيل (فرحاً) : حسناً قلت ، أيها العجوز ! لقد غلبك هذه المرة ، أنت أيها البارون !

بوبنوف : ويْ . لقد قال ذلك لجنتلماننا ، حسناً !

البارون (مرتبكاً) : حسناً ؛ وما أهمية ذلك ؟ كنت أمزح ، أيها العجوز ! فأنا الآخر لا أملك واحدة من تلك الأوراق أبداً ...

بوبنوف : كذّاب!

البارون : هذا يعني ... أن لديّ ورقة ... إلا أنها غير صالحة ...

لوكا : جميع هذه الأوراق سواء ... ليس فيها ورقة واحدة صالحة .

بيبيل : بارون ! هيا بنا نشرب شيئاً ...

البارون : ذلك يناسبني ! حسناً ، الوداع ، أيها الشيخ ! ... أنت وغد ، هذه حقيقتك !

لوكا : لا بدّ من جميع أصناف البشر لصنع العالم ...

بيبيل (على الباب المؤدي إلى الممر) : حسناً ، هيا بنا إذا أردت الذهاب !

(يخرج ، فيهرول البارون خلفه .)

لوكا : هل كان بارونـاً حقيقيـاً ذات مرة ؟

بوبنوف : من يدري ؟ إنه من الذوات حقيقة ... وحتى الآن قد يفعل شيئاً على حين غرة يدلك على أنه من الذوات . يبدو أنـــه لم ينسَ عاداتهم بعد .

لوكا : إن الانتماء إلى الذوات ليشبه مرض الجدري ـ قد يبرأ المرء منه ، لكن آثاره تبقى .

بوبنوف : إنه حسن على وجه الاجمال ... ولا بدّ له من النهوض على قائمتيه الخلفيتين من حين لآخر ... مثله مثل جواز سفرك بالضبط ...

أليوشكا (يدخل سكران بعض الشيء ، يصفر ويعزف على الأكورديون) : هاي ، ياسكّان الدار !

بوبنوف : ما بالك تنبح ؟

أليوشكا : اعذرني ... اغفرلي . فأنا مهذّب كثيراً بطبعي ...

بوبنوف : أكنت في حفلة طرب من جديد ؟

أليوشكا : ولقد طربت من صميم قلبي ! لقد طردني الشرطي ميديا كين من المحطـــة قبل برهة قائلاً : « إياك أن أمسك برائحـة منك في الشارع مرة ثانية ... ولا أضأل رائحة ! » هذاما قال لي. لكنني إنسان ذو شخصيـة ! ... ورئيسي يزمجر في وجهي ... لكن، من هو الرئيس؟ تفو ، تفو ! إنه سوء تفاهم محض ! ...إنه سكّير ، رئيسي ذاك ... وأنا إنسان لا يهتم بأي شيء كان . وأنا لا أريد شيئاً ! هأنذا ، شغّلني بنصف روبل . فأنا لا أريد شيئاً! (تدخل ناستيا من المطهى.) أعطني مليوناً ـ فأرفضه ! هل تظن أضحوكة مثلي يسمح بأن يرأسه زميل له هو سكّير بالاضافة ؟ ليس

من حل ! وأنا لا أريد ذلك ! (ناستيا تراقب أليوشكا ، وهي تقف قرب الباب ، وتهزّ رأسها .)

لوكا (بلطف) : يا للاضطراب الذي أوقعت نفسك فيه ، أيها الفتى ؟ ...

بوبنوف : إنها الحماقة الانسانية ! ...

أليوشكا (يرتمي على الأرض) : هأنـذا ، كلوني ! لست أريد شيئـاً ! إنني فتىً يائس ! ألا جربوا وبرهنوا لي من هم أفضل مني ! ... ولِمَ أنـا أسوأ من الآخرين ؟ لقد قال لي ميديا كين ذاك : « سأحطم حنكك إن مسكت بك في الشارع » ! لكنني سأخرج إليـه ! سأخرج وأتمدّد في وسط الشارع ... هيا ، مروا من فوقي ! لست أريد شيئـاً !

ناستيا : يا للمسكين التعس ! ... في طراوة عمره ، ويجعل من نفسه أحمق على هذا الشكل ...

أليوشكا : (يلمحها ، فينهض على ركبتيه) : يا آنسة ! تتكلمين الفرنسية ! شكراً ! شوربة ! (١) لقد كنت في حفلة طرب !

ناستيا (في همسة عالية) : فاسيليزا !

فاسيليزا (تفتح الباب بسرعة ، وتخاطب أليوشكا) : أنتَ هنا ثانية ؟

أليوشكا : كيف حالك ؟ ... كوني لطيفة ...

فاسيليزا : لقد أنذرتك ألا تظهر في هذه الأرجاء ، أيها الجَرْو ... وهـا أنت ذا هنا ثانية !

أليوشكا : فاسيليزا كاربوفنا ! ... سألعب لك لحناً جبائزياً ... أتودّين ؟

( ) بالفرنسية في الاصل الروسي . (المترجمان)

فاسيليزا (تقبض عليه من كتفه) : أخرج من هنا !

أليوشكا (يتحرك في اتجاه الباب) : تمهلي قليلاً ! لا تستطيعين ذلك ! اللحن الجنائزي ... لقد تعلمته حديثاً ! إنه لحن جديد ... تمهلي قليلاً ! لا تستطيعين ذلك !

فاسيليزا : سأريك إنْ كنت أستطيع أم لا ! ... لسوف أثير الشارع بأسره ضدّك ... أيها الكافر ! ... ما زلت صغيراً بعد حتى تُوَعْوِع في وجهي ! ...

أليوشكا (يركض خارجاً) : إنني ذاهب ! ...

فاسيليزا (إلى بوبنوف) : لا تدعني ألتقطه هنا مرة ثانية ، أتسمع ؟

بوبنوف : أنا لست كلب حراستك ...

فاسيليزا : لا يعنيني اللقب الذي تُطلقه على نفسك . إنما لا تنسَ أنك تعيش على الصدقة والاحسان . بكم أنت مدين لي ؟

بوبنوف (ساكن الجأش) : لم أحسب ذلك ...

فاسيليزا : حسناً ، سأحسب أنا !

أليوشكا (يفتح الباب ويصيح) : فاسيليزا كاربوفنا ! أنت لا تستطيعين إخافتي!... لا تستطيعين إخا ـ ف ـ تي ! (يختفي .)

(لوكا يضحك.)

فاسيليزا : وأنت ، من عساك تكون ؟...

لوكا : عابر طريق ... حاج ...

فاسيليزا : أتطلب مأوى ليلة ، أم إقامة طويلة ؟

لوكا : سألقي نظرة فيما حولي أولاً ...

فاسيليزا : جوازَ سفرك !

لوكا : إذا شئت ...

فاسيليزا : أعطنيه !

لوكا : اسوف أسلمه ... إلى جناحك الخاص بالذات .

فاسيليزا : سائح !... شحاذ ... بك شبه أكثر له ...

لوكا (يصعّد زفرة حرّى) : أنت لست بنفس كريمة جداً !...

(فاسيليزا تطيفُ من باب غرفة يبيل . أليوشكا يحك رأسه بباب المطهى ، ويهمس : « هل ذهبتْ ؟ » .)

فاسيليزا (تستدير صوبه) : أما زلتَ هنا ؟

(أليوشكا يختفي وهو يصفر . ناستيا ولوكا يضحكان .)

بوبنوف (إلى فاسيليزا) : ليس هو هنا ...

فاسيليزا : مَنْ ؟

بوبنوف : فاسكا ...

فاسيليزا : أسألتك أين هو ؟

بوبنوف : حسناً ... إنك تشمّين جميع الزوايا ...

فاسيليزا : أنا ألقي نظرة لأرى هل كل شيء على ما يرام ، أفهمت ؟ لمَ لمْ تمسح الأرض حتى الآن ؟ كم مرة أمرتكم أن تحفظوا هذه الأرض نظيفة ؟

بوبنوف : إنه دور الممثل في المسح ...

فاسيليزا : لا يهمني دور مَنْ ! إذا قدم مفتش الصحة وحرّر ضبطاً ، فسوف أرمينّ بكم إلى الطريق جميعاً !

بوبنوف (في هدوء) : ومن أين تتعيشين وقتذاك ؟

فاسيليزا : لا تدَعُوني أجد فتاتة خبز على الأرض ! (تستدير صوب

المطهي ، وتخاطب ناستيا) : فيمَ تتجولين ههنا ؟... وفيم بوزك منتفخ متورِّم ؟ لماذا جمدتِ كالتمثال ـ هيا امسحي الأرض ! أرأيت ناتاشا ؟ ... هل كانت هنا ؟

ناستيا : لا أدري .. لم أرها ...

فاسيليزا : بوبنوف ! أكانت أختي هنا ؟

بوبنوف (يشير إلى لوكا) : لقد جاءت به ...

فاسيليزا : وذلك الآخر ـ أكان في الدار ؟

بوبنوف : فاسيلي ؟ نعم . لقد تحدثت ناتاشا إلى كليش .

فاسيليزا : لم أستوضحك مع مَنْ تحدثت ! القذارة تعجُّ في كل مكان ... الوساخة!عصبة خنازير ! نظِّفوا هذا المكان ... هل تسمعوني؟

(تخرج بسرعة .)

بوبنوف : ما أشد دناءة هذه المرأة !

لوكا : ليس من عبثٍ معها !...

ناستيا : كل إنسان ينتهي إلى الدناءة إذا عاش مثل ... هذه الحياة ... ألا فاربط أي إنسان إلى زوج كزوجها ...

بوبنوف : ليست محكمة الوثاق ...

لوكا : وهل تظلّ متفجرة ثائرة هكذا على الدوام ؟

بوبنوف : على الدوام . لقد رأيت كيف أنها جاءت لرؤية عشيقها ، فلم يكُ موجوداً .

لوكا : ذلك محرج بالطبع . (يتنهد .) يالله ، يا الله ، يا الله ! ما أكثر الناس على غرارها ، الذين يسوسون أرضنا هذه ... جميعهم يهدّدون بأشياء مخوفة ، ورغم ذلك فالنظام مابرح ينقص هنا...

وكذلك النظافة ...

بوبنوف : إنهم يريدون النظـام ، لكن يعوزهم الأدمغة لذلك . ورغم كل هذا ، فلابدّ أن تُمسح الأرض ... ناستيا ! لمَ لا تمسحينها ؟

ناستيا : آه بلى ، طبعاً . ماذا تظنني ، خادمة بيت ؟... (بعد برهة صمت) اسوف أسكر هذا النهار ... سكرة مجنونة .

بوبنوف : هذا يعني شيئاً على الأقل ...

لوكا : لماذا تودين السكر، يافتاتي؟ لقد كنت ، للحظات خَلَتْ ، تبكين وتنوحين ؛ وها أنت الآن تفصحين عن رغبتك في السكر !

ناستيا (متحدية) : سأسكر وأعاود البكاء والنواح من جديد .. هذا كل شيء !

بوبنوف : ليس كثيراً ...

لوكا : ولكن ما هو السبب ؟ البثرة نفسها لها سببها الخاص ...

(ناستيا تهز رأسها في سكون .)

لوكا : يا الله ، يا الله ، يا الله ! مثل هؤلاء الناس ! ماذا سيحلّ بك ؟ ... سأمسح الأرض نيابة عنك . أين الممسحة ؟

بوبنوف : خلف الباب في الممرّ .

(لوكا يخرج إلى الممر .)

بوبنوف : ناستيا !

ناستيا : ماذا ؟

بوبنوف : فيم تركض فاسيليزا خلف أليوشا هكذا ؟

ناستيا : هو يخبر الجميع بأن فاسكا قد مجَّها ، وأنـه سينبذهـــا من أجل ناتاشا ... ليفضلُ جداً لو أذهب من هذا المكان ــ أنتقل إلى مكان آخر .

بوبنوف : ما هذا ؟ إلى أين ؟

ناستيا : لقد سئمت من كل هذا ... وليس من يريدني ههنا ...

بوبنوف (في هدوء) : ليس مَنْ يريدك أيَّان ذهبتِ ... وليس من يريد أي إنسان على وجه هذه الأرض .

(ناستيا تهز رأسها ، تنهض ، وتخرج إلى الممر على مهلتها . يدخل ميدفيديف ، يتبعه لوكا حاملاً المسحة .)

ميدفيديف : لا أظن أني أعرفك ...

لوكا : وهل تعرف البقية كلهم ؟

ميدفيديف : من المفروض فيَّ أن أعرف جميع الناس القاطنين في منطقتي ... لكنني لا أعرفك ...

لوكا : ذلك لأن الأرض بأسرها لا تقع ضمن منطقتك ، أيها العم ... فما تزال بقية صغيرة منها في غير هذه البقعة ...

(يخرج إلى المطهى .)

ميدفيديف (يتجه إلى بوبنوف) : قد لا تكون منطقتي كبيرة جداً ... لكنها أسوأ من أية منطقة كبيرة ... في هذه اللحظة ، وقبل أن أختم النهار ، لم يكن لي بدٌّ من سوْق الاسكافي أليوشكا إلى المحطة ... أتتصور ذلك ؟ يضطجع على الأرض وسط الشارع ، ويعزف على الأكورديون ، ويعوي : « لست أريد شيئاً ! » . وتمرّ الخيول إلى جانبه ، وكل وسائل المرور ... وقد يصدمه شيء أو يسدعسه ... ياله فتى غريراً ! ... لكنني أمسكت به الآن تماماً ... يبدو أنه يحب الشغب والعراك ...

بوبنوف : هل ستأتي لشوط داما ، هذه الليلة ؟

ميدفيديف : حسناً . هِمْ ـ مْ ... وماذا عن ذلك ـ الفاسكا ؟
بوبنوف : لا شيء على التعيين ... فهو كعادته أبداً ...
ميدفيديف : وبمعنى آخر ... يعيش ويرفس ؟
بوبنوف : لم لا ؟ ليس ثمة سبب يدعوه لئلا يعيش ويرفس ...
ميدفيديف (بارتياب) : أتظن ذلك ؟ (يدخل لوكا من الممر حاملاً سطلاً .)
هم ـ م ... ثمة شيء من القيل والقال يدور حول فاسكا ..! ألم يصل إلى أذنيك ؟
بوبنوف : وصل إلى أذنيَّ الشيء الكثير من القيل والقال ...
ميدفيديف : أما عن فاسيليزا ، يبدو ... هل لاحظتَ شيئاً ؟
بوبنوف : أي شيء مثلاً ؟
ميدفيديف : حسناً ... أي شيء على العموم ... لربـــما أنت عارف بذلك وتكـذب عليَّ . فالجميـع يعرفون . . . (بحدة) إياك والكذب الآن !...
بوبنوف : وما يدعوني إلى الكذب ؟
ميدفيديف : ثمة رائحة في الجو ، حسناً ! ياللكلاب القذرة ! يقولون إن فاسكا وفاسيليزا ... أنت تعرف ... لكن ماذا يهمني من ذلك؟ لست والدها ـ لست إلا عماً فقط ... لماذا يهزأون مني ؟ (تدخل كفاشنيا.) ماذا جرى للبشر مؤخراً ـ يضحكون من كل إنسان... آه ، هذه أنت !... لقد عُدْتِ أخيراً !
كفاشنيا : آه ، أيتها القوة البوليسية المحترمة ! بوبنوف ! لقد عاد يضايقني في السوق من جديد ! لن يرضيه شيء سوى الزواج منه !...
بوبنوف : أسرعي ... فيمَ التردّد ؟ فلديه المال ، ولم يصبح كسيحاً بعد ...

ميدفيديف : أنا؟ هُوْ - هُوْ .

كفاشنيا : أنت ، أيها الثعلب العجوز ، أنت ! دار جراحي ! لقد جرّبت ذلك مرة ، ياعزيزي !... الزواج، بالنسبة إلى المرأة ، أشبه بالقفز وسط حفرة في الجليد في شهر كانون الثاني . فاذا هي فعلت ذلك مرة ، لن تنساه أبداً ...

ميدفيديف : صَهْ ، أمسكي لسانك ... فالأزواج مختلفون .

كفاشنيا : لكنني ، أنا نفسي ، لم أتغير . حينما انطفأ نصفي العزيز - ولتشوه نيران الجحيم ! - جلست مغتبطة هناك طيلة نهار كامل منطوية على ذاتي : جلست هناك أحاول أن أصدق حظيّي الطيب ...

ميدفيديف : إذا كان زوجك يضربك من دون سبب معقول ... فيجب أن تسرعي إلى الشرطة وتشكي أمرك إليها ...

كفاشنيا : لقد شكوت الأمر إلى الله ثمانية أعوام . بيد أنه لم يساعدني .

ميدفيديف : ممنوع ضرب الزوجات في هذه الأيام ... فالقانون صارم في هذه الأوقات . القانون والنظام ! يجب ألا تنال إنساناً بالضرب من دون سبب معقول ... إنما تستطيع أن تضرب بعض الناس لحفظ النظام ...

لوكا (يقود آنا إلى الغرفة) : والآن ترين، لقد فعلنا ذلك... كيف كنت تستطيعين السير لوحدك ، وأنت على مثل هـذا الضعف الشديد ؟ أين مكانك هنا ؟

آنا (تدله عليه) : شكراً لك ، ياجَدّ ...

كفاشنيا : هاهي ذي ، امرأة متزوجة . أنظروا إليها !

لوكا : كانت متجمعة على بعضها ، متزعزعة مُقلقلة ، هذه الشيء الصغير

المسكين !... تدبّ عبر الممر ، تحتضن الحائط وتئن ... يجب ألا تسمحوا لها بالخروج هكذا لوحدها أبداً .

كفاشنيا : أغفر لنا ذلك السهو ، ياسيدي الطبيب . يبدو أن وصيفتها مجازة هذا اليوم ...

لوكا : تظنين ذلك هزلاً ... لكن كيف يمكن أن تهملوا إنساناً كهذه ؟ مهما تكن حالها ... فان لكل إنسان قيمة وثمناً ...

ميدفيديف : يجب مراقبتها دائماً . ماذا لو أنها ماتت على حين بغتة ؟ سيكون ذلك مزعجاً ... راقبوها إذن !

لوكا : أنت على حق ، ياشاويش...

ميدفيديف : حسناً ، والآن قد لا أكون شاويشاً بعد ...

لوكا : لا تَقُلْ هذا ! من مظهرك في هذه اللحظة - لأنت بطل حقيقي !

(ضجة وصخب في الممر . يُسمع صدى صيحات مخنوقة .)

ميدفيديف : لا ريبة أن أحدهم يشاغب !

بوبنوف : ليبدو أن الأمر كذلك ...

كفاشنيا : سألقي نظرة ...

ميدفيديف : يجب عليَّ الذهاب أيضاً ... آه ، ياالواجبات ! ولا أستطيع أن أفهم لماذا يجب أن نفرّق بين الناس الذين يتقاتلون! لسوف يقلعون عن القتال من تلقاء أنفسهم حينما يتعبون ... وليفضل أن نتركهم يمزقون بعضهم بعضاً على هواهم ... لسوف يتذكرون هذا ، فلا يسرعون إلى القتال في المرة التالية ...

بوبنوف (ينهض عن دكته) : تحدّث بمثل هذه الأمور إلى رئيسك ...

كوستيليوف (يفتح الباب، ويصيح) : أبرام ! تعال بسرعة !... فاسيليزا تطارد ناتاشا ... لسوف تقتلها ... أسرع !

(يهرع كفاشنيا وميدفيديف وبوبنوف إلى الممر . يهز لوكا رأسه ويتأثرهم بأنظاره .)

آنا : آه ، يا إلهي !... يالناتاشا المسكينة !

لوكا : مَنْ يتقاتل ؟

آنا : صاحبتا الدار ... الشقيقتان !

لوكا (يدنو من آنا) : وفيم تتقاتلان ؟

آنا : لا شيء على التعيين ... كثرة من الطاقة ... هذا كل شيء ...

لوكا : كيف تُسمّين ؟

آنا : آنا ... لقد ظللت أرنو إليك ـ أنت تذكرني بـ ... بوالدي اللطيف الحنون ...

لوكا : لقد جُبْتُ الآفاق كثيراً . هذا ما يجعلني لطيفاً حنوناً ...

(يطلق ضحكة مقرقعة .)

(ستـار)

الفَصْلُ الثّاني

(المشهد ذاته . الوقت مساء . ساتان، وكريفوي زوب ، والبارون، والتتري، يلعبون الورق بالقرب من المدفأة ، وكليش والممثل يتفرجان . بوبنوف وميدفيديف يلعبان الداما على دكة الأول . لوكا جالس إلى آنا. الدار مضاءة بقنديلين ، أحدهما مثبت في الحائط قريباً من لاعبي الورق ، والآخر موضوع على دكة بوبنوف.)

التتري : إني ألعب مرة أخرى . هذا كل ما ألعب ...

بوبنوف : زوب ! غنِّ لنا ! (يغني)

في كل صباح تشرق الشمس . . .

كريفوي زوب: (يشترك في الغناء) :

والعتمة ما برحت تخيِّم في صومعتي . . .

التتري (إلى ساتان): خلِّط الورق ، خلِّطه جيداً . فنحن نعرف كيف تلعب ...

بوبنوف وكريفوي زوب (معاً) :

وحرّاس السجن ، في الليل والنهار ،

آه ـ ه !

يراقبون نافذة غرفتي . . .

آنا : معارك . . . إهانات . . . لاشيء آخر ... هذا كل ما رأيتُ ... كل ماعرفتُ .

لوكا : آه ، ياعزيزتي المسكينة ، لا تغضبي !

ميدفيديف : هاي ، إلى أين تتحرك ؟ انتبه !...

بوبنوف : هِمْ - مْ . حسناً ...

التتري (يهز قبضته في وجه ساتان) : لماذا تخبيء الورق لهم؟... إني أراك !... أنت !

گريفوي‌زوب: إنسَ ذلك ، ياحَسَنْ ! لسوف يخـــدعوننا على أية حال ... بوبنوف ، ابدأ الأغنية من جديد !

آنا : لست أذكر أني حصلت مرة على كفـايتي من الطعام ... فهم يعدّون عليّ كل كسرة من خبز ... ويزعزعون حياتي ... إذ يخافون أن آكل أكثر من الشخص الآخر ... ولم يتوفر لي أبداً من الثياب سوى الأسمال المهترئة ... لماذا ؟

لوكا : أيتها الصبية الصغيرة المسكينة ! هل أنت تعبة ؟ سيكون كل شيء على ما يرام .

الممثل (إلى كريفوي زوب) : إرمِ ذلك الأعرج - أعرجك ، لعنة الله عليك !

البارون : وإننا - الصبي!

كليش : إنها يربحان دائماً .

ساتان : هذه عادتنا ...

ميدفيديف : صبي !

بوبنوف : وأنا أيضاً ... هه !

آنا : إني أموت ...

كليش : والآن ترى ، أنت ترى ! أترك اللعب ! يا أمير ، أترك اللعب ، أقول لك !

الممثل : ألا يستطيع التفكير من تلقاء نفسه ؟

البارون : أنت راقب ، يا أندريوشكا ، وإلا جعلتك تطير إلى الجحيم !

التتري : هيا . وزِّع من جديد . لقد استقت الجرة ماءً وتحطمت ... وأنا أيضاً .

(كليش يهز رأسه ويشير إلى بوبنوف .)

آنا : أظل أفكر : ياالله العزيز ، هل سيستمر مثل هذا العذاب في العالم الآخر أيضاً ؟ هنالك أيضاً ؟

لوكا : كلا ، كلا . إنك لن تتعذبين هنالك ، ياحلوتي . اضطجعي في هدوء . وسيكون كل شيء على مايرام. لسوف تنالين راحة عظيمة هنالك ... اصبري فترة أخرى فقط ... ينبغي لكل امرىء أن يصبر ... كل امرىء على طريقته الخاصة .

(ينهض ويدلف إلى المطهى بخطوات قصيرة سريعة .)

بوبنوف (يغني) :

راقبوا نافذتي كما تشاؤون ...

كريفوي زوب :

فلن أهرب أبـــداً !

(في نغم واحد مؤتلف)

ورغم حنيني القاتل إلى حريتي

آه ــ ه !

السلاسل تُجبرني على البقاء !

التتري (يصيح) : آها ! يضع ورقه في كمّ سترته !

البارون (مرتبكاً نوعاً ما) : حسناً ... أين تريدني على وضعها ـ في أنفك ؟

الممثل (باقتناع) : أنت مخطىء ، أيها الأمير ... أبداً لم يقدم امرؤ ...

التتري : إني أفهم ! تغشّ وتخدع ! لن ألعب !

ساتان (يجمع الورق) : حسناً ، انسحب ، ياحَسَنْ ... أنت تدري أننّا نغش ونخدع . لماذا لعبت معنا ؟

البارون : خسرعشرين كوبيكاً وأثار ضجةَ مَنْ خسر ثلاثة روبلات!... ويسمي نفسه أميراً !

التتري (غاضباً) : جوتا يلعب لعباً جميلاً !

ساتان : لماذا ؟

التتري : ماذا تعني بـ « لماذا » ؟

ساتان : هذا ما قلت ـ لماذا ؟

التتري : ألا تعرف ؟

ساتان : كلا ، لا أعرف . هل تعرف أنت ؟

(التتري يبصق في غضب ، بينا يضحك الآخرون .)

كريفوي زوب (في لطف): أنت مجنون ، ياحَسَنْ ! أفلا تفهم أنهم إذاحاولوا أن يعيشوا بصورةشريفة ، فسوف يجوعون حتى الموت في ثلاثة أيام؟

التتري : وماذا يهمني هذا ؟ جوتا يعيش بصورة شريفة .

كريفويزوب: إنه يضرب على الوتر القديم ذاته . هيـا ، قوموا بنا نشرب الشاي ... بوبنوف ؟

آه ، من قيودي ، من رَسَني الحديديّ...

بوبنوف :

وحارسي الحديديّ القاسي القلب ...

كريفوي‌زوب: هيا ، ياحسن ! (يخرج ، وهو يغني)

وسأقوى على تحطيمها أو خسارتها ...

(التتري يهز قبضته في وجه البارون ، ثم يتبع رفيقه إلى الخارج)

ساتان (ضاحكاً، يخاطب البارون): مرة ثانية، ياصاحب السعادة ، يبدو أنك غرقت في حفرة عميقة المهوى . وَيْ ، جنتلمان مثقف ، ولاتعرف كيف تدسّ ورقة في كم سترتك !

البارون (هازاً كتفيه) : كيف يمكن ارتكاب ذلك ، بحق الشيطان ؟...

المثل : لا موهبة... ولا إيمان بنفسك... بدون هذا ـ لا شيء إطلاقاً . فشل وإخفاق .

ميدفيديف : لقد حصلت على صبي ... لكنك حصلت على صبيين أثناء ذلك... هِمْ - مْ .

بوبنوف : صبي واحد يكفي إذا استعملتَ ذهنك ... أثناء لعبك .

كليش : لقد سبق أن خسرت ، يا أبرام إيفانيتش !

ميدفيديف : دع عنك هذا ... هل تسمع ؟ إخرس !...

ساتان : لقد ربحت ـ ثلاثة وخمسين كوبيكاً !

المثل : ثلاثة كوبيكات منها تعود إليّ ... إنما ماذا أبغي من ثلاثة كوبيكات ؟

لوكا (يدخل من باب المطهى) : حسناً ، لقد طردتم التتري ، أعتقد أنكم ستسعون وراء قليل من الفودكا ؟

البارون : تعال معنا !

ساتان : أحبُّ أن أعرف كيف تكون وأنت سكران .

لوكا : لن أكون أفضل مني في حال رشدي ...

الممثل : هيا بنا ، أيها الشيخ ! سأتلو عليك بعض الأبيات ...

لوكا : ما هذا ؟

الممثل : شعر .

لوكا : شعر ؟ وماذا أفعل بالشعر ؟

الممثل : قد يكون ـ مسلياً ... وقد يكون أيضاً ـ محزناً ...

ساتان : حسناً ، أيها الشاعر ، أقادم أنت ؟

(يخرج بصحبة البارون .)

الممثل : إني قادم ... لسوف ألحق بك ! أصغ إلى هذا ،أيها العجوز . إنه من قصيدة ... لا أذكر مطلعها ... لا أستطيع أن أتذكر ! (يحك جبهته .)

بوبنوف : ههنا يذهب ملكك !... إلعب !

ميدفيديف : كان يجب ألا ألعب هكذا ... ألا لعن الله كل هذا !

الممثل : لقد كنت أملك من قبل ، حين لم تكن عضويتي قد تسمَّمت بالكحول بعد ، ذا كرة قوية جيدة ، أيها العجوز . وأنا الآن ، يا أخي ـ لقد انتهى كل شيء بالنسبة إليَّ الآن . كنت أسقط جدران الدار على الدوام بهذه الأبيات ـ تصفيق هائل . وأنت لاتدري ماذا يعني التصفيق ، ياصديقي... التصفيق يشبه الفودكا! وقد اعتدت الخروج إلى المسرح والوقوف هكذا (يتخذ وقفة خاصة .) كنت أقف هكذا ... و ... (يصمت .) لا أستطيع

أن أتذكر كلمة. ولا كلمة واحدة.قصيدتي الأثيرة..هذا سيىء جداً،
أليس كذلك ، أيها الشيخ ؟

لوكا : ليس في ذلك شيء يبعث على السرور في رأيي ، مادمت قدنسيت
الأثير لديك . إن روحك بأسرها تذوب في الأثير عندك .

الممثل : لقد شربت روحي ، أيها الشيخ ... لقد أفلست ، ياصديقي . . .
ولمَ أفلست ؟ لأني لا أؤمن بنفسي ... لقد انتهيت ...

لوكا : ليس هذا بذي بال . يجب أن تتناول دواءً . فهم يشفون النـاس
من عادة السكر هذه الأيام ، أسامع أنت ؟ يشفونهم بدون
أجر ... لقد فتحوا مركزاً للاستشفاء إذا صحّ التعبـير ، كي
يداوونهم بغير مقابل . أترى كيف يعترفون بأن السكّير مخلوق
بشري هو الآخر ، ولشدّ ما يُسرّون مع ذلك عندما هو يريد
أن يتداوى ؟ إذهب إلى هناك . إذهب رأساً !...

الممثل (مفكراً) : أين؟ أين يقع هذا المركز ؟

لوكا : إنه - في مدينة أو أخرى ... ماذا يسمونه ؟ اسم مضحك ...
لا تقلق ، لسوف أخبرك باسمه على كل حال ... وفي تلك الأثناء
هيىء نفسك . ابتعد عن الفودكا ... واضبط نفسك ، وثابر ...
وإذ ذاك تأخذ الدواء ، وتبدأ الحياة مرة ثانية من جديد ... أفلن
يكون ذلك رائعاً؟ مرة ثانية من جديد . هيا اتخذ قراراً فقط...
مرة واحدة نهائية !...

الممثل (مبتسماً) : مرة ثانية من جديد ... كل شيء من البداية ... أجـل ،
ذلك رائع ... وَيْ .. مرة ثانية من جديد . (يضحك .)
بالطبع ! أستطيع ذلك ! أفلا تعتقد أنني أقوى على ذلك ؟

لوكا : لم لا ! الانسان يقوى على كل شيء، إذا أراده بصورة كافية ...

الممثل (وكأنه استفاق فجأة) : أنت مشعور قليلاً ، ما ؟ حسناً ، وداعاً في الوقت الحاضر . (صافراً) وداعاً ، أيها الشيخ ! (يخرج .)

آنا : جدّاه .

لوكا : ما الأمر ، ياعزيزة ؟

آنا : حدثني ...

لوكا (يقترب منها) : حسناً ، فلنثرثر قليلاً ...

(كليش يراقبها ، ثم يدبّ صوب زوجته في سكون ، يرنو إليها ويقوم بعـــدة حركات من يديه ، وكأن ثمـة شيئاً يريد التصريح به .)

لوكا : ما بالك ، يا أخي ؟

كليش (بصوت مخفوض) : لا شيء ...

(يتجه نحو باب الممر على مهلته ، يقف في جواره لحظات ، ثم يخرج على غير انتظار .)

لوكا (يتبعه بعينيه) : ليصعب ذلك على رجلك .

آنا : ليس في مقدوري أن أفكر فيه الآن .

لوكا : هل اعتاد على ضربك ؟

آنا : ضرباً مرعباً ... وبسببه انتهيت إلى هذه الحال ...

بوبنوف : كان لزوجتي عشيق مرة . وكان ذلك النذل يلعب الداما بصورة رائعة في بعض الأوقات ...

ميدفيديف : هم ــ م ...

آنا : قصّ عليّ قصة ، ياجَد ... إني في حال سيئة جداً ...

لوكا : ليس هذا بذي بال . ذلك قبيل موتك بالضبط ، يا حمامتي . ستسير الأمور على أحسن ما يرام ، يا محبوبتي . تعلقي بأهداب الأمل فقط. وسوف يحدث ذلك هكذا ـ سوف تموتين ، وسيخيم السكون والسلام على كل شيء ... ولن تخافي شيئاً بعد ذلك البتة ، لاشيء على الاطلاق . اضطجعي فقط هناك في سلام ودعة . إنه يريح كل شيء ، الموت يفعل ذلك، وهو لطيف جداً معنا نحن الفانين المساكين. ولهذا يقولون : مت واضطجع في سلام . وتلك هي الحقيقة ، يا حبوبتي ، إذ أين يستطيع المرء أن يترجى الحصول على السلام في هذا العالم ؟

(يدخل بيبيل ، سكران ، يلوح أشعث المظهر ، مكتئب المزاج. يقتعد دكة قرب الباب ، ويقبع ساكتاً لا يأتي حركة .)

آنا : لكن هنالك، في ذلك العالم الآخر ، هل سنقاسي العذاب والآلام، هناك أيضاً ؟

لوكا : لا لن يكون شيء من هذا القبيل .لا شيء البتة . صدقيني . السلام والطمأنينة ، ولا شيء آخر . ولسوف يستدعونك أمام الله الآب ويقولون : أنظر ، يا سيد ، إنها خادمتك المخلصة آنا قد قدمت ...

ميدفيديف (بقسوة) : كيف تعرف ماذا سيقولون هناك ؟ أنت إنسان رائع ، أنت !

(يرفع بيبيل رأسه ويصغي حينما يسمع صوت ميدفيديف .)

لوكا : إذا قلت ذلك ، فلا بدّ أني أعرف ذلك ، يا شاويش...

ميدفيديف (مصالحاً) : هم - م ... لربما أعتقد أن ذلك من شأنك ... رغم أ ني لم أصبح شاويشاً بعد ...

بوبنوف : وثبة مضاعفة ...

ميدفيديف : أيها الشيطان ... آمل أنك ...

لوكا : ويصرو إليـك الله الآب بلطف وحنو ، ويقول : إني أعرف آنا طبعاً ! وسيقول : هيا ، قودوا عزيزتنـا آنا إلى الفردوس رأساً ـ هذا ما سيقول . دعوها تسترح قليلاً ... فأنا أعرف أي حيـاة قاسية قد عاشت... وأعرف مبلغ إعيائها ... فلتُصِبْ آنا السلام والطمأنينة الآن ...

آنا (لاهثة) : أواه ، جدّاه . جدي العزيز ... لو يكون الأمر كما تقول فقط! لو أن .. السلام والطمأنينة .. ولا أحسّ شيئاً ...

لوكا : لن تشعرين بشيء ، يا حلوتي . لا شيء على الاطلاق . صـدقيني . يجب أن تموتي الآن مسرورة فرحة ، لا يراودك الخوف أبداً . الموت ، صدقيني ، يشبه الأم الرؤوم على أطفالها...

آنا : لكن ... لربما ... لربما ستتحسن صحتي ؟

لوكا (يبتسم مستغفراً) : ولماذا ، يا عزيزتي ؟ ألِتُعانينَ الشقاء والعذاب من جديد ؟

آنا : كي أعيش ... قليلاً فقط ... فترة أخرى فقط . ما دمت قلت إنه لن يكون شقاء هناك أبداً ... فأستطيع تحمُّل ذلك ههنـــا... أستطيع ذلك .

لوكا : لن يكون هنالك شيء على الاطلاق . بكل بساطة ...

بيبيل (ينهض) : أنت على حق ... إنما ربما ـ كنت على ضلال وخطأ !

آنا (فزِعَةً) : يا إلهي ! ..

لوكا : ما هذا ، يا فتاي الجميل ؟

ميدفيديف : من يزعق ؟

بيبيل (يتجه صوبه) : أنا ! ماذا في ذلك ؟

ميدفيديف : لا مبرّر لزعيقك وصياحك ، هذا في ذلك! على المرء أن يتصرّف في هدوء ...

بيبيل : أحمق ! ... وعمها ! هو - هو !

لوكا (إلى بيبيل ، بصوت مخفوض) : كفاك زعيقاً ، أسمعت ؟ المرأة تموت ... وفي وسعك رؤية الأرض على شفتيها منذ الآن . لا تتدخل !

بيبيل : احتراماً لك ، يا جدي . أنت إنسان رائع، يا جدي . إنك تكذب بصورة جميلة.. والتمينَ الغبطة أن يصغي المرء إلى خرافاتك. هيا ، تابع أكاذيبك ... ذلك حسن . فليس في العالم أشياء كثيرة تبعث على السرور إذا سمعها الانسان !

بوبنوف : أصحيح أن السيدة تموت ؟

لوكا : يلوح أن ذلك جديٌّ...

بوبنوف : وذلك يعني انتهاء سعالها ... إنها تسعل سعالاً مزعجاً ... وثبة مضاعفة .

ميدفيديف : تفو ! أخذك الشيطان !

بيبيل : أبرام !

ميدفيديف : من قال إنك تستطيع مناداتي باسمي الأول ؟ ...

بيبيل : أبراشكا ! هل ناتاشا مريضة ؟

ميدفيديف : وما أهمية ذلك بالنسبة إليك ؟

بيبيل : يفضل أن تخبرني . هل ضربتها فاسيليزا بقسوة وعنف ؟

ميدفيديف : ليس هذا من شأنك . تلك مسألة عائلية .. من أنت حتى تدس بأنفك ؟

بيبيل : فلأكن من أكون ، فأنت لن تلقي نظرة ثانية على ناتاشا إذا لم أسمح أنا بذلك !

ميدفيديف (يترك الداما) : ماذا تخرق ؟ عمّن تثرثر ؟ إذا كنت تعني ابنة أخي! أووف ! أنت ، يا لص ، أنت !

بيبيل : قد أكون لصاً ، ولكنك لم تضبطني ! ...

ميدفيديف : انتظر فقط ! سأضبطك ... لا بأس ، وعاجلاً ! ...

بيبيل : إذا ضبطتني فسيكون ذلك من سوء حظ برج حماماتك . أفتظنني أحتفظ بفمي مغلقاً أبكم في قاعة المحكمة ؟ سوف يكشف الذئب عن مخالبه . سوف يسألونني : مَنْ علَّمك أن تسرق ودلَّك أين تسرق ؟ ميشكا كوستيليوف وزوجته ! من يشتري حاجيات المسروقة ؟ ميشكا كوستيليوف وزوجته !

ميدفيديف : أنت كذاب . ولن يصدقك أحد !

بيبيل : لسوف يصدقونني لأن تلك هي الحقيقة ! ولسوف أزجّ بك في القضية ، أنت الآخر ... هَهْ ! لسوف أدمركم جميعاً ، أيها الشياطين ! لسوف ترون !

ميدفيديف (خائفاً) : كذاب ! أنت - كذاب ! ماذا ألحقت بك من سوء حتى الآن ؟ وأنت ترمي بنفسك عليّ مثل كلب مجنون كَلِيب !...

بيبيل : ماذا صنعت معي من « حسنات » حتى الآن ؟

لوكا : هم - م !

ميدفيديف (إلى لوكا) : لماذا تنقنق ؟ وما شأنك في ذلك ؟ تلك مسألة عائلية !

بوبنوف (إلى لوكا) : لا تتدخل في الموضوع . فالأنشوطة لا تجدل لي والك .

لوكا (في لطف) : طبعاً . لقد كنت أقول إذا لم يفعل المرء لأخيه شيئاً حسناً ، فهو قد أساء إليه إذن ...

ميدفيديف (يحاول تغيير مجرى الحديث) : آه ! نحن هنا ، نحن نعرف بعضنا جميعاً ، إنما أنت ـ من أنت ؟ (يسرع إلى الخارج ، وقد أرسل خرخرة غاضبة .)

لوكا : إن السيد غاضب ... يا سلام ! إن مشاكلكم هنا ، أيها الأخوة ، لمعقدة بعض الشيء ، كما أرى!

بيبيل : لقد هرول يخبر فاسيليزا ...

بوبنوف : أنت أحمق ، يا فاسيلي. ترينا مقدار شجاعتك !... إحذر جيداً [illegible] حسن أن تكون شجاعاً عندما تذهب إلى الغابات [illegible] الفطور ... إنما لا معنى لشجاعتك [illegible] رأسك في برهة وجيزة .

[illegible]

بيبيل : أوه ، كلا ، [illegible] شاب منحدر من [illegible] قتالاً ، [illegible]

[illegible]

[illegible] من هذا المكان ، أيها الفتى ؟ [illegible]

[illegible]

[illegible]

بيبيل : أنت تمزح ! كلا ، شكراً . [illegible] يرسلوني هم إلى [illegible]

[illegible]

لوكا : استمع إليّ ، واذهب إلى هناك،وهنالك تلق الدرب القويمة فتتبّعها ... هم في حاجة إلى أمثالك هناك .

بيبيل : لقد استبانت لي دربي منذ زمن بعيد . لقد عاش والدي طيلة حياته في السجن ، وأمرني أن أحذو حذوه . وقد أطلقوا عليّ منذ طفولتي الباكرة لقب اللص ، ابن اللص ..

لوكا : إن سيبيريا مكان رائع ، بلاد ذهبية . إذا كان المرء قوياً ، وكان يحمل رأساً جيداً فوق كتفيه ، فسوف يعيش هانىء البال كما في بيته ، مثله مثل الخيار في مكان دافىء ...

بيبيل : علامَ تظل تكذب ، أيها الشيخ ؟

لوكا : إيه ؟

بيبيل : هل أصبت بالصمم ؟ لقد قلت علامَ تكذب !

لوكا : وماذا قلت وكان كذباً في رأيك ؟

بيبيل : كل شيء ... الحياة هنالك جيدة والحياة هنا جيدة ... حزمة أكاذيب . لماذا ؟

لوكا : صدقني الآن ، وانطلق إلى هناك ، وانظر بنفسك . وستشكرني على ذاك . ما معنى تجوالك في هذه الأرجاء ؟ ولم تقلق هكذا وتضطرب طلباً للحقيقة ؟ فكر فقط ـ قد تكون الحقيقة فأساً يهوي على عنقك ...

بيبيل : ذلك سواء بالنسبة إليّ . إذا كانت فأساً ، فلتكن فأساً .

لوكا : فتى أبله . ليس من الحكمة في شيء أن تقتل نفسك على هذا الغرار .

بوبنوف : عمّا تتجادلان هكذا ؟ ... وخلف أية حقيقة تسعى ، يا فاسكا ؟

ولماذا ؟ أفلا تعرف ذلك جيداً من تلقاء نفسك ؟ الجميع يعرفون ذلـك ...

ببيبل : إقلع عن نصائحك ، ودعه يخبرني... أعرني سمعك ، أيها الشيخ- هل الله موجود ؟

(لوكا يبتسم ، لكنه لا يتفوه بحرف .)

بوبنوف : الناس يستمرون في الحياة ... مثل شظايا من الخشب طافية على وجه النهر ... يشيدون لنفسهم داراً ... لكن تلك القطع تستمر في طوفانها ...

ببيبل : حسناً، أثمة إله ؟ تكلم...

لوكا (في هدوء) : هو موجود إن كنت تؤمن به ، وهو غير موجود إذا كنت لا تؤمن به ... كل ما تؤمن به ، فانه وحده موجود .

(ببيبل يرمق العجوز في دهشة صامتة .)

بوبنوف : سأذهب لتناول شايي ... هل من يبغي الذهاب إلى الحانة ؟

لوكا (إلى ببيبل) : فيم تحملق ؟

ببيبل : لا شيء . اسمع . أنت تعني .

بوبنوف : إذن ، سأذهب وحدي . (يصل إلى الباب فيقابل فاسيليزا .)

ببيبل : وبمعنى آخر ، فأنت .

فاسيليزا (إلى بوبنوف) : هل ناستيا هنا ؟

بوبنوف : كلا . (يخرج .)

ببيبل : هه ! ... لقد أتت .

فاسيليزا (تقترب من آنا) : أما برحت على قيد الحياة ؟

لوكا : لا تزعجيها ...

فاسيليزا : علامَ تطوافك في هذه النواحي ؟

لوكا : أستطيع البَراح ... إذا كان ذلك ضرورياً !

فاسيليزا (تدنو من باب غرفة بيبيل) : فاسيلي ، ثمة أمور أودّ أن أبحثها معك ...

(لوكا يمضي إلى الباب عبر الممر، يفتحه ثم يقفله بعنف . ومن ثم يتسلق بحذر إحدى الدكك إلى ظهر المدفأة .)

فاسيليزا (من غرفة بيبيل) : فاسيلي ... تعال إلى هنا .

بيبيل : كلا لن أجيء ... لا أريد أن ...

فاسيليزا : هم - م ... ماذا بك ؟ علام أنت ناقم ؟

بيبيل : لقد انتفخت ... لقد مللت كل هذه الأمور ...

فاسيليزا : مللت مني ؟

بيبيل : أجل ، أنت أيضاً ...

(فاسيليزا تركز غطاء رأسها وتضغط بيديها على صدرها وتذهب إلى ناحية سرير آنا تنظر بانتباه من وراء الستائر ، ثم تعود نحو بيبيل .)

بيبيل : حسناً .. قولي ماذا تريدين ...

فاسيليزا : وماذا عساني أقول ؟ لا أستطيع أن أجبرك على حبي ، أضف إلى ذلك أن السؤال ليس من طبيعتي ... أشكرك لاخباري بالحقيقة ...

بيبيل : أية حقيقة ؟

فاسيليزا : إنك مللت مني ... أو لعلّ ذلك ليس صحيحاً ؟

(ينظر بيبيل إليها في صمت .)

فاسيليزا (متقدمة نحوه) : بماذا تنظر ؟ أفلا تعرفني ؟

بيبيل (متنهداً) : إنك جد جميـــلة ، يافاسيليزا ... (تضع يدها على كتفه ولكنه يدفعها عنه) ... بيد أنك لم تمتلكي قلبي قط . لقد عشت

معك وغير ذلك ... ومع ذلك لم أحبك قط .

فاسيليزا (بصوت منخفض) : هكذا إذن ... حسناً ...

بيبيل : حسناً ! وليس شيء لك أو لي نتكلم عنه . ليس شيء البتة ... إذهبي عني !

فاسيليزا : أوَقعتَ في حب غيري ؟

بيبيل : وماذا يهمك ذلك ؟... إذا وقعت فعلاً فلن أطلب معونتك للحصول على من أحب ...

فاسيليزا (بلهجة ذات مغزى) : مؤسف جداً ... ربما تمكنت من مساعدتك في الحصول عليها .

بيبيل (متشككاً) : الحصول على من ؟

فاسيليزا : إنك تعلم ... فما معنى الادعاء ؟ لقد تعودتُ أن أتكلم بصراحة، يافاسيلي...(مخفضةصوتها) لن أنكر ذلك ـ فأنت قد جرحت شعوري . لكأنك ضربتني بسوطٍ دون سبب أو مبرر ... قلت إنك تحبني ... ثم بغتة ...

بيبيل : ليس بغتة ... لقد مضى على ذلك وقت طويل... إنك بدون قلب، ياإمرأة. يجب أن يكون للمرأة قلب ... نحن الرجال وحوش ... وينبغي لكنَّ ... ينبغي لكنَّ أن تعاملننا ... ماذا علمتني ؟

فاسيليزا : عفا الله عما سلف ... أنا أدري أن الانسان غير حرٍّ في نفسه... إذا لم تعد تحبني بعد ... حسناً ، هذا ما سيكون ...

بيبيل : إذن ، فقد انتهى كل شيء بيننا الآن ؟ وإننا نفترق بسلام دون أية مشاجرات ... هذا حسن .

فاسيليزا : أوه كلا ! انتظر لحظة !. . يجب ألا تنسى أني قد حسبت ،

عندما كنت أعيش معك ، أنك ستساعدني على طرح هذا النير
عن عنقي . حسبت أنك ستساعدني على التخلص من زوجي ،
من عمي ، من كل هذه الحياة ، ولربما لم أحبك أنت كما أحببتُ
هذا الأمل ، وهذه الفكرة التي راودتني ... أفهمت ؟ لقد كنت
أنتظرك كي تنتزعني بعيداً عن هذا كله ...

بيبيل : لستِ مسماراً ، ولستُ كمّاشة ... لقد قلتُ في نفسي إنك
مادمت حاذقة ـ فأنت حاذقة ... أنت امرأة ثاقبة الفكر ...

فاسيليزا (تقترب منه) : فاسيلي، تعالَ ـ ولنساعد بعضنا .

بيبيل : كيف ؟

فاسيليزا (خافضة الصوت ، ولكن بعزم) : شقيقتي ... أنا أعرف أنك تحبها ...

بيبيل : وهذا مايدفعك إلى ضربها هكذا ؟ ما أيقظ عينيك ، يافاسيليزا !
نحّيي يديك عنها !

فاسيليزا : مهلاً ، مهلاً ! لا تشتعلْ . في وسعنا تدبير الأمور في هدوء
وسكينة ، من غير جنون أو خبل ... ما رأيك في أن ـ تتزوجها؟
لسوف أعطيك مالاً بالاضافة ـ ثلاثمائة روبلاً ...وإذا حصلتُ
على غيرها ، فسأعطيك إياها أيضاً ...

بيبيل (يتحرك مبتعداً) : كيف هذا ؟. ولم تفعلينه ؟

فاسيليزا : ساعدني على التخلّص من زوجي . أبعدْ تلك الأنشوطة عن
عنقي ...

بيبيل (يصفر في لطف) : هذه هي القضية إذن ! أو ـ هو ! ذلك حذق منك
حقاً ... زوجك في رمسه ، وعشيقك في السجن ، وأنت ...

فاسيليزا : فاسيلي ! لماذا السجن ؟ لا تفعل ذلك بنفسك ، استأجر إنساناً

آخر، ولنفرض أنك فعلت ذلك بنفسك، فمن سيدري؟ ناتاشا! فكر في القصة ملياً... ستحصل على المال... وتذهب إلى جهة ما... وسأكون حرة إلى الأبد ... أما شقيقتي- فمن الأفضل بالنسبة إليها أن تفرّ من وجهي. ليصعب عليّ أن أراها أمامي طوال الوقت! لقد آلمتني بسببك ... ولست أقوى على كبح زمام نفسي ... فأعذبها ... وأضربها ... أضربها حتى أبكي، أنا نفسي، إذ أرى ذلك ... ولكنني أضربها مع ذلك، وسأظلّ أضربها.

ببيل : أنت وحش! وتتبجّحين بوحشيتك!

فاسيليزا : لا أتبجّح، بل أقول الحقيقة... هلاّ روأت في الأمر، يافاسيلي... لقد طرحوك في السجن مرتين على حساب زوجي ... على حساب نهمه وشرهه... إنه يمتص دمي كالعلق- ولقد ظل يمتصه طوال أربع سنوات. أي صنف من الرجال هذا الزوج؟ ولا ينفك يعصر ناتاشا، ويعاكسها، ويدعوها مستعطية. إنه السمّ بالنسبة إلى الجميع...

ببيل : يالك مكّارة داهية!

فاسيليزا : كل شيء واضح بيّن ... يجب أن تكون أحمق حتى لا تفهم الهدف الذي أبغي إليه ...

(يدخل كوستيليوف بهدوء، ويتقدم زاحفاً.)

ببيل (إلى فاسيليزا) : أخرجي!

فاسيليزا : فكّر في القضية. (تلمح زوجها) ماذا تبغي؟ أجئت تطلبني؟

(يجفل ببيل ويحملق في كوستيليوف بوحشية.)

كوستيليوف: إنني أنا ... أنا! أنتما هنا ... وحيدان! هم - م ... أتتحدثان؟ (يشرع فجأة بضرب الأرض بقدميه، وهو يزعق) لقد أزعجتك، يافاسيليزا! ... أنت، يامستجـــدية الأكف! (يرتعش من الصمت المتحدي الذي استقبلت به هذه الجملة.) آه، يا إلهي،

أغفرلي ... إنك تقودينني إلى الخطيئة من جديد ، ياڤاسيليزا !...
وهأنذا أفتش عنك في كل عطفة ومنحنى ... (يزعق ثانيــة)
حان وقت النوم ! وقد نسيت أن تملئي قنديل الأيقونة أيضاً ، ألا
لعنك الله ! ... أيتها الخنزيرة ! ... أيتها المستعلية !... (يرعّص
إصبعه في وجهها . تتجـــه فاسيليزا ببطء صوب باب الممر ، وهي
ترقب بيبيل عمداً .)

بيبيل (إلى كوستيليوف) : أخرج من هنا ! ... هيا إلى الخارج ! ...

كوستيليوف (صائحاً) : إنني السيّد هنا ! عليك أنت بالخروج ، أيها اللص !

بيبيل (بصوت قاسٍ) : قلتُ لك انقلع ، ميشكا ...

كوستيليوف : لست تجسر! لسوف أرينَّكَ ! لسوف...

(يقبض عليه بيبيل من ياقته ويهزّه . وعلى حين بغتة ، تنطلق
حركة صاخبة تدفدف من فوق المدفأة ، وصوت يتثاءب في نواح
طويل . فيترك بيبيل خناق كوستيليوف الذي يركض عبر الممر
وهو يصرخ .)

بيبيل (يقفز على الدكة التي بجانب المدفأة) : من هناك؟ ... من يرقد على المدفأة؟

لوكا (يمد رأسه) : إيه ؟

بيبيل : أنت !

لوكا : أنا ... أنا نفسي ... آه ، ياإلهي الذي في السماوات !

بيبيل (يقفل باب الممر ، ويفتش عن متراسه حواليه فلا يجده .): ياللشيطان!
إهبط إليّ ، أيها الشيخ !

لوكا : حالاً ! ... إني قادم إليك !

بيبيل (بخشونة) : فيمَ تكوَّمت على المدفأة ؟

لوكا : وأين تريدني أن أتكوّم ؟

بيبيل : يجب أن تذهب إلى الممر .

لوكا : ذلك مكان بارد بالنسبة إلى عجوز مثلي ...

بيبيل : هل سمعت ... شيئاً ؟

لوكا : بالطبع سمعت . وكيف لاأسمع ؟ أو ربما حسبتني أطرش ؟ آه ، أيها الفتى ، إن الحظ يقع في طريقك ... انتَ محظوظ ...

بيبيل (بريبة) : وفيمَ أنا محظوظ ؟

لوكا : محظوظ لأني تكوّمت على تلك المدفأة .

بيبيل : آه ... مالذي جعلك تحدث تلك الضجة الصاخبة ؟

لوكا : لقد بدأت أستشعر دبيب الحرارة في جسدي ، ذلك كل شيء ... ولتستطيع أن تقول أشكرك على ذلك ... فقد جال في فكري أن ذلك الفتى قد ينسى نفسه الآن ... ويستلّ آخـــر أنفاس ذلك العجوز ...

بيبيل : هم ... كنت أستطيع ذلك بالطبع ... ذلك الكريه ...

لوكا : لاغرابة في ذلك سهلٌ سهولة الجلوس على الأرض . ما أكـثر مافعل الناس مثل هذا ...

بيبيل (مبتسماً) : لربما فعلت مثل هذا مرة ؟

لوكا : إسمع ، أيها الفتى ، إسمع إليّ . ابتعد عن تلك المرأة ! إهـرب من طريقها . اهرب ! اهرب ! ... اسوف تطرد رجلها ذاك من هذا العالم بدون مساعدتك ، بل بصورة أفضل مما تستطيع أنت . صمّ أذنيك عن صوت تلك الشيطانة ! ألقِ نظرة عليّ ! أنني أصلـع الرأس .. وما سبب هـذا ، يا ترى ؟ هو تلك النساء جميعاً ...لقد

عرفت من النساء عدداً يفوق مافي فروة رأسي من شعر . . لكن فاسيليزا هذه لأشرُّ من أية بخيلة !

ببيبل : لاأدري هل يتوجب عليَّ تقديم الشكر إليك، أم أنك أنت الآخر ...

لوكا : لاتقل شيئاً ، فأنت لن تجد أفضل من الكلمات التي تفوَّهت بها . أصغ إليَّ - تلك المرأة التي تحب هنا ، احملها تحت ذراعك ، أمام الجميع ، ثم إلى الأمام سر ! أهرب من هنا ! ... وابتعد أقصى ماتستطيع !

ببيبل (مكتئباً) : لو كان المرء يستطيع فقط التمييز بين الناس - من هم الفضلاء بينهم ومن هم الخبثاء . ذلك كثير جداً عليَّ ..

لوكا : أية صعوبة في ذلك ؟ فالمرء لايبقى على حاله دائماً . كل شيء مرتبط بكيف يخفق قلبه ... فهو اليوم فاضل ، وغداً شرير ... لكن إذا كانت تلك الفتاة تؤثر فيك حقاً ، فما عليك إلا الرحيل معها ، وَضَعْ حداً لكل شيء ... وإلا فارحل لوحدك ... فما تزال شاباً بعد . وأمامك متسع من الوقت لصيد امرأة غيرها ...

ببيبل (يمسك به من كتفه) : أخبرني الحقيقة . لماذا تقول كل هذا ؟

لوكا : انتظر برهة ... دعني أذهب . أريد إلقاء نظرة على آنا ، هنالك ... لقد كانت تتنفس بصعوبة كبيرة هذه الفترة الأخيرة ... (يذهب إلى سرير آنا ، ويزيح الستائر ، ويتطلع إليها ، ثم يمسك بيدها . بينما يراقبه ببيبل باهتمام ، مبلبل البال .) فلتحلَّ علينا رحمتك ، ياإلهي ! ألا تقبَّل برحمة نفس عبدتك آنا ...

ببيبل (مخفوض الصوت) : ماتت ؟ ... (يندفع إلى الأمام ، ويرنو إلى السرير دون أن يقترب منه .)

لوكا (بلطف) : لقد انتهى الآن عذابها ... أين هو رجلها ؟

ببيل : أظنه في الخمَّارة ...

لوكا : يجب أن نخبره بما حدث .

ببيل (مرتعداً مقشعراً) : إنني أكره الجثث ..

لوكا (يذهب إلى الباب) : وماذا يُحبُّ فيها ؟ ... يجب أن نحب الجثث الحية ... الجثث الحية.

ببيل : سآتي معك ...

لوكا : هل أنت خائف ؟

ببيل : بل غير مسرور ...

(يهرع خارجاً . المسرح فارغ صامت . أصوات كئيبة مجهولة تجيء من خلف باب الممر . يدخل الممثل .)

الممثل (دون أن يغلق الباب ،وإنما يقف على العتبة، مستنداً الى درفته ،ويصيح): هاي ، أيها العجوز ! أين أنت ؟ لقد تذكرت الآن ! ... فاسمع !

(يتقدم خطوتين مقلقلتين ، ويتخذ لنفسه وقفة مسرحية ،ويتلو):

أيها السادة ! إذا لم يكن ثمة ممر

إلى مملكة الحقيقية المقدسة ،

فاحترموا إذن الشباب الحالم

الذي يغوي أعيننا عن الأرض!

(تظهر ناتاشا على الباب خلف الممثل .)

الممثل : أيها الشيخ !

إذا رفضت الشمس غداً

أن تضيء دروب أرضنا ،

فلسوف يشتغل العالم غداً

بفكرة تنبثق من ذهن مجنون .

ناتاشا (تضحك) : ياللمجنون ! يا للأبله !

الممثل (يستدبر إليها) : آه ، هذه أنت ؟ أين هو ، ذلك الشيخ ؟ ذلك الشيخ المحبوب ؟ ليس إنسان ههنا ، فيما يبدو ... وداعاً ، يا ناتاشا ... الوداع !

ناتاشا (تدخل الغرفة) : لما نقُلْ مرحباً بعد ، وهذا أنت تلقي سلام الوداع .

الممثل (يسدّ عليها الدرب) : إنني – راحل . سأسافر ... لسوف يطلُّ الربيع، ولن أكون عندئذ ...

ناتاشا : دعني أمرّ . إلى أين راحل أنت ؟

الممثل : أفتش عن مدينة – وأتناول دواء. يجب أن ترحلي بدورك ... أوفيليا ، هيا اسرعي إلى الدير !... يبدو أن ثمة مركزاً لمداواة العضويات – للسكارى. مكان رائع للمداواة.. مرمر... أرضه من مرمر ! النور ... الغذاء والنظافـــة . كل هذا من دون ثمن . والأرض المرمرية ، لسوف أعثر عليها ، وأشفى ، ومن جديد... أنا على وشك الولادة من جديد، كما قال الملك... لير ، يا ناتاشا... إن اسمي الأصلي سفيرشوك زافولسكي ، لكن أحداً لا يعرف هذا . ههنا لا أملك أسماء ... تستطيعين أن تفهمي مبلغ ما في هذا من ألم – أن يفقد الانسان اسمه ؟ الكلاب نفسها تملك أسماء ..

(تدور ناتاشا حول الممثل بهدوء، وتقترب من سرير آنا، وترنو إليها.)

الممثل : لا إسم – فلا اسم إذن .

ناتاشا : أنظر ... يارفيقي ... لقد ماتت ...

الممثل (يهز رأسه) : لا يمكن هذا ...

ناتاشا (تعود أدراجها) : إنها الحقيقة ... أنظر ...

بوبنوف (على الباب) : أنظر إلى ماذا ؟

ناتاشا : لقد ماتت... آنا .

بوبنوف : لقد انقطعت عن السعال إذن . (يخطو إلى سرير آنا ، يرمي نظرة، ثم يتجه إلى مكانه .) يجب إخبـــار كليش ... ذلك من شأنه .

الممثل : سأذهب ... سأقول ... لقد فقدت اسمها ! ... (يخرج .)

ناتاشا (من وسط الغرفة) : وأنا أيضاً ... في يوم من الأيام ... على هذا الغرار... مطرودة إلى قبو ... سأهوي إلى ما تحت الأقدام .

بوبنوف (ينشر بعض الأسمال على أخشاب دكته) : ماهذا ؟ ماذا تغمغمين ؟

ناتاشا : لقد كنت أحدث نفسي ...

بوبنوف : أتترقبين فاسكا ؟ إفتحي عينيك ! لسوف تدقـــين عنقك بسبب فاسكا ذاك ...

ناتاشا : أيعنيك كثيراً على أي شيء دققت عنقي؟ فليكن هو ... إنه أفضل من أيّ سواه بكل تأكيد ...

بوبنوف (يضطجع) : ذلك شأنك ...

ناتاشا : إن موتها شيء حسن بكل تأكيد ... لكنه يثير الشفقة ... يا للسماوات ... فيم يعيش الانسان ؟

بوبنوف : الجميع على حدٍّ سواء: يولدون، يعيشون ، يموتون... لسوف أموت... وأنت أيضاً ... ففيم الشفقة ؟

(يدخل لوكا ، التتري ، كريفوي زوب ، وكليش . كليش آخر من يدخل ، يسير على مهلته . الجميع ينحنون .)

ناتاشا : هس ـ س ـ س ! آنا ...

كريفوي زوب: لقد سمعنا بالأمر ... فلتنعم بالسلام ، الآن وقد ماتت .

التتري (إلى كليش) : ينبغي جرّها إلى الخارج . ينبغي جرّها إلى الممر . لا يمكن أن نترك أمواتاً ههنا . الأحياء ينامون هنا ...

كليش (في صوت هادئ) : سنجرّها خارجاً ...

(كلٌّ يمضي إلى فـــــراشه . كليش يرنو إلى زوجته من فوق أكتاف الآخرين .)

كريفوي‌زوب (إلى التتري) : أتظن رائحتها ستنتشر ؟ ليس فيهاما تفوح رائحته... فلقد جفّت وهي على قيد الحياة بعد ...

ناتاشا : يا إلهي الطيب ، يمكنك أن ترحمها على الأقل ! ليراود المرء أن أحدكم على الأقل سيتفوّه بكلمة طيبة ! ماأروعكم جميعاً !

لوكا : لاتغضبي ، ياعزيزتي ... لابأس . كيف يُنتظر منـا الشفقة على الأموات ؟ إننا لا نشفق على الأحياء ولا نرحمهم ... إننا لانشفق حتى على أنفسنا ، وها أنت تتحدثين عن الأموات !

بوبنوف (يتثاءب) وبالاضافة ، فأنت لاتخيفين الموت بالكلمات ... تستطيعين أن تخيفي المرض ، أما الموت فلا ! ...

التتري (مبتعداً) : استدعوا الشرطة ...

كريفوي‌زوب: الشرطة بكل تأكيد . كليش ! هل أخبرت الشرطة ؟

كليش : كلا ... سيجبروني على دفنهـــا ... ولست أملك غير أربعـين كوبيكاً .

كريفوي‌زوب: في هذه الحال ، استدنْ شيئاً ... نستطيع أن نجمع لتمتّة – خمسة كوبيكات من كل فرد – أو أي شيء يستطيع المرء أن يدفعه . إنما أسرع وأخبر الشرطـــة وإلا ظنوا أنك قتلتها أو ...

(يستعد الاضطجاع إلى جانب التتري .)

ناتاشا (تذهب إلى بوبنوف) : سأحلم الآن بها ... إنني أحلم كثيراً بالأموات . إنني أخشى الذهاب إلى البيت وحيدة ... فالظلمة دامسة في الممرّ ...

لوكا (يتبعها) : يجب أن تخافي من الأحياء فقط ، صدقيني ...

ناتاشا : قدني إلى الخارج ، ياجدّاه ...

لوكا : تعالي ، تعالي ... سأصحبك . (يخرجان . فترة صمت .)

كريفويزوب: أو-هو-هو! حسَن ! سوف يكون الربيع عمّا قريب ، يارفيقي ! وإذ ذاك نتمتع بحياة دافئة . إن الموجيك في القرية يصلحون منذ الآن محاريثهم وزحافاتهم . فهم يستعدون لقلب التربة . ويْ . ونحن ؟ إيه ، حسن ... إنه يشخر ، ذلك التتري الملعون ...

بوبنوف : إن التتريين ينامون جيداً ...

كليش (يقف وسط الدار ويتطلع حواليه مكتئباً) : ماذا أفعل الآن ؟

كريفويزوب: نمْ ، هذا كل ما في الأمر .

كليش (في هدوء) : وماذا عنها ؟...

(لا أحد يجيب . يدخل ساتان والممثل .)

الممثل (يصيح) : أيها الشيخ ! تعال ، يا كينت النبيل ؟

ساتان : إن ميكولكا - ماكلاي قادم ؟... هه !

الممثل : لقد عزمت وقررت ! أيها الشيخ ! أين تلك المدينــــة ؟... أين أنت ؟

ساتان : فاتا مورجانا ! إن العجوز قد كذب عليك ... ليس ثمة ما يشبه

هذا . لا مدينة ، ولا شعب ... لا شيء على الاطلاق !

الممثل : كذّاب !

التتري (يقفز من سريره) : أين المعلم ؟ سأذهب إلى المعلم . إذا لم نكن نستطيع النوم ، فلن ندفع مالاً .. ناس ميتون ... وسكارى ... (يخرج بسرعة . ساتان يصفر له .)

بوبنوف (ناعساً) : هيا إلى الفراش ، يافتيان . كفوا عن الضجيج ... مفروض فينا أن ننام ليلاً .

الممثل : آه ! ههنا يضطجع جثمان ميت!...«لقد اصطادت شبكتنا جثة!...» شعر ... لبيرانجيه !

ساتان (يصيح) : إن الجثة لا تسمع شيئاً ؟ إن الجثة لا تحس شيئاً ! فصيحوا وازعقوا ! فالجثة لا تسمع شيئاً ! ..

(يظهر لوكا على عتبة الباب .)

(ستار)

الفصل الثالث

(ساحة خلفية ملأى بالأنقاض ، مفروشة بالأغصان والأعشاب . جدار مرتفع بلون الآجر الناري يسدّ السبيل إلى رؤية قطعة من السماء . على طول الجدار تنمو أدغال قديمة . إلى اليمين ينهض جدار أسود لبناء خشبي ـ لعله مخزن أو إسطبل . إلى اليسار ينهض منزل كوستيليوف بقبوه ، إنه رمادي اللون متداع ، قد تساقط الجصّ عن جوانبه . وهو يقع في إحدى الزوايا ، بحيث تبلغ زاويته البعيدة مركز المسرح تقريباً ، فلا تترك سوى ممر ضيق بين الحائط الآجري والمنزل . ثمة نافذتان في المنزل ، إحداهما للقبو تقع تحت المسرح، والأخرى تعلو عليها قرابة ستة أقدام ، وتقع فوق المسرح . على طول جدار المنزل تضطجع كتلة خشبية يبلغ طولها اثني عشرة قدماً تقريباً ، وترتمي مركبة خشبية قديمة مقلوبة رأساً على عقب . ألواح خشبية بالية وأحطاب تشكل كوماً عالياً قرب البناء إلى اليمين . النهار على وشك الأفول ، وشعاعات الشمس المتطفّلة تضيء الجدار الآجريّ ببريق أحمر . إنه مطلع الربيع ، والثلج قد ذاب منذ فترة قصيرة ، فالأغصان السود ما برحت عارية من

كل برعم أو ورقة خضراء . ناتاشا وناستيا تقتعدان الكتلة الخشبية . لوكا والبارون يجلسان على المزلجة . كليش يضطجع على كوم الأخشاب إلى اليمين . يُرى وجه بوبنوف في نافذة القبو .)

ناستيا (مغلقة العينين ، تهزّ رأسها في إيقاع غنائي ملائم لقصتها) : وهكذا جاء، والليل في مؤتنفه ، إلى الحديقة ، إلى المنزل الصيفي ، مثلما اتفقنا.. وكنت أنتظره منذ زمن طويل ، حتى كنت أرتعش خوفاً وحزناً . وكان يرتعش بدوره، أبيض اللون كرقعة الورق العذراء، يحمل في إحدى يديه غدّارة ...

ناتاشا (وهي تمضغ حبوب عبّاد الشمس) : أرأيت ! لا ريب إذن أن ما يقال عن كون الطلبة مفعمين يأساً صحيح ...

ناستيا : وقال لي بصوت خائف : يا حبي الثمين ...

بوبنوف : هُوْ - هُوْ ! ثمين ؟

البارون : إخرس ! إذا لم يعجبك ذلك فلا تسمع إليه ، لكن لا تتدخل في كذبها ... تابعي !

ناستيا : وقال لي : يا ثمينتي ، يا محبوبتي ! وقال: إن أهلي لن يسمحوا لي أبداً بالزواج منك ... وقد هددوني بأن يلعنوني إلى الأبد بسبب حبي لك .. وقال : ولذا يجب أن أنتزع حياتي بيدي ... وكان يحمل تلك الغدّارة الكبيرة المحشوة بكل ذلك الرصاص ... وقال لي : الوداع ، يا هوى فؤادي. لا سبيل إلى تغيير عزمي. لا أستطيع

الاستمرار في الحياة من دونك ! فقلت له : أواه ، يا صديقي المعبود .. يا راوول ! ...

بوبنوف (في دهشة) : ماذا ؟ ما اسمه ؟ جراوول ؟

البارون (مهمهماً) : لقد غاب عن بالك ، يا ناستنكا ! ... فقد كان جاستون في المرة السابقة !

ناستيا (تقفز على قدميها) : إخرس ، يا جيفة ! أنت ... أيها الجرو الشريد ! لكأنك تفهم معنى الحب ؛ الحب الحقيقي . لكنني – قد عرفته – الحب الحقيقي ! (إلى البارون) وأنت ، أيها اللا شيء التافه !.. أيها الانسان المتكلّف . المدعي احتساء القهوة في فراشك ! ...

لوكا : انتظر لحظة ! لا تبدأ تتدخل الآن ! دعها تكمل قصتها . ليست الكلمات هي الشيء المهم، بل ما يجثم خلف هذه الكلمات – هذا هو الأساس . تابعي ، يا فتاتي ، ولا تهتمي به .

بوبنوف : غراب يتحلّى بريش طاووس ... حسناً ، فلنسمع البقية .

البارون : ما هي البقية ؟

ناتاشا : لا تأبهي لهم ... فمن هم هؤلاء ؟ إنهم يغارون فقط لفراغ جعبتهم من أقاصيص يروونها عن أنفسهم ..

ناستيا (تقعد ثانية) : لا أريد أن أكمل . لن أخبركم بأي شيء بعد الآن ...ما داموا لا يصدقون ، بل يضحكون مني ... (تتوقف عن الحديث بغتة ، وتصمت لحظة ، ومن ثم تغلق عينيها ، وتتابع الحديث بصوت عالٍ منفعلٍ ، وهي تضرب بيدها وتلوّح وكأنها تصغي إلى ألحان موسيقية تتدحرج من البعيد) . وقلت له : يافرح حياتي ! يا شمس نفسي ! وأنا لا أستطيع أيضاً الاستمرار في الحياة

من دونك ... لانني أحبك بكل جوانحي ، وسأظل متيمة بهواك طالما هذا القلب يخفق بضرباته في جوف هذا الصدر . إنما لا تضع حداً لحياتك ، التي يريدها أهلك الأعزاء ، يحتاجون إليها حتى هذه الدرجة بما أنك الفرح الوحيد الذي يملكون ... إطرحني عنك ! ليفضل أن تتدمر حياتي شوقاً إليك وحنيناً ، يا أعز محبوب ! إنني وحيدة . إنني ـ كذلك . ليفضل أن تتحطم حياتي. فذلك سواء عندي ! فأنا لا أساوي شيئاً ... ولم يتبق لي شيء .

(تغطي وجهها بيديها وتنتحب بصمت .)

ناتاشا (تستدير ناحية ، وتتكلم بصوت هامس) : لا تبكي .. يجب ألا تبكي .

(لوكا يبتسم ويمسح على رأس ناستيا .)

بوبنوف (ضاحكاً) : هو ، وأنجبت ولداً ، ما ؟

البارون (ضاحكاً هو الآخر) : أتظن ذلك حقيقة ، يا جد ؟ ذلك كله مستوحى من كتاب « الحب القاتل ».. يا للهراء العزيز ! دعها لوحدها !

ناتاشا : وما يهمك من هذا ؟ يفضل أن تحتفظ بفمك مغلقاً ، يا من رأى الله من المناسب أن يخلقك على هذه الصورة !

ناستيا (مغتاظة) : أيتها النفس الضائعة ! أيها اللا شيء التافه ! أين قلبك ؟

لوكا (يمسك ناستيا من يدها) : سنغادر هذا المكان ، يا عزيزتي . فلا تجعليه يضايقك . أنت على حق ، أما هم فعلى ضلال ... أنا أدري ... إذا آمنت أنك أحببت ذلك الحب الحقيقي ، فقد حصلت عليه حقيقة . وطبعاً قد حصلت عليه! إنما لا تغضبي من الفتى الذي تعيشين معه .. لعل الغيرة هي الشيء الوحيد الذي يحمله على الضحك ..

ولعله لم يعرف قط ذلك النوع الحقيقي من الحب ! ولعله لم يعرف أي نوع على الاطلاق.. تعالي !

ناستيا (تضغط يدها على صدرها) : صدقني ، يا جداه ! أقسم ، أقسم أن هذا ما حدث ! .. كل شيء تفوهت به ... فقد كان طالباً ... فرنسي الأصل.. يسمونه جاستون.. وكانت له لحية سوداء، وكان يلبس حذاء من الجلد اللاميع.. فلأمت تواً إن لم تكن الحقيقة ما أقول. ولشدّما كان يحبني ! لشدّ ما كان يحبني !

لوكا : أدري، أدري، لا تقلقي. أقلت حذاء من اللامع ؟ ياالله، يا الله، ياالله ! وقد أحببته أيضاً ؟ (يختفيان وراء زاوية.)

البارون : يا للمومس البلهـــاء ! لتحمل قلباً طيباً ، لكنها بلهـــاء بصورة لا تطاق غريبة .

بوبنوف : ما الذي يدفع المرء إلى الكذب هكذا ؟ ويقسم على كونه حقيقة وكأنه في ساحة المحكمة !

ناتاشا : لأن الكذب أبعث على الغبطة والانشراح من قول الحقيقـــة . أنا أيضـاً ...

البارون : أنت أيضاً ؟ ماذا عندك ؟

ناتاشا : أظل أحلم وأحلم . وأنتظر...

البارون : ماذا ؟

ناتاشا (تبتسم في شيء من الارتباك) : لست أدري. أفكر أن غداً.. قد يجيء أحدهم.. إنسان ـ خاص ... أو أن شيئاً سيحدث .. شيئاً ـ خاصاً كذلك. فأظل أنتظر ... أنتظر دائماً ... لكن ، ماذا يحدث عندما تحاول التفكير في ذلك ؟

(فترة صمت .)

البارون (بابتسامة معوجّة) : لا شيء يستحق الانتظـار ! فأنا ، مثلاً ، لا أنتظر شيئاً ، فـكل شيء ... قد انقضى . مرّ . انتهى . ماذا أيضاً ؟

ناتاشا : أو .. أتصور أني سأموت غداً على حين فجـــأة وأن كل شيء يصبح بعد ذلك بارداً في أعمـاقي . الصيف أجمل الأوقات لتصور الموت ، بسبب عواصفه ورعده ، فقد يغتالك البرق في أية لحظة .

البارون : أنت تعيشين حياة فقيرة بائسة، وكل ذلك خطيئة أختك ـ فهي ذات مزاج شيطاني !

ناتاشا : ومن يعيش حياة جيدة ؟ كل امرىء يعيشها رديئة فاسدة ـ أفلا أري ذلك ؟

كليش (كان قد ظل حتى الآن مضطجعاً دون حراك يبدو وكأنه منعزل عن البقية، ولكنه لم يعتم أن نهض لدى سماعه هذه الكلمات) : كل امرىء؟ هذا كذب ! ليس كل امرىء. لو كان كل امرىء لما كانت رديئة فاسدة حتى هذه الدرجة... وعندئذ لا يعود المرء يبالي .

بوبنوف : أية شياطين هيّجتك ؟ ولم تنبح هكذا؟

(يعود كليش فيستلقي ثانية ، وهو يهمهم بينه وبين نفسه .)

البارون : يفضل أن أذهب فأصالح ناستكا... فاذا لم أفعل، فلسوف تمسك عني الدراهم اللازمة للشراب ...

بوبنوف : هم ـ م .. لشد ما يتعشق الناس الكذب! أنت تستطيع أن تفهم ناستيا الآن حق الفهم. لقد اعتادت أن تصبغ بوزها ، فظنت أن في وسعها فعل ذلك بروحها أيضاً . تزين روحها بالحمرة . لكن ماذا يجعل الآخرين يكذبون ؟ لوكا ذلك مثلاً .. يظل يكذب من دون أن

يحصل على فائدة . وهو رجل عجوز .. ماذا يبغي من ذلك ؟

البارون (يهمهم ، وهو خارج) : ليملكون ، جميعاً ، نفوساً صغيرة رمادية اللون! وهم جميعاً يودون أن يزينوها باللون الأحمر نوعاً ما .

لوكا (يدخل من وراء إحدى الزوايا) : فيم تظل تثير تلك الفتـــاة ، يا صاحب السعادة ؟ دعها تبكي وتتسلى .. إن كان يسرها أن تسيل عبراتها، فأي أذى ، إذن ، ينالك من تلك العبرات ؟

البارون : إنها بلهاء ، أيها الشيخ ! وهي تثير الأعصاب..اليوم هو راوول ، وغداً جاستون.. ولكنه دائماً هو نفسه. إنما يخيل إلي، على أية حال، أن الصلح معها أفضل الأمور الآن .

(يخرج .)

لوكا : هيا اذهب ... كن رقيقاً لطيفاً معها ، فليس ثمة أذى في أن يكون المرء لطيفاً مع رفيقه ...

ناتاشا : أنت تملك قلباً طيباً، يا جداه... ما الذي يجعلك لطيفاً إلى هذا الحد؟

لوكا : أتقولين لطيفاً ؟ حسناً ، إذا كنت تريني على هذا الغرار .(أنغام ناعمة لأكورديون ، وصدى غناء ، يأتيان من خلف الحائط الآجري .) يجب أن يوجد في هـذا الوجود إنسان لطيف .. يجب أن تحدبي على الناس . لقد أحبَّ المسيح جميع الناس ، وعلمنا أن نحذو حذوه... وأستطيع أن أقول لك عن حق إنك كثيراً ما تستطيعين إنقاذ إنسان ما إذا أشفقت عليه في الوقت المناسب. مثال ذلك حين كنت حارساً ليلياً في ملكية قروية تخص أحد المهندسين قرب بلدة تومسك . وتلك الملكية تنتصب الآن في وسط الغابات . حسناً ، كان الزمن الشتاء، وكنت وحيداً في تلك الملكية.. ولقد

كانت ملكية رائعة ، صدقيني ! لكنني سمعت ضجة صاخبة ذات يوم- إن بعض الناس يقتحمون تلك الأرجاء !

ناتاشا : لصوص ؟

لوكا : نعم ، كانوا لصوصاً يقتحمون الدار.. اختطفت بندقيتي وخرجت إليهم.. وهناك ألفيتهم، وكانا اثنين..منهمكين في فتح إحدى النوافذ حتى لم يفطنا لمجيئي.وصحت بها: هاي أنتما! أخرجا من هنا! فاستدارا إلي يحملان فأساً فحذرتها : إذا برحتما مكانكما أطلقت النار ! وإذ ذاك جعلت أنقل فوهة بندقيتي من واحد إلى الآخر ... فجثيا على ركبتيهما ، واستعطفاني السماح لهما بالذهاب . أما أنا ، فكنت مجنوناً ذلك الحين ... بسبب تلك الفأس ، فقلت لهما : لقد طردتكما أيها الجنيان ، لكنكما رفضتما الذهاب ... وقلت لهما : فليذهب أحدكما ويقتطع غصناً كبيراً من تلك الأدغال . فجلبا الغصن المطلوب. فقلت : فليركع أحدكما ، وليجلده الآخر. وهكذا ظلا يضربان بعضهما طبقاً لأوامري . وعندما انتهت عملية الجلد ... قالا لي : أيها الجد ، أعطنا شيئاً نأكله بحق المسيح . لقد كنا نتجول في الجوار وبطوننا فارغة خاوية... إليك بهؤلاء اللصوص ، ياعزيزتي ! (يضحك .) ... وإليك بتلك الفأس أيضاً ! وقد كانا شابين رائعين طيبي القلب ... قلت لهما : لماذا لم تقدما هكذا وتطلبا شيئاً تطعمان منذ البداية ؟... فقالا : لقد سئمنا السؤال وتعبنا منه . لتسأل وتلحف في السؤال وليس من يعطيك شيئاً ... وعاشا معي ، بعد ذلك ، طوال الشتاء . وكان أحدهما ، واسمه ستيبان يأخذ البندقية ويضرب في أرجاء الغابات

طيلة النهار . أما الآخر ، وينادونه يا كوف ، فكان مريضاً طوال الوقت ، لا يبرح يسعل ... وكنا نحرس ، نحن الثلاثة ، تلك الملكية . وعندما جاء الربيع توجها إليَّ قائلين : الوداع ، ياجدّاه . وهكذا مضيا ... يطلبان الروسيا ...

ناتاشا : هل كانا - مجرمين هاربين ؟

لوكا : نعم . مجرمان هاربان ... هاربان من المكان الذي نفيا إليه ... ولقد كانا شابين رائعين ! ... لو لم أشفق عليهما فقد كان يمكن أن يردياني قتيلاً ... أو يرتكبا شيئاً مماثلاً ! ... وذلك يعني إذن المحاكمة ، والسجن ، وسيبيريا ... ولماذا ؟ السجن لا يعلّم الانسان ما هو حق ، وسيبيريا لا تعلّم الانسان ما هو حق ... لكن الانسان ... يستطيع أن يعلمك ، وبطريقة سهلة يسيرة .

(فترة صمت .)

بوبنوف : هم - م . خذني أنا مثلاً ... لست أجيد الكذب . ولم أكذب ؟ إن شعاري هو : إمضِ قدماً وانطق بالحقيقة الكاملة . فممَّ تخشى ؟

كايش (يقفز من جديد على حين بغتة وكأن النار تلسعه ، ويصيح) : الحقيقة ؟ أية حقيقة ؟ (ينتش الأسمال التي تغطيه) هذه هي الحقيقة ! لا عمل ... لا قوة . هذه هي الحقيقة ! لا مأوى ! ... حتى ولا بقعة تجد فيها غطاء ! لم يتبق شيء سوى الموت كما يموت الكلاب ... هذه هي الحقيقة ، فاليكها ، أيها الشيطان العجوز ! ماذا أبغي من وراء حقيقتك ؟ كل ما أبغيه فرصة أستطيع التنفس فيها ... أستطيع استنشاق نفسٍ من الحياة ! أي شر ارتكبت ؟ ... وماذا أفعل

بحقيقتك ؟ أريد فرصة للحياة ، لعنها الله! إنهم لا يتركونك تحيا ...
وهذه هي حقيقتك ! ...

بوبنوف : أنظروا كيف تأثر هذا الفتى !

لوكا : يا أم الاله ! ... لكن اسمع ، يا صديقي . أنت ..

كليش (يرتعش هياجاً) : جميعكم ، في هذا المكان ، تثرثرون حول الحقيقة ؟
وأنت ، أيها الشيخ ، تحاول مؤاساة الجميع !... إسمح لي أن
أصارحك بحقدي على الجميع ! هذه هي الحقيقة ، فلتكن ملعونة إلى
الأبد ! هل تفهم ؟ لقد حان الوقت لتفهم ! فلتكن ملعونة حتى في
الجحيم ، حقيقتك تلك !

(يركض حوالي زوايا الغرفة ، وهو يتطلع إلى الخلف ويصيح .)

لوكا : يا الله، يا الله ، يا الله ! لشد ما هو مضطرب ، هذا الشاب !... إلى
أين ركض ؟

ناتاشا : لقد خرج من عشه ...

بوبنوف : هذا حسن ! وكأنما هو فصل من مسرحية ... قد يحدث ذلك
هكذا أحياناً ... فهو لم يعتد على الحياة بعد ...

بيبيل (يدخل على مهلته من خلف الدار) : السلام عليكَ ، أيتها الشركة الشريفة!
حسناً ، يا لوكا ، أيها الثعلب العجوز الداهية ، أفما زلت تسرد
خرافاتك ؟

لوكا : لا بدّ أنك سمعت كيف خرج ذلك الرجل لتوّه من هنا !

بيبيل : مَنْ ، كليش ؟ ما باله ؟ لقد صادفته راكضاً وكأنما الشيطان
يهرول في أعقابه ...

لوكا : كل إنسان يركض مثله عندما تلمس شغاف قلبه هكذا.

ببيل (وهو يتخذ مجلسه) : لست أحب ذلك الفتى ... إنه وضيع متعجرف .
(يقلد كليش .) « إنني - رجل عامل » . وكأن كل إنسان آخر
أسوأ منه ... إمضِ واشتغل إذا أردت ... ولكن ، فيم عجرفتك
وتكبرك ؟ إذا كانت جدارة الانسان تتعلق بمقدار العمل الذي
يفعله ... فالحصان يفضل أي إنسان إذن... يظل يجر ، وهو
يستقبل نهاراً ويودع نهاراً آخر ، دون أن ينبس بكلمة . ناتاشا!
هل عشيرتك في الدار ؟

ناتاشا : لقد ذهبوا إلى المقبرة ... وقد أزمعوا أن يحضروا صلاة المساء
بعد ذلك ...

ببيل : كنت أستغرب لماذا كنت تحسين بهذه الحرية كلها .

لوكا (يستدير إلى بوبنوف ، وعليه مسحة التفكير) : الحقيقة ، تقول؟...الحقيقة
لا تصلح دائماً من أحوال المرء الرديئة ... فأنت لا تستطيع دائماً
أن تشفي نفساً بالحقيقة ... فمثلاً كان ثمة قضية كهذه مرة:رجل
ما أعرفه يؤمن بأرض حقيقية بارة ...

بوبنوف : يؤمن بماذا ؟

لوكا : بأرض حقيقية بارة. كان يقول: لابدّ من وجود أرض حقيقية
بارة في هذا العالم ... وكان يفكر أن بشراً خاصين يقطنون
تلك الأرض - بشراً طيبين ، بشراً يحترمون بعضهم بعضاً .
ويساعدون بعضهم بعضاً في كل عمل صغير ... وإن كل شيء في
تلك الأرض الحقيقية يجب أن يكون رائعاً جميلاً . وقد بقي
ذلك الرجل يتهيأ ويبحث عن تلك الأرض الحقيقية البارة . كان
فقيراً ... يعيش حياة شاقة قاسية ... وعندما كانت الأمور تؤول

إلى حال سيئة حتى انحسب أنه لم يبق الانسان سوى الاضطجاع والموت ، لم يك يستسلم ، بل يبتسم لنفسه فقط ويقول : لا بأس، فأنا أستطيع تحمل ذلك . سأنتظر فترة أخرى ، ومن ثم أهجر هذه الحياة وأرحل إلى الأرض الحقيقية البارة...ذلك كان فرحه في الحياة - إيمانه بالأرض الحقيقية البارة...

ببيل : حسناً ، وهل وصل إلى هناك ؟

بوبنوف : أين ؟ هو - هو !

لوكا : ومن ثم نفوا إلى القرية التي يعيش فيها - هذا كله حدث في سيبيريا- رجلاً متبحّر العلم والثقافة... نفوه مع كتبه ومصوراته، وأشياء أخرى كثيرة تخص إنساناً مثقفاً مثله . وقد قال هذا الرجل المسكين إلى رجل الثقافة والعلم ذلك ، قال له : كن لطيفاً وأخبرني أين تقع تلك الأرض الحقيقية البارة ، وكيف أصل إليها . وإذ ذاك أمسك الرجل المتبحر في العلم كتبه ، وفتح مصوراته ، وتطلع وتطلع ، لكنه لم يجد تلك الأرض الحقيقية البارة في أي مكان . إن كل شيء في محله ، وكل الأراضي موجودة على المصورات ، لكن الأرض الحقيقية البارة لا توجد في أية بقعة !

ببيل (في صوت خضوع) : أنت تمزح ! ألم توجد في أية بقعة ؟

(بوبنوف يضحك .)

ناتاشا : كفّ عن ضحكك ... تابع ، يا جداه .

لوكا : ما كان الرجل يستطيع أن يصدق ذلك ... وقال لا بدّ أن تكون في مكان ما ... ألقِ نظرة أفضل ، لأنه إذا لم يك ثمة أرض حقيقية بارة، فسائر مصوراتك وكتبك لا قيمة لها ولا حساب إذن.

فلم يرق هذا الرجل المتعلم أبداً . فقـــال : إن مصوراتي أفضل المصورات ، إنما لا يوجد مثل تلك الأرض الحقيقيـة البارة التي تتحدث عنها . عندئذ أصيب الرجل المسكين بالجنون ، فقال :ماذا تقول ؟ لقـــد ظللت أعيش وأعيش ، وأتحمل كل شيء ، لأنني متأكد من وجود مثل ذلك المكان ، ولكن ها إنه يتبين الآن ، استناداً إلى مصوراتك ، أن ليس مثل ذلك المكان مطلقاً ! ذلك غش ، ذلك خداع ! ثم قال للرجل المثقف: وأنت ... أنت ، أيها الحقير ! أنت وغد لئيم ، ولست متعلماً أبداً ! وضربه على أذنه ـ طق ! ثم لكمة أخرى ـ طق ! (بعد فترة صمت .) وبعد ذلك أسرع إلى بيته وشنق نفسه ! ...

(الجميع يصمتون . يرنو لوكا ، وهو يبتسم ، إلى بيبيل وناتاشا .)

بيبيل (بصوت مخفوض) : لقد سردتَ علينـا الجحيم ! ... تلك قصـة لا تبعث على المرح ! ...

ناتاشا : لا يستطيع أن يقاوم الرغبة في أن يكون موضع السخرية ...

بوبنوف (مكتئباً) : لا شيء سوى الأساطير والخرافات ...

بيبيل : وَيْ ... إذن فقد تبين أن ليس ثمة أرض حقيقية بارة ! ...

ناتاشا : ذلك الرجل يبعث على الشفقة ...

بوبنوف : كل هذا تلفيق وبهتان ! ... هو ـ هو ! الأرض الحقيقية البارة ! هذا كله من مخترعات رأسه ! هو ـ هو ! (يختفي عبر النافذة .)

لوكا (يشير إلى نافذة بوبنوف) : إنه يضحك ! ياالله ، ياالله ، ياالله ! ... (صمت .) حسناً ، يا رفاق ... فلتنعموا بحياة رغـدة ... لسوف أغـادركم عن قريب ...

ببيل : إلى أين ستذهب الآن ؟

لوكا : إلى أوكرانيا ... لقد سمعت القصة التي تروي كيف بدأوا ديناً جديداً هنالك ... فيجب أن ألقي نظرة . البشر لا يبرحون يطلبون ويفتشون عن شيء أفضل ... فليهب لهم الله شيئاً من الصبر !

ببيل : هل تعتقد أنهم سيجدونه ؟

لوكا : أعمال البشر تحير العقول بغرابتها ! لسوف يجدونه على كل حال . من يطلب ، يجد .. الذي يريد شيئاً على ما يكفي من الرداءة ، يحصل عليه ..

ناتاشا : آه ، لو أنهم يجدون شيئاً فقط ! .. لو أنهم يبدعون شيئاً أفضل !

لوكا : سيبدعونه . سوى أنه ينبغي لنا أن نساعدهم ، يا عزيزتي .. يجب أن نحترمهم ..

ناتاشا : كيف أستطيع أن أساعدهم ؟ أنا نفسي في حاجة إلى مساعدة ..

ببيل (بعزم) من جديد .. لسوف أتحدث إليك من جديد ، يا ناتاشا .. هنا . أمامه .. فهو يعرف كل شيء .. تعالي معي .

ناتاشا : إلى أين ؟ أمن سجن إلى سجن ؟

ببيل : لقد أخبرتك أني سأقلع عن السرقة . أقسمت أمام السماء أني سأقلع عنها .. وإذا قلت ذلك مرة ، فسأفعله بكل تأكيد . إني أعرف القراءة والكتابة .. وسوف أشتغل .. لقد قال بوجوب ذهابنا إلى سيبيريا بمحض إرادتنا ، فهل نذهب ؟ أو تظنين أني لا أكره هذه الحياة وأحقد عليها ؟ أواه ، يا ناتاشا ، إني أفهم .. إني أرى ذلك كله وأظل أعزي نفسي بأن أقول لها إن الناس المزعومين شرفاء

يسرقون أكثر بكثير مما أسرق أنا. لكن ذلك لا يفيد . ليس ذلك ما أريد. لست آسف على شيء ولست أومن بضمير مذنب. لكنني أحس في أعمق أعماق نفسي شيئاً واحداً : ليست هـذه الطريق إلى الحيـاة . يجب أن نعيش حياة أفضل ، يجب أن نعيش بحيث نحترم أنفسنا !

لوكا : نطقت بالصواب، يا عزيزي! ألا فليساعدك الله... ألا فليتغمدك المسيح بعطفه . هذه هي القضية : ينبغي للمرء أن يحترم نفسه ..

بيبيل : لقد كنت لصاً منذ طفولتي الباكرة ، وكان الجميع ينادونني بفاسكا اللص ، فاسكا ، ابن اللص. آها ! فكذلك هي الحال إذن ؟ لا بأس إذن ، هأنذا الآن ـ لص ! أتفهمون ؟ ولربما أمسيت لصاً نكاية . ولربما أنا لص لأن إنساناً لم يفكر في مناداتي باسم آخر... أليس كذلك ، يا ناتاشا ؟

ناتاشا (حزينة) : أكاد في بعض الأحيان لا أصدق.. ما يقول أي إنسان.. وإنني شقية اليوم.. وقلبي يثب ويثب وكأنه يتوقع حدوث أمر ما. ما كان يجب أن تشرع تتحدث هكذا اليوم ، يا فاسيلي..

بيبيل : ومتى إذن ؟ ليست هذه المرة الأولى التي قلت فيها ذلك ..

ناتاشا : ولمَ أذهب وإياك ؟ أما إني أحبك ـ فلا أستطيع أن أقول إني أحبك كثيراً .. قد أستلطفك أحياناً ، وفي أحيـــان أخرى لا أستطيع رؤية وجهك .. لأخمِّن أني لا أحبك .. عندما تحب إنساناً ما ، فأنت تعمى إذن عن الشر الذي فيه لكنني.. أرى هذا الشر فيك..

بيبيل : لا تخافي. لسوف تهيمين بي. لسوف أعلمك كيف تحبينني . قولي تلك

الكلمة فقط. اقدر اقبتاك مدة تنوف عن السنة حتى الآن. وإني أرى أنه فتاة جدية طيبة أنت.. مخلوقة يمكن الوثوق بها والاعتماد عليها..
إني أحبك حباً جماً، يانا تاشا ...
(تظهر فاسيليزا في النافذة في أتم زينتها، وتقف مرهفة أذنيها، نصف مختبئة بعوارض النافذة .)

ناتاشا : واقع أسير هواي ـ وماذا عن أختي ؟

بيبيل (مرتبكاً) : حسناً ، ماذا عنها ؟ هنالك كثيرات من مثيلاتها ..

لوكا : لا تفكر بهذا ، ياصاحبي . ليضطر الانسان إلى التهام العشب عندما لا يجد خبزاً ..

بيبيل (مهموماً) : إشفقوا عليّ قليلاً . ليست هذه حياة .. إنها حياة كلب ، خاليـــة من كل فرح أو سرور .. كأنما في مستنقع .. حيث يتلاشى كل شيء تمسك به لأنه متعفن .. وشقيقتك تلك ـ ظننت أنها غير ما هي عليه . لو لم تك شرهة جشعة تحب المـال ، كنت فعلت المستحيل من أجلها . لو أنها تريد فقط أن تكون ملكاً لي بكليتها .. لكنها أرادت شيئاً آخر .. وأرادت مالاً .. وأرادت اتباع طريقها الخاصة .. طريقها الخاصـة بحيث تعيش لعوباً متهوّرة. ما كانت تستطيع مساعدتي .. إنما أنت ـ أنت أشبه بشجرة تنوب فتية تنحني، لكنها تقـاوم .

لوكا : وأنا أقول لك : تزوّجيـــه ، يافتاة . فهو ليس شاباً رديئاً . ذكريه فقط ـ بصورة دائمة ـ أنه إنسان طيب ، فلا ينسى ذلك أبداً . لسوف يصدّقك .. قولي له فقط ، بصورة دائمـــة : فاسيلي ، إنما أنت إنسان طيب . لاتنسي أن تقولي هذا !

وفكّري جيداً الآن : أين تستطيعين الذهاب الآن؟...
شقيقتك تلك حيوانة، خسيسة، سافلة ... أما بالنسبة
إلى رجلها - فالعجوز أسوأ من أن تعبر الكلمات عن ذلك..
هكذا هي الحياة بمجموعها هنا .. إلى أي مكان آخر تستطيعين
الذهاب ؟ وهذا شاب قوي ..

ناتاشا : ليس من مكان أذهب إليه .. أنا أدري .. لقد فكرت في الأمر
ملياً . إنما - لست أصدق أحداً .. وليس من مكان
أذهب إليه ..

بيبيل : هنالك درب وحيدة . لكنني لا أدعك تسيرين عليها .. إني
أقتلك بالأحرى ..

ناتاشا (مبتسمة) : لم أصبح زوجتك بعد ، وهذا أنت على أتم استعداد منذ
الآن لأن تقتلني ..

بيبيل (يحوطها بذراعيه) : إنسي هذا ، ياناتاشا ! هذا ما لم يكن بدّ أن
يكون ..

ناتاشا (تشدّ نفسها إليه) : يجب أن أطلعك على شيء واحد ، يا فاسيلي ..
وأقسم عليه أمام الله . أول مرة ترفع فيها يدك عليّ .. أو
تسيء إليّ عن طريق أخرى .. فلن أبقي على نفسي .. إما أن
أقتل نفسي أو ..

بيبيل : فلتجفّ يدي وتقطع إذا رُفِعَتْ عليك !

لوكا : لا تقلقي ، ياعزيزتي ، فهو يحتاج إليك أكثر مما تحتاجين إليه..

فاسيليزا (من النافذة) : وهكذا اشتعل عود الثقاب ! حب ، وشرف ،
وطاعة !

ناتاشا : لقد جاءوا !.. آه ، يارب ! لقد رأونا .. آه ، يافاسيلي !

بيبيل : على مَ خوفك ؟ لن يجرؤ إنسان على لمسك الآن !

فاسيليزا : لا تقلقي ، ياناتاشا ، فلن يضربك .. ليس هو في الضرب أفضل منه في الحب .. أنا أعرف ذلك !

لوكا (في صوت مخفوض) : هذه المرأة !.. إنها الحيَّة عينها !

فاسيليزا : إنه لا يجيد سوى إلقاء خطب حلوة ...

كوستيليوف (يدخل) : ناتاشكا ! ماذا تفعلين هنا ، أيتها الكسول ؟ تنشرين القيل والقال ؟ تشكين آ لك وعشيرتك ؟ ولم تهيئي السماور بعد ؟ ولم تجهزي المائدة ؟

ناتاشا (خارجة) : ولكنكم عزمتم على الذهاب إلى الكنيسة ..

كوستيليوف : نياتنا ليست من شأنك ! واجبك أن تميزي أعمالك فقط .. أن تقومي بما أُمِرْتِ .

بيبيل : إخرس ! إنها لم تعد خادمتك بعد الآن !.. ناتاشا ، لا تذهبي !.. ولا تلمسي شيئاً !..

ناتاشا : لا تصدر أوامرك إليَّ .. فلم يحن وقتك بعد . (تخرج .)

بيبيل (إلى كوستيليوف) : إرفع يديك عنها ! لقد فعلت بها ما تشاء كفاية . إنها لي الآن .

كوستيليوف : لك ؟ متى اشتريتها ؟ وكم دفعت ثمناً لها ؟

(فاسيليزا تضحك .)

لوكا : إمض من هنا ، يافاسيلي ..

بيبيل : يالكما زوجاً مرحاً !.. انتبهي ، وإلا انقلب ضحككِ بكاءً مريراً !

فاسيليزا : ما أشد خوفي ! إني خائفة حتى الموت !

لوكا : إمضِ من هنا ، يافاسيلي ! أفلا ترى أنها تشيرك ، وتحاول إغاظتك ؟

بيبيل : آه .. نعم . هي تكذب .. أنت تكذبين ! لن تسير الأشياء كما تريدين أن تسير !

فاسيليزا : وأنا لن أسمح لها أن تكون كما لا أريدها ، يافاسكا !

بيبيل (يهز قبضته في وجهها) : لسوف نرى !.. (يخرج .)

فاسيليزا (وهي تختفي عن النافذة) : اسوف أضبطك بزواج ، على كل حال !

كوستيليوف (يخطو جهة لوكا) : ماذا تفعل هنا ، أيها الشيخ ؟

لوكا : لا شيء ، أيها العجوز ..

كوستيليوف : حسناً .. يقولون إنك راحل عنا ؟

لوكا : لقد آن أوان الرحيل ..

كوستيليوف : إلى أين ؟

لوكا : سأتبع أنفي ..

كوستيليوف : تتابع طوافك وتجوالك .. أفيضنيك البقاء طويلاً في مكان واحد ؟ إيه ؟

لوكا : يقولون : لا يتدفق ماء تحت حجر..

كوستيليوف : ذلك قيل عن حجر ، لكن ينبغي للانسان أن يقيم في مكان واحد .. يجب على البشر ألا يعيشوا كالصراصير ـ يزحف كل واحد منها حسب هواه .. ينبغي الانسان أن يبني لنفسه عشاً في مكان ما ، وألا يكون غريباً في كل مكان .

لوكا : وماذا لو شعر الانسان أنه في عشه حيثما ألفى نفسه ؟

كوستيليوف : ذلك يعني أنه جواب آفاق .. مخلوق عديم النفع .. يجب أن يكون ثمة نفع من الانسان .. يجب أن يعمل ..

لوكا : أنت تمزح !

كوستيليوف : كيف إذن ؟ .. ما هو الغريب ، الآن ؟ الغريب هو شخص غريب ، شخص لا يشبهغيره من البشر . فاذا كان حاجاً ، حاجاً حقيقياً يعرف شيئاً أو شيئين .. فهذا لن يعود على أي إنسان بالنفع .. وقد يلتقط شيئاً من الحقيقة في مكان ما .. لكنني أقول لك أن ليس كل حقيقة تستأهل المعرفة .. و إذ ذاك يحتفظ بها لنفسه . و إذا كان حاجاً حقيقياً .. فسيحتفظ بصمته وسكوته . أو يتحدث بحيث لا يفقه إنسان واحد عما يتحدث .. وينبغي ألا يسعى وراء أي شيء ، وألا يتدخل في أي شيء ، وألا يكدر البشر ويزعجهم بغير سبب معقول .. ينبغي له ألا يعنى بطريقة غيره من البشر في العيش والحياة .. بل واجبه أن يعيش حياة تقية ورعة .. يجب أن يكتهف أحد الكهوف في غابة لا يراه فيها إنسان . يجب ألا يتدخل في أمور الناس ، محاولاً تلقينهم ما هو الصواب وما هو الخطأ .. إنما يجب أن يصلّي من أجل الجميع .. من أجل خطايانا الدنيوية جميعاً - خطيئتي وخطيئتك وخطيئة كل إنسان. وهكذا يتبرأ من خيلاء هذا العالم وباطله - وهكذا يستطيع الصلاة . هذه هي القضية .. (صمت .) لكنك أنت - أي نوع من الحجاج أنت ؟ بل إنك لا تحمل جواز سفر .. والرجل المحترم الفاضل يجب أن يحمل جواز سفر . جميع الناس المحترمين الأفاضل يملكون جوازات سفر .

لوكا : أنت ترى كيف هي الامور ... فثمة بشر – ثمة مخلوقات مسطحة فقط .

كوستيليوف: ليس هذا من ذكائك . ليس هذا من أحجياتك .. لأظن أني ذكي بقدر ما أنت ذكي . ماذا تقول – بشر ومخلوقات ؟

لوكا : ليس في الأمر ألغاز وأحجيات . كنت أقول إنه ما دام ثمة تربة قاحلة عقيم .. وثمة تربة مثمرة مخصابة .. وإن كل ما تزرع في التربة المثمرة المخصابة يجب أن ينتج ثماراً .. هذا كل شيء ..

كوستيليوف: حسناً ، وما نتيجة هذا ؟

لوكا : خذ نفسك مثلاً .. لو أن الرب الاله نفسه قال لك : ميخائيل ! كن مخلوقاً بشرياً ! ... فلن يغير ذلك في الأمر شيئاً ... إذ أنك ستظل مثلك الآن ..

كوستيليوف: وي .. أتدري ماذا ؟ إن عمّ زوجتي شرطي . فاذا..

فاسيليزا (تدخل) : الشاي جاهز ، يا ميخائيل إيفانوفيتش !

كوستيليوف (إلى لوكا) : أخرج من هنا . إياك أن أعثر عليك في نُزُلي مرة ثانية !

فاسيليزا : أجل ، يفضل أن ترحل أيها الشيخ ! .. فأنت تملك لساناً طويلاً . من يدري ، لربما كنت مجرماً فاراً ، أو ..

كوستيليوف إرحل من هنا هذا اليوم ، وإلاّ سأ ..

لوكا : وإلا ستنادي عمك ! هيا ناده .. وقل له إنك قبضت على مجرم هارب .. فلربما ينال العم مكافأة – ثلاثة كوبيكات أو شيئاً كهذا ..

بوبنوف (من النافذة) : أتبيعون شيئاً ؟ ما هذا الذي بثلاثة كوبيكات ؟

لوكا : إنهم يهددون ببيعي .

فاسيليزا (إلى زوجها) : تعال !

بوبنوف : بثلاثة كوبيكات ؟ انتبه ، أيها الشيخ .. سيبيعونك بكوبيك واحد .

كوستيليوف (إلى بوبنوف) : وهكذا فقد زحفت خارجاً ؟ مثل العفريت الذي يزحف من تحت المدفأة .

(يخرج وزوجته .)

فاسيليزا : ما أكثر ما في هذا العالم من لصوص وغشاشين !

لوكا : هذا هنا يتمنى لك شهية طيبة ..

فاسيليزا (تستدير إليه) : إمسك لسانك .. أيها القطر المقفّع !

(تختفي خلف زاوية الدار مع زوجها .)

لوكا : سأرحل الليلة ..

بوبنوف : هذا حسن . ليفضل دائماً الرحيل عندما يوجد بعد متسع من الوقت ..

لوكا : هذه هي الحقيقة من دون ريب .

بوبنوف : أنا أعرف ما أقول . لمن المؤكد أني أفلت من السجن، لأني رحلت في الوقت المناسب .

لوكا : أنت تمزح !

بوبنوف : كلا ، بل تلك هي الحقيقة ! وإليك كيف حدث ذلك : لقد اتصلت زوجتي بتاجر فراء.. كان معلماً قديراً..بارعاً في صبغ جلود الكلاب وتحويلها إلى جلود راكون (١) .. وجلود القطط أيضاً — إلى

(١) حيوان أميركي مفترس بحجم الهر . (المترجمان)

جلود قنقر .. وفأر المسك .. وكل شيء آخر تحبه . كان شاباً ذكياً . فعقدت زوجتي صلات معه .. وتعلقا ببعضهما كثيراً حتى أصبحت أنتبه جيداً كيلا يسمماني ، أو يتخلصا مني بطريقة أخرى . وكنت أضرب زوجتي في بعض الأحيان ـ وعند ذاك كان المعلم يضربني . كان مقاتلاً جباراً . وذات مرة اقتلع نصف لحيتي وكسر أحد أضلاعي . وكثيراً ما كنت ألزم الفراش بسبب ذلك ..وقد ضربت زوجتي مرة بمحراك النار الحديدي على رأسها.. فاشتعلت نيران حرب ضروس .. لكنني أدركت أن لا فائدة ترجى من كل ذلك .. إذ لا بد أن يتغلبا عليَّ . وهكذا عزمت على قتل زوجتي، وفكرت في الأمر ملياً . ولكنني سيطرت على نفسي في الوقت المناسب ، ورحلت عن المكان ..

لوكا : هذا أفضل ما كان يمكن أن تعمل ـ دعهما وحيدين يحيلان القطط إلى فأر المسك كما يروقهما ..

بوبنوف : سوى أن المتجر ـ كان يخص الزوجة ـ وقد ظل كذلك . أما أنا فبقيت لا أملك شروى نقير ، كما تراني . ولكن الحقيقة أني كنت أشرب المتجر كله لو بقيت .. إنه السكر الذي ..

لوكا : السكر ؟ وَيْ !

بوبنوف : إنني سكير مفترس . فاذا وقعت في قبو مرة ، فسأشرب كل شيء إلا مخبئي . وإنني كسول . لست تتصور كم أبغض العمل.

(يدخل ساتان والممثل يتجادلان .)

ساتان : هراء ! لن تذهب إلى أي مكان ، هل تسمع ؟ .. كل هذا هذيان! أيها الشيخ ! أي هذيان تصب في أذن هذا الفتى ؟

الممثل : هذا كذب ! أخبره ، يا جداه ، أنه يكذب . سوف أسلك هذه الطريق . لقد اشتغلت اليوم - كنّست الشارع . ولم أشتف قطرة واحدة . كيف هذا ؟ إليكها - كوبيكاتي الثلاثين ، وأنا صاح يقظان !

ساتان : حماقة وعته - ذلك كل شيء . هيا ، أعطنيها . لسوف أشربها .. أو أخسرها في لعبة ورق ..

الممثل : أبعد يديك . هذا يعني بدء الخسران بالنسبة إليّ !

لوكا (إلى ساتان) : لماذا تحاول إبعاده عن جادة الصواب ؟

ساتان : « قل لي ، أيها الساحر المحبوب من الآلهة ، أي مصير يخبئه لنا المستقبل ؟ » لقد صفيت أعمالي ، ياأخي ! وخسرت آخر كوبياك ! الكن ما يزال ثمة رجاء للعالم بعد ، يا جدي - فهنالك نصابون أذكى مني بعد .

لوكا : أنت فتى مرح ، يا قسطنطين ، وإنك تبعث على الغبطة أيضاً .

بوبنوف : أيها الممثل ! تعال إليّ !

(يتجه الممثل صوب النافذة وينحني ليبدأ حديثاً مع بوبنوف في صوت مخفوض .)

ساتان : كنت مسلياً عندما كنت صغيراً . جميل أن أستعيد تلك الذكريات .. لقد كنت ناراً تلتهب !.. أرقص رقصاً رائعاً . وأمثل على المسرح . أحب أن أحمل الناس على الضحك .. يا للروعة !

لوكا : وكيف تحولت عن تلك الطريق ، إيه ؟

ساتان : يا لك من مخلوق فضولي ، أيها الشيخ ! تحب معرفة كل شيء ... فلماذا ؟

لوكا : لأحب أن أفهم هذه المشكلة الانسانية .. لكنني لا أفهم شيئاً عندما أنظر إليك. فأنت فتى رائع ، يا قسطنطين ، وذكي بالاضافة. ذلك يزيد الأمور غرابة ..

ساتان : السجن.. أيها الجد ! لقد قضيت أربع سنوات وسبعة شهور في السجن .. وليس من يريدك عنده بعد السجن .

لوكا : أو ـ هو ! ولماذا ألقوا بك في السجن ؟

ساتان : بسبب أحد الأوغاد .. لقد قتلت وغداً في ثورة من الغضب والنقمة.. وتعلمت لعب الورق في السجن ـ من بين أشياء كثيرة تعلمتها ..

لوكا : قتلته من أجل امرأة ؟

ساتان : من أجل شقيقتي نفسها .. إنما كفاك تتدخل في أمور لا تعنيك . فلست أحب أن توجه الأسئلة إليّ. وكل هذا قد حدث منذ زمن، زمن بعيد جداً .. أما أختي ..فماتت .. منذ تسع سنوات .. كانت أختاً رائعة لطيفة .

لوكا : إنك لا تستصعب الحياة . قد سمعتَ ولا شك أن صانع الأقفال يعوي قليلاً وهو يعود أدراجه ! آي ـ ي ـ ي ! ...

ساتان : كليش ؟

لوكا : هو نفسه . لقد صاح : ليس ثمة عمل ! .. كلا ،لا شيء !

ساتان : سيعتاد ذلك مع الزمن .. حسناً ، ماذا أفعل بنفسي الآن ؟

لوكا (في لطف): أنظر ! ها هو ذا قادم .

(كسليش يدخل على مهل ، محني الرأس .)

ساتان : هاي ، أنت أيها الأرمل ! ما بال رأسك غارقاً بين ركبتيك ؟

فيم تفكر ؟

كليش : أفكر في ما سوف أعمل . ليس لدي أدوات .. فقد بعتها جميعاً من أجل الجنازة .

ساتان : إقبل نصيحتي . لا تفعل شيئاً . كن وقراً على كتف العالم ..

كليش : لا يضيرك شيئاً أن تتكلم .. لكنني أستشعر الخجل أمام الناس ..

ساتان : اطّرح ذلك! فالناس لا يخجلون لكونك تعيش حياة قمينة بكلب.. فكر ملياً في الأمر . تكفّ أنت عن العمل ، وأكف أنا .. ويكف المئات .. والألوف . والجميع على حد سواء ! أتفهم ؟ سنكفّ عن العمل جميعاً . ولن يحرك أي إنسان ساكناً ليصنع شيئاً ! وماذا سيحدث بعدئذ ؟

كليش : سنموت جميعاً من الجوع .

لوكا (إلى ساتان) : يجب أن تنضم إلى « الهاربون » ما دمت تفكر هكذا .. هنالك بعض الناس الذين يدعون « الهاربون (١) » .

ساتان : أدري . وليسوا بمجانين على كل حال ، ياجداه .

(يدفدف من نافذة جناح كوستيليوف صدى بكاء ناتاشا وعويلها : « فيم هذا ؟ كفى ! .. ماذا فعلت ؟ » .)

لوكا (مضطرباً) : ناتاشا تنوح ؟ إيه ؟ أنت ، أيها ..

(يجيء من جناح كوستيليوف ضجة قوم يتحركون ، وصدى صحون تتكسر ، وصيحات كوستيليوف الثاقبة: « أيتها الهرطوقية

---

(١) أعضاء فئة دينية في روسيا القديمة ، قد علموا الناس أن يهربوا من الأماكن حيث تضطهد الحكومة عدم التقيد بالقوانين (المترجمان)

الصغيرة ! .. ايتها العاهرة ! .. » .)

فاسيليزا : كفى ! .. انتظر ! .. لسوف أرينّها ! .. خـــذ هذا ! ..
وهـذا !..

ناتاشا : إنهما يضربانني ! إنهما يقتلانني ! ..

ساتان (يصيح من النافذة) : هاي ، أنتم هناك !

لوكا (يركض هنا وهناك) : فاسيلي ! .. لو أنكم تبلغون فاسيلي ! .. ياإلهي ! أيها الرفاق ! أيها الاخوان ..

الممثل (يركض إلى الخارج) : هأنذا .. لسوف أريه ! ..

بوبنوف : لقدطفقا يضربانها كثيراً في المدة الأخيرة .

ساتان : تعال ، أيها الشيخ .. سنكون شهوداً على هذا .

لوكا (يتبع ساتان) سأكون شاهداً مسكيناً لا يعتدّ به ! هذا ليس من عملي!
إننا لفي حاجة إلى فاسيلي بأسرع مايمكن !..

ناتاشا : أختي !.. أختي !.. آه ــ ه ــ ه ! ..

بوبنوف : لقد كمّا فمها .. سألقي نظرة..

(الاضطراب في جناح كوستيليوف يخفّ عندما يدخل القوم إلى القاعة فيما يبدو. يسمع صوت الشيخ ، وهو يردّد : « كفى!» أحد الأبواب يصطفق بشدة ، فيقطع هذا عنفوان الضجيج مثل ضربة فأس . السكون يخيم على المسرح . غسق الربيع .)

كليش (قابعاً على المزلجة المقلوبة وسيماء اللامبالاة ظاهرة عليه، وهو يحك يديه متوتر الأعصاب . يروح يتفوه بشيء غير مفهوم ينتهي إلى هـــذه الكلمات) : لكن كيف ؟ .. يجب أن تعيش ، أليس كذلك ؟ .
(بصوت مرتفع) مأوى ! أنا في حاجة إلى مأوى ! .. ليس لدي

مأوى ! .. ليس لدي شيء ! .. رجل وحيد ـ وحيـد وحيـد .
ههنا تكمن المصيبة .. ليس من يساعدني .

(ينهض ببطء، وقد تقوّس بكامل جسده . يخيم صمت ينذر بالسوء بضع لحظات . ثم يجيء من أحد زوايا المسرح خرخرة لا نهاية لها تنمو حتى تصير صوتاً مشوّشاً كلما اقتربت . ومن المستطاع تمييز عدة أصوات متفرقة .)

فاسيليزا : أنا أختها ! دعوها لي !..

كوستيليوف : ليس لك الحق في ذلك .

فاسيليزا : يا مجرمة ! ..

ساتان : نادوا فاسيلي ! .. أسرعوا ! .. إضربه ، يازوب !

(تسمع صفارة الشرطي .)

التتري (يدخل ، ويده اليمنى معلقة بوشاح) : أي قانون هو هذا ـ أن يحدث القتل في وضح النهار !

كريفوي زوب: (يتبعه ميدفيديف) : هاه ! لقد أعطيته إياها ضربة رائعة !

ميدفيديف : أنت ـ كيف تجرؤ على القتال ؟

التتري : وأنت ؟ أي واجب هو واجبك ؟

ميدفيديف : (يركض خلف كوستيليوف) : كفى ! أعدْ لي صفارتي !

كوستيليوف (راكضاً) : أبرام ! اقبض عليه ! .. لقد َقتل ..

(يجيء ، من خلف الزاوية ، كفاشنيا وناستيا وناتاشا الشعثاء الشعر بينها . يتراجع ساتان إلى الخلف ، يدفع أمامه فاسيليزا وهي تحضر يدها محاوله ضرب أختها ، وأليوشكا يقفز حواليها كالعفريت ، يصفر في أذنها ، ويصيح ، ويعول . يتبعها عدد من النساء والرجال

المتلفعين بالأسمال .)

ساتان (إلى فاسيليزا) : مابالك ، أيتها القذرة الملعونة ؟..

فاسيليزا : إليك عني ، أيها المجرم ! قد يكلفني ذلك حياتي ، لكنني سأمزقها إرباً متناثرة !..

كفاشنيا (تبتعد بناتاشا) : كفى ، يافاسيليزا ! .. إخجلي قليلاً ! فيم توحشك؟

ميدفيديف (يقبض على ساتان) : آها ! .. لقد قبضت عليك أخيراً !

ساتان : زوب ، انطلق بينهم ، يازوب ! فاسكا ! .. فاسكا !..

(يتحلقون قرب الممر القرميدي الجدار ، بعدما قادوا ناتاشا وأجلسوها على كومة من الألواح إلى اليمين .)

بيبيل (يظهر فجأة من الممر ، ويروح يدفع الجميع صامتاً بحركات جبارة قوية) : أين ناتاشا ؟ أنت ..

كوستيليوف (يختبىء خلف زاوية الدار) : أبرام ! اقبض على فاسكا .. أيها الاخوان ، ساعدوه في القبض على فاسكا ! اللص .. الغشاش ..

بيبيل : أنت .. أيها الفاسق العجوز !

(يضرب العجوز بلطمة خاطفة من ذراعه ، فيقع على الأرض بحيث لايبين منه سوى رأسه وكتفيه من خلف زاوية الدار . ويسرع بيبيل إلى ناتاشا .)

فاسيليزا : اضربوا فاسكا ، ياشبان ! اضربوا اللص !

ميدفيديف (يصيح بساتان) : أخرج من هنا .. إنها مسألة عائلية ! جميعهم أقارب وأهل .. إنما من أنت ؟

بيبيل : ما الأمر ؟ .. ماذا فعلت ـ طمأنتك ؟

كفاشنيا : أنظر فقط مافعل الوحشان ! لقد سلقا قدميها بالماء المغلي ..

ناستيا : لقد أفرغا السماور عليها ..

التتري : لربما حدث ذلك بصورة غير مقصودة .. يجب معرفة ذلك تماماً .. يجب ألا نرتكب أخطاء ..

ناتاشا (شبه مغمى عليها) : فاسيلي ، خذني من هنا ـ خبئني ..

فاسيليزا : يارب ! أنظروا ! إنه ميت! مقتول!...

(يهــــرع الجميع إلى الممر حيث يضطجع كوستيليوف . يخلص بوبنوف نفسه من الجمع و يخطو في اتجاه فاسيلي .)

بوبنوف (بصوت مخفوض) : فاسيلي ! العجوز ـ لقد مات !

بيبيل : (يتطلع إليه دون وعي) : نادِ الاسعاف .. سننقلها إلى المستشفى. واسوف أنتقم بكلّ تأكيد !

بوبنوف : أقول إن أحدكم قد قتل العجوز ..

(الضجة تخمد على المسرح وكأنها نار أطفأتهـا الميـاه . أصوات متفرقة تقرقع في نغمات ساكنة : « صحيح ؟ » ، « ذلك سيء » ، « هم ـ م » ، « فليهرب من هنا » ، « ياللجحيم ! » ، « انتبهوا !» ، « انهوا القصة قبل مجيء الشرطة » . الجموع تتضاءل . بوبنوف ، التـــتري ، ناستيا ، وكفاشنيا ، يهــرعون إلى جسد كوستيليوف .)

فاسيليزا (تنهض عن الأرض وتصيح منتصرة) : مقتول ! .. هذا هو من اغتال زوجي!.. فاسكا فعل ذلك! لقد رأيته بنفسي! لقد رأيته، يارفاق!.. حسناً ، يافاسكا ؟ إذن فستقع في قبضة الشرطة ؟

بيبيل (يترك جانب ناتاشا) : دعوني أمر .. ابعدوا عن دربي ! (يلقي نظرة على العجوز ، ثم يستدير إلى فاسيليزا .) حسناً ، هل أنت راضية ؟ (يلمس الجسد بقدمه .) لقد انتهى ، ذلك الوغد .. حصلت على مبتغاك . هه .. لربمـــا قتلتك ، أنت الأخرى !

(يرمي بنفسه عليها . يوقفه ساتان وكريفوي زوب بسرعـة . تركض فاسيليزا شطر الممر .)

ساتان : فكّر فيما تفعل !

كريفوي‌زوب: تفو ! اغنم الوقت !

فاسيليزا (تظهر ثانيـة) : حسناً ، ياصديقي فاسـكا ! لن تفرّ من نصيبك !.. الشرطة ! أبرام .. أنفخ في صفارتك !

ميدفيديف : لقد اختطفت الشياطين صفارتي مني ..

أليوشكا : إليكها ! (يصفر فيها ، فيركض ميدفيديف خلفه .)

ساتان (يقود بيبيل إلى ناتاشا): لا تقلق ، يافاسكا . لقد قتلته فيمشاجرة وعراك وهـذا لا يعني شيئاً . ولن يكلفك كثيراً ...

فاسيليزا : أمسكوا فاسكا ! لقد قتله !.. لقد رأيته بنفسي !

ساتان : لقد ضربته ، أنا الآخر ، أربع أو خمس ضربات .. لم يتطلب وقتاً طويلاً الاجهاز عليه . سأكون شاهداً ، يافاسيلي ..

بيبيل : لست متلهفاً إلى الخروج من هذا المأزق .. إني متلهف إلى جر فاسيليزا إليه ... ولسوف أجرها إليه ، فساعدني يا الله ! هذا ما أرادته .. لقد طلبت مني قتل زوجها .. لقد طلبت مني ذلك !

ناتاشا (فجأة ، بصوت مرتفع) : آه !.. لقد فهمت الآن !.. إذن ، هذه هي

القضية ، يا فاسيلي ! آه ، أيها الطيبون ، لقد ارتكبا ذلك معاً !..
لقد حضّرا كل شيء ! حضّرا كل شيء ! حسناً ، يافاسيلي !..
ولذلك تحدثت إليّ هذه الليلة - حتى تستطيع أن تسمع ؟ أيها
الطيبون ، إنها عشيقته .. أنتم تعرفون هذا .. الجميع يعرفونه .
لقد اشتركا بالعمل معاً .. لقد حدّثته، وطلبت إليه قتل زوجها..
فهو يقف حجر عثرة في طريقها .. وأنا أقف كـــذلك في
طريقها .. ولذا جعلا مني مقعدة جرُوراً ..

ببيل : ناتاشا ! .. ماذا تقولين ؟

ساتان : وَيْ . أخذك الشيطان !

فاسيليزا : كذابة ! إنها كاذبة ! أنا .. إنه وحده .. فاسكا من قتله !

ناتاشا : لقد فعلا ذلك معاً ! لعنكما الله ! أنتما الاثنين ..

ساتان : تلك لعبة ، على كل حال ! .. حاذر ، يا فاسيلي ! سيضعون أنشوطة
حول عنقك !

كريفوي‌زوب: لست تستطيع أن تعرف رأس هـــذه القضية من ذنبها !
مأزق رائع !

ببيل : ناتاشا ! أأنت حقاً .. أنت جادة ؟.. كيف تظنين أني ..
وإياها ..

ساتان : بالطبع ، ياناتاشا .. فكري فيما تقولين !

فاسيليزا (من الممر) : لقد قتلوا زوجي ، ياصاحب السعادة . إنه فاسكا ببيل ،
اللص ، من فعل ذلك ... لقد رأيته ، ياحضرة المفتش ..
الجميع رأوه ..

ناتاشا (تغمغم شبه مغمى عليها) : أيها الطيبون .. إنها شقيقتي وفاسكا ببيل

اللذان ارتكبا ذلك.. استمع إليَّ، أيها المفتش.. إنها أختي - التي طلبت إليه ذلك .. لقد حادثته في الأمر .. هو عشيقها .. وهاهو ذا، لعن الله روحـــه! لقد قتلاه! فقودوهما معاً .. قودوهما إلى السجن!.. وخذوني أنا أيضاً!.. ارموني في السجن! محبة بالمسيح .. ارموني في السجن!..

(ستار)



الفَصْلُ الرّابِعُ

(مشهد الفصل الأول ذاته ، إلا أن الحاجز الذي كان يؤلف غرفة بيبيل قد رُفع ، كما اختفى سنندان كليش . التتري يصيح ويئن على دكة في الزاوية التي كانت غرفة بيبيل . كليش جالس إلى الطاولة يصلح أكورديوناً ، وبين فترة وفترة يعزف مجرّباً مفاتيحه. وإلى الطرف الآخر من الطاولة يجلس ساتان والبارون وناستيا ، وأمامهم زجاجة فودكا، وثلاث زجاجات من الجعة ، وبعض الخبز الأسود. الممثل يتنقّل على قمة المدفأة ويسعل . الوقت ليل ، والمسرح مضاء بقنديل موضوع في وسط الطاولة . الريح تصفر في الخارج وتزأر .)

كليش : نعم ... لقد اختفى في ذلك الهرج والمرج ..

البارون : لقد انسلّ من الشرطة .. كالدخان ينسلّ من النار...

ساتان : مثل الشرير من البارّ .

ناستيا : لقد كان عجوزاً طيباً !.. أما أنتم ـ أنتم لستم مخلوقات بشرية . أنتم ـ رَوْثٌ !

البارون (يشرب): نخب صحتك ، ياسيدتي الحلوة !

ساتان : أوزة عجوز ظريفة .. قد وقعت ناستيا في غرامه .

ناستيا : نعم ، لقد وقعت في غرامه . هذه هي الحقيقة . فلقد شاهد كل شيء ، وفهم كل شيء .

ساتان (ضاحكاً) : وعلى العموم .. لقد كان أشبه بالعجين لمن لا أسنان له ..

البارون (ضاحكاً) : مثل اللزقة للدمامل .

كليش : لقد كان شفوقاً .. أما أنت .. أنت لا تعرف معنى الشفقة ..

ساتان : وماذا تفيدك شفقتي ؟

كليش : ولكنك بارع بالمقابل .. لا في الشفقة على الناس .. إنما على الأقل في توفير مشاعرهم ..

التتري (يجلس على دكة ويروح يهز يده كالأطفال) : لقد كان عجوزاً طيباً .. يعرف قانون النفس . من يعرف قانون النفس هو جيد . ومن أضاع القانون هو أضاع نفسه

البارون : أي قانون ، أيها الأمير ؟

التتري : قانون مختلف . أنت تدري ماذا .

البارون : بعدئذ !

التتري : لا تجرح كائناً من كان . هذا هو القانون .

ساتان : ذلك يدعى : « قانون العقوبات للمجرمين والكفرة .. »

البارون : ومن ثم هنالك ذلك « الدستور عن العقوبات المفروضة من قبل قضاة الصلح .. »

التتري : إن القرآن قانون .. وقرآنكم قانون أيضاً . كل نفس ينبغي أن تكون قرآناً .. أجل !

كليش (يجرب الاكورديون) : إنه يصفر ، لعنة الله عليه ! كلام الامير حق ..
يجب أن يعيش الناس بحسب القانون .. بحسب الانجيل ..

ساتان : هيا إذن ..

البارون : جرّب ذلك فقط ..

التتري : محمد أعطانا القرآن ، قال : إليكم - القانون! إفعلوا ما هومكتوب هنا . ومرّ الزمن - فاذا القرآن صغير صغير .. الأوقات الجديدة تعطي قوانين جديدة .. كل وقت جديد يعطي قانوناً جديداً ..

ساتان : بالصواب نطقت .. ولقد حان اليوم حين « قانون العقوبات .. » . قانون ممتاز قوي .. ليستغرق زمناً طويلاً لاتلافه .

ناستيا (تضرب الطاولة بقدح في يدها) : لماذا.. لماذا يجب أن أستمر في الحياة ههنا .. معكم جميعاً ؟ سأرحل .. سأرحل إلى أي مكان ... إلى آخر الأرض .

البارون : عارية القدمين ، يا سيدتي الحلوة ؟

ناستيا : عارية الجسد ! أزحف على أربعتي !

البارون : منظر جميل بالنسبة إلى العيون المكتئبة ، يا سيدتي الحلوة! .. على أربعتك ! ..

ناستيا : هكذا سأذهب .. سأذهب على أية حال ، لأتخلص من عناء رؤيتكم فقط .. آه ، لو تدرون فقط مبلغ مللي من كل شيء! من كل إنسان وكل شيء!

ساتان : خذي الممثل معك يوم ترحلين .. فهو يهيء خطة لرحلة مماثلة .. لقد بلغه منذ فترة قصيرة أن ثمة مستشفى للعطونات قبل نهاية الأرض بنصف ميل واحد ! ..

الممثل (يحك رأسه على حافة المدفأة) : العضويات ، يا أحمق !

ساتان : للعطونات المتسممة بالكحول ..

الممثل : آه ، سيذهب على أية حال . سيذهب .. لسوف ترى !

البارون : من هذا الذي سيذهب ، يا سيدي الطبيب ؟

الممثل : أنا !

البارون : شكراً (١) أيها المنذور للالاهة .. ما اسمها ؟ إلاهة المأساة ، الدراما . ماذا تدعوها ؟

الممثل : عروس الفنون الجميلة ، يا مغفّل ! ليست هي إلاهة ، بل عروساً !

ساتان : لاشيسيس ؟ .. هيرا ؟ .. أفروديت ؟ .. أتروبوس ؟ .. الشيطان وحده يدري أية واحدة منهن ! كل ذلك من صنع العجوز ، يا بارون .. لقد جعل الممثل مهتاجاً مضطرباً .

البارون : إن ذلك العجوز لمجنون ..

الممثل : أيها الجهّال ! أيها البرابرة! ميلبومين (٢) ! لسوف يرحل على أية حال ، لسوف ترى ! أيتها المخلوقات المجردة عن العاطفة ! « التهمي نفوسك ، أيتها العقول المظلمة ! .. » . هذا شعر من بيرانجيه .. لسوف يعثر على مكان لنفسه حيث لا .. لا ..

البارون : لا لا شيء ، يا سيدي الطيب ؟

الممثل : أجل ، لا لا شيء ! « تلك الفتحة المتثائبة ـ ستكون قبري . ذلك الاطار التالف ، لا تستطيع يد إنقاذاً له » . ففيم تعيش إذن ؟ أوه ، فيم ؟

---

(١) بالفرنسية في النص الروسي (المترجان)

(٢) هي إلاهة المأساة عند الاغريق (المترجان)

البارون : هيْ أنت بـ « إدمون كين(١) » أو عبقرية التبذير » . كفاك صراخاً !

الممثل : كذاب ! لسوف أصرخ إذا أردت الصراخ !

ناستيا (ترفع رأسها وتهز يديها) : هيا ، تابع صياحك . وليسمعوا !

البارون : ما فائدة ذلك ، ياسيدتي الحلوة ؟

سياتان : دعهما لوحدهما ، يا بارون ! فليذهبا إلى الجحيم !... دعهما ينوحان !... لسوف يخسران رأسيهما... القضية هي : لا تتدخل بأمور الناس ، على حد تعبير الرجل العجوز.. إنه هو الذي وضع الخميرة في رأس جارينا ، كما يفعلون بقالب من الكعك ..

كليش : لقد أغراهما بمكان ما .. ثم انسلّ دون أن يريهما الدرب إليه ..

البارون : لقد كان العجوز خداعاً ..

ناستيا : كذاب ! أنت الخدّاع وحدك!

البارون : إخرسي ، يا سيدتي الحلوة !

كليش : أما الحقيقة ـ فلم تكن ذات فائدة بالنسبة إليّ.. لقد كان ضدّ الحقيقة .. وهذا صحيح . عندما تفكر في الحقيقة ، فأي حديث يمكن أن يدور عنها إذن ؟ إن الجو خانق كفاية من دونها .. خذ الأمير هنا مثلاً .. إمنع يده عن العمل ، فيقطعها .. هذه هي الحقيقة ..

ساتان (يضرب الطاولة بيده) : ألا صمتاً ! إنكم عصابة من ـ البهائم ! حمقى أغبياء ! ... كفى ثرثرة عن الرجل العجوز ! (بلطف أكثر) وأنت أسوأ العصابة ، يا بارون .. أنت لا تفهم شيئاً .. وأنت

---

(١) ممثل إنكليزي اشترك بتمثيل أدوار شكسبير (المترجم)

تكذب ! لم يك الرجل العجوز خدّاعاً . ما هي الحقيقة ؟ الانسان!
هذه هي الحقيقة ! لقد فهم هذا.. أما أنتم فلا .. إن رؤوسكم لتشبه
القرميد.. لكنني أفهم الرجل العجوز . لقد كذب من دون ريب.
ولكن شفقة عليكم ، أخذكم الشيطان .. كثيرون هم الذين يكذبون
شفقة على أخواتهم .. أنا أعرف .. لقد قرأت كثيراً من الكتب.
إنهم يكذبون بشكل جميل ، بوحي وإلهام ، فيثيرونكم إذن.
ثمة أكاذيب تعزي ، وأكاذيب تصالح المرء مع نصيبه . إن
الأكاذيب تجد عذراً للثقل الذي يسحق ذراع العامل .. وتلوم
المرء إذ يتضوّر جوعاً حتى الموت .. لست بجاهل أكاذيبكم
وتخرّصاتكم ! لا يحتاج الكذب إلا خائرو العزم وإلا الذين
يعيشون عالة على الآخرين.. بعض الناس تعضدهم الأكاذيب،
وبعضهم الآخر يختفون وراءها و يختبئون .. أما الانسان الذي
هو نفسه ـ الانسان الذي هو ـ حر طليق ، والذي لا يمتص
دماء الآخرين ـ فما حاجته إلى الأكاذيب ؟ إنما الأكاذيب دين
العبيد والسادة ! .. والحقيقة إله الانسان الحر !

البارون : مرحى ! قول حسن ! أوافقك على كل شيء ! فأنت تتكلم مثل..
جنتلمان محترم .

ساتان : ولم لا يتكلم الخداع أحياناً مثل جنتلمان محترم ، إذا كان جنتلمانك
المحترم هذا يتكلم مثل الخداعين الغشاشين ؟ .. نعم .. ثمة
أشياء عديدة قد نسيتها ، إنما لما أزل أذكر شيئاً أو شيئين. لقد
كان ذلك الشيخ إنساناً ذكياً .. ولقد .. لعب عليّ مثلما يلعب
الحمض على قطعة وسخة من العملة القديمة . فلنشرب نخب

صحته ! املأوا الأقداح .

(تملىء ناستيا قدح ساتان بالجعة وتناوله إياه .)

ساتان (يضحك ضحكة قصيرة) : ذلك الشيخ يعيش بذكائه وحصافة ذهنه .. وهو ينظر إلى الأشياء من خلال عينيه وحدهما . لقد قلت له ذات يوم : « جداه ، فيم يعيش الناس ؟ .. » (يقلد صوت لوكا وحركاته) « إنهم يرتجون من حياتهم شيئاً أفضل ، ياصديقي . والآن ، فلنفترض أن لدينا مثلاً عدة نجارين – وجميعهم حثالة . ومن ثم ولد من بينهم نجار واحد – نجار لم تعرف الأرض له مثيلاً ، فكسف الآخرين جفَّة ، كسفهم دون أن يستطيع أحد منهم أن يلوّح بقنديل في وجهه . وكان يضع اسمه على كل شيء يُصنع ، بحيث تقدمت تلك الحرفة ما يزيد على العشرين عاماً بقفزة واحدة . وهذا ينطبق على الجميع – السمكرية والاسكافيين .. وجميع شعبكم العامل .. وجميع الفلاحين .. وحتى الأسياد .. جميعهم يرتجون من حياتهم شيئاً أفضل ! وكل واحد يعتقد أنه يعيش من أجل نفسه ، بينما هو طوال الوقت يعيش من أجل شيء أفضل . وهم يعيشون مائة عام .. وربما أكثر ، ليجعل كل منهم من نفسه رجلاً أفضل »

(ترمق ناستيا ساتان بانتباه . يتوقف كليش عن العمل في تصليح الأكورديون ويرهف أذنيه . ويرمي البارون رأسه على صدره وينقر بأصابعه على الطاولة في لطف . أما الممثل فينزلق بهدوء عن المدفأة ليقتعد دكة قريبة .)

ساتان : « جميعهم ، يا صديقي الطيب ، وحتى أدنأ رجل فيهم ، يعيشون من أجل شيء أفضل ! يجب أن نكون منصفين بحق كل إنسان .. إذ

أنك ترى أنه ليس من مهمتنا أن نعرف ماهيـة هـذا الانسان أو ذاك ، وفيم خلق ، وماذا في إمكانه أن يفعل .. لربما كانت ولادته من حسن حظنا .. فهو قد يمدنا بمساعدة طيبـة .. يجب بصورة خاصة أن نعامل الأطفال بلطف جم .. هؤلاء الصغار. إنها الحرية ما يحتاجون إليه ، أولئك الصغار . يجب ألا نتدخل في حياتهم.. ويجب أن نكون لطيفين معهم » .

(صمت .)

البارون (متفكراً) : هم .. م ! .. في سبيل شيء أفضل ؟ ذلك يذكرني بعائلتي.. عائلة قديمة.. يعود تاريخها إلى كاترين العظيمة .. نبلاء.. محاربون.. قدموا من فرنسا .. خدموا القيصر وظلوا يرتقون ويرتقون .. وخلال حكم نيقولا الأول ، وصل جدي جوستاف بيبيل ... إلى مكانة رفيعة .. الثروة .. ومئات من العبيـــد .. والخيول .. والطهـاة ..

ناستيا : كذاب ! هذا خزعبلات !

البارون (قافزاً) : ما .. ذا ؟ ثم ماذا ؟

ناستيا : هذا خزعبلات !

البارون (صائحـــاً) : قصر في موسكو! قصر في سان بطرسبرج! عربات تحمل شعارنـــا !

(يحمل كليش أكورديونه ويمضي إلى إحدى الزوايا ، ومن هنالك يروح يراقب المشهد .)

ناستيا : هراء وخزعبلات !

البارون : إخرسي ! عشرات الخدم ، أقول لك ! ..

ناستيا (متلذذة) : كلام فارغ !

البارون : لأقتلنّك !

ناستيا (تستعد للهرب) : لم يكن لديك عربة قط !

ساتان : كفى ، ياناستكا ! لاتصيّرينه مجنوناً ..

البارون : انتظري فقط .. أيتها الرذيلة ! لقد كان جدي ..

ناستيا : لم يكن لك جدٌّ البتة ! لم تكن تملك شيئاً مطلقاً !

(يضحك ساتان .)

البارون (يتهالك على دكة قريبة وقد أرّثه الغضب) : أخبرها ، ياساتان — هذه العاهرة — أو أنك تضحك أنت الآخر ؟ أفلا تصدّق ذلك ، أنت الآخر ؟ (يصرخ في يأس ، وهو يضرب الطاولة بجمع يديه) ذلك صدق كله ، صبَّ الله عليكم لعنته !

ناستيا (منتقدة): آها ! تنوح وتزعق ! لربما تدرك الآن مامعنى ألا يصدقك أحد !

كليش (يعود إلى الطاولة) : ثمة معركة ستنشب ، فيما أعتقد . .

التتري : آه ، أيها القوم البلهاء ! ذلك سيىء جداً !

البارون : أنا .. لست أريد أن يضحك مني الناس ! لقد كنت أملك ... والديّ البرهان على ذلك . لديَّ وثائق ثابتة ، ياشياطين !

ساتان : غضَّ النظر عنهم ! وانسَ قصة عربات جدك .. فهي لن تحملك بعيداً . . تلك العربات المرحومة .

البارون : إنما كيف تجاسرتْ !

ناستيا : فكّر في الأمر ملياً ! كيف تجاسرتْ ! ..

ساتان : لقد تجاسرت فيما يبدو . فيم هي أسوأ منك ؟ مع أنها لم تملك عربات أو أجداداً ، أو أماً وأباً أيضاً ..

البارون (يشتكين إلى الهدوء) : أخذك الشيطان .. لتعرف كيف تهـدىء الأمور .. لأعتقد أن لا شخصية لي ..

ساتان : حصّل شخصية .. ليست هي بعيدة المتناول .. (صمت) ناستيا ، أذهبت في حياتك إلى مستشفى ؟

ناستيا : ولمه ؟

ساتان : لرؤية ناتاشا .

ناستيا : لقد تأخرت قليلاً ، أليس كذلك ؟ لقد غادرت المستشفى منـذ زمن طويل .. برحته و .. اختفت . ذهبت ولم تخلّف أثراً ..

ساتان : ذلك يعني ـ كل شيء ذهب ..

كليش : لمن دواعي الاهتمام أن يرى المرء من الذي سيتغلب على الآخر . فاسكا ـ فاسيليزا ، أم أنه سيكون ثمة حل ثالث ..

ناستيا : لسوف تتخلص فاسيليزا من ذلك كله بطريقة ما . فهي كالثعلب مكراً . لكنهم سيرسلون فاسكا ، محكوماً بالأشغال الشاقة ، إلى سيبيريا ..

ساتان : آه ، كلا ، لسوف يسجن فقط لأنه قتل في معركة ..

ناستيا : ذلك سيء جداً . يفضل أن يرسلوه بعيداً .. أن يرسلوكم جميعاً بعيداً .. أن يكنسوكم جميعاً مثل النفايات .. أن يرموكم في مستنقع عكر ..

ساتان (مدهوشاً) : عماذا ينضُ مرشفاك ؟ هل فقدت صوابك ؟

البارون : سأصفعها على أذنها .. كي تسترد صوابها .

ناستيا : هيا ، حاول . المسني فقط !

البارون : سأحاول بكل تأكيد !

ساتان : كفى ! لا تلمسها .. يجب ألا تؤذي الناس . لست أقوى على انتزاع ذلك الشيخ من رأسي ! (يضحك) يجب ألا تؤذي النـــاس ! لكن ، ماذا إذا كانوا قد آذوني مرة حتى آخر رمق من حياتي - ماذا أفعـل إذن ؟ أيفترض فيَّ أن أصفح عنهم ؟ أبداً ! ولا واحد ! ..

البارون (إلى ناستيا) : لا تنسي أنك لست على قدم المساواة معي ! فأنت .. نفاية الأرض !

ناستيا : صه ، أيها المخلوق الساقط ! أنت تحيا على حسابي .. مثل حشرة على تفاحة !

(الرجال يضحكون .)

كليش : آه ، أيتها الحمقاء الصغيرة ! تفاحة !

البارون : كيف يمكنك أن تجن بها ؟.. يا الأحمق !

ناستيا : أتضحكون ؟ تسخرون من أنفسكم. أنتم لا تعتقدون حقاً أن الأمر يبعث على الضحك !

الممثل (مكتئباً) : هيا ، أعطيهم درساً !

ناستيا : لو كنت أقدر! لكنت.. لكنت ..(تلتقط قدحاً ثم تضرب الأرض به) .. لكنت فعلت بكم هكذا !

التتري : فيم تكسرين الصحون ؟ إيه .. يا وقحة ! ..

البارون (ينهض) : أوه ، كلا ! لسوف أعلمها الآن .. بعض الأخلاق !

ناستيا (راكضة إلى الباب) : في مكنتك الذهاب إلى جهنم !

ساتان (يصيح خلفها) : هاي ! ارتوينا من هذا ! ممن تخافين ؟ مامعنى كل هذا على أية حال ؟

ناستيا : ذئاب ! آمل أن تموتوا خنقاً ! ذئاب !

الممثل (مكتئباً) : آمين !

التتري : أو ـ أو ـ أو ! نساء حقيرات النساء الروسيات . عصبيات .. حريتهن زائدة . أما التتريات فيختلفن عنهن . التتريات يعرفن القانون .

كليش : إنها تحتاج إلى هزة جيدة ..

البارون : تلك القذرة ! ..

كليش (يفحص الأكورديون) : لقد انتهى .. لكن صاحبه لم يأتِ وراءه .. ذلك الفتى يركض في إثر الكلاب . .

ساتان : فلنشرب شيئاً الآن .

كليش : شكراً ! لقد حان وقت النوم ..

ساتان : هل اعتدت علينا ؟

كليش (يشرب ، ثم يتجه صوب دكة في إحدى الزوايا) : ليس هذا رديئاً ! تتزاحم المخلوقات البشرية في كل مكان ، حسب ما يبدو . ولست تلاحظ هذا بادىء الأمر.. ومن ثم تلقي نظرة جيدة فاذا هي هناك ـ المخلوقات البشرية ...ليس هذا رديئاً !

(ينشر التتري بعض الأشياء على سريره ، ثم يجثو على ركبتيه ويروح يصلي .)

البارون (ينبه ساتان إلى التتري) : أنظر إلى هذا .

ساتان : دعه لشأنه فهو فتى طيب .. لا تتدخل في أمره . (يضحك .) لماذا أشعر بالعطف والشفقة هذا النهار ؟

البارون : أنت تشعر بالعطف والشفقة دائماً عندما تشرب .. شفوقاً وذكياً..

ساتان : عندما أكون سكران .. يلوح كل شيء جميلاً رائعاً .. هم .. م إنه يصلي ؟ رائع ، قد يكون الانسان مؤمناً وقد لا يكون .. كما يشاء . فذلك من شأنه وحده . فالانسان حرٌّ في اختياره .. وهو يدفع ثمن كل شيء – ثمن إيمانه ، وإنكاره ، وحبه ، وكونه ذكياً . الانسان يدفع ثمن كل شيء بنفسه، وهذا هو السبب في أنه حر .. الانسان ، هذه هي حقيقتكم! ماهو الانسان ؟.. ليس أنت ، ولا أنا ، ولا هم .. أوه ، كلا ! لكن أنت ، وأنا ، وهم ، والشيخ، ونابليون، ومحمد – جميعهم في واحد (يرسم صورة إنسان في الهواء .) هل فهمت ؟ ذلك – هائل! يتضمن جميع البدايات وجميع النهايات .. كل شيء – داخل الانسان ؛ وكل شيء – من أجل الانسان ! الانسان وحده موجود، وجميع ما تبقى هو صنع يديه وفكره! ما أعجبه، الانسان! وأشدّ ما في ترديد هذه الكلمة من فخار – الانسان يجب أن يُحترم الانسان. لا أن يكون موضع الشفقة.. فالشفقة إهانة! لكن أن يُحترم ! هيا ، أيها البارون ، ولنشرب نخب الانسان ! (يقف .) حسن أن تحس نفسك إنساناً ! وها أنذا – مجرم سابق، قاتل، نصاب – وكل ما يتبع هذا ! عندما أعبر الشارع يظنني البشر لصاً .. ويتوقفون في جنبات الدرب ويرمونني بنظراتهم الجانبية. وكثيراً ما ينادونني وغداً لئيماً ! خداعاً ! ويقولون لي : اشتغل! أشتغل ؟ لماذا ؟ لأملأ بطني ؟ (يضحك .) لطالما احتقرت الناس الذين يفكرون طويلاً ببطونهم . ليست هذه هي القضيـــة . فالانسان أثمن من هذا وأرفع . الانسان أرفع قدراً من بطنه!

البارون (يهز رأسه) : تستطيع التفكير في مثل هذه الأمور .. وهذا حسن ..

فهو يبعث الدفء في قلبك .. أما أنا ـ فلا أستطيع . ولست أعرف لماذا . (يتطلع حواليه ، ويتحدث بحذر مخفوض .) وفي بعض الأحيان ، أشعر بالخوف.. أفهمت؟ وأرتعب . فأروح أفكر : ماذا سيحدث بعد ؟

ساتان (يراوح ويغادي) : هراء ! ممن يمكن أن يخاف الانسان ؟

البارون : أنت تدري .. بقدر ما أستطيع أن أتذكر .. لقد كان ثمة نوع من الضباب في رأسي . وما كنت أستطيع قط أن أفهم شيئاً. أنا.. ذلك غريب بعض الشيء .. ويؤتى لي أني قضيت حياتي بكاملها وأنا أبدل ملابسي وثيابي .. ولم ؟ لا أقــــدر على تعليل ذلك . كنت بادىء ذي بدء طالباً ـ ألبس زي مدرسة أبناء النبلاء . وماذا علموني هناك ؟ لست أتذكر .. تزوجت . فأنا أرتدي بـــدله السهرات ومن ثم ثياب النوم .. لكن الزوجة التي أخترت كانت زوجة سيئة . لماذا تزوجتها ؟ السماوات وحدهـا تعرف لـماذا .. ولقد بعثرت جميع ما أملك ـ وارتديت معطفاً رمادياً وسروالاً باهت اللون .. كيف ضيّعت كل شيء ؟ لم أنتبه لذلك .. وعملت في مكتب حكومي ـ فارتديت البدلة الرسمية من جديد ، قبعة لها حفاف.. واختلست أموال الحكومة . وعندذاك ألبسوني ثياب المجرمين .. وبعد ذلك صرت ألبس هذه الأشيـاء .. وهـذا كل شيء .. لكأنه في حلم .. أليس كذلك ؟ وإنه لمضحك بالاضافة .

ساتان : ليس كثيراً .. فهو أبله أكثر منه مضحكاً .

البارون : هذا صحيح .. لقد فكرت أنه أبله أيضاً .. وبعـد ذلك .. يجب أن أكون قد خلقت لشيء ما .. أفلا تعتقد هذا ؟

ساتان (يضحك ضحكة قصيرة) : من المحتمل .. لقد خلق الانسان لشيء أفضل !.

(يهز رأسه .) هذه هي القضية . وذلك ـ رائع .

البارون : ألا امن الله ناستكا !.. إلى أين فرت ؟ سأذهب وألقي نظرة . وعلى أية حال ، فهي .. (يخرج . صمت .)

الممثل : يا تتري ! (صمت .) يا أمير !

(يدير التتري رأسه .)

الممثل : صلِّ ..من أجلي!

التتري : ماذا ؟

الممثل (بهدوء) : قل .. صلاة من أجلي .

التتري (بعد فترة من صمت) : قل صلواتك الخاصة ..

الممثل (يهبط عن المدفأة بسرعة ، ويسرع إلى الطاولة ، يصبُّ لنفسه كأساً من الفودكا بيدين راعشتين ، ويبتلعه بسرعة ، ومن ثم يقصد الممر في شبه عدو .) لقد ذهبت!

ساتان : هاي ، أنت ! أيها التتري ! إلى أين أنت ذاهب ؟

(يصفر وراءه . يدخل بوبنوف وميدفيديف ،وهذا الأخير يرتدي معطفاً نسوياً محشواً بالقطن . كلاهما سكران نوعاً ما ... يحمل بوبنوف في إحدى يديه خيطاً من الكعك ، وفي الأخرى زوجاً من السمك الداخن . وقد ألقى تحت إبطه قنينة فودكا ، بينما تطل قنينة أخرى من جيب معطفه .)

ميدفيديف : إن الجمل شيء أشبه بالحمار ، إلا أنه بدون أذنين ..

بوبنوف : دع ذلك ! أنت نفسك شيء أشبه بالحمار .

ميدفيديف : ليس للجمل آذان البتة .. إنه يسمع من خيشوميه ..

بوبنوف (إلى ساتان) : هأنتذا أخيراً، يا صديقي! لقد فتشت جميع الحانات والخمارات باحثاً عنك. إليك هذه القنينة. فيداي جميعاً مشغولتان.

ساتان : ضع هذه الكعكات على الطاولة، فتصبح إحدى يديك حرة طليقة..

بوبنوف : هذا مؤكد. أنظر إليه فقط، هذا النحاس الأحمر! لهو فتى ذكي، ما؟

ميدفيديف : جميع اللصوص أذكياء.. أنا أدري هذا. وإلا ما ظلوا لصوصاً. أما الرجل الطيب في هذه الأيام - فهو طيب ولو كان غبياً أحمق. لكن الرجل الشرير - ينبغي له أن يكون ذكياً. أما عن ذلك الجمل، فأنتم جميعاً على ضلال. إنه حيوان خُلق للحمل... من غير قرون.. ولا أسنان...

بوبنوف : أين الجميع؟ كيف لا يوجد أحد هنا؟ هاي، هيا ازحفوا... أني أولم مأدبة! من ذا يقبع في الزاوية؟

ساتان : كم تحتاج من الوقت حتى تشرب آخر كوبيك في جيبك، أيها الفزاعة العجوز؟

بوبنوف : لن أحتاج إلى طويل زمن! فرأس المال الذي ادخرت هذه المرة ليس كبيراً... زوب! أين هو زوب؟

كليش (يدنو من الطاولة) : لقد ذهب...

بوبنوف : جر - ر - ر - را... أنت أيها البولدوج(١)، أنت! جررر! وُف! وُف! لا نباح! لاهمهمة! إشرب، أيها الغبي! لا تقف هنالك شانقاً رأسك!... أنني أولم مأدبة هذه الليلة! ولشدّ ما أحب هذا!

---

(١) كلب برأس كبير وأنف أفطس وأرجل قصيرة. (المترجم)

لو كنت غنياً ! ... افتحت خمّارة ... يشرب فيها الجميع بلا مقابل!
وحق الله ! وفيها فرقة موسيقية . وجوقة للترتيل أيضاً ... فيدلف
إليها الجميع ، يأكلون ، يشربون ، ويصغون الأغنيات ... أريحوا
نفوسكم ! لا مال؟ إليكم خمارة لا تتقاضاكم ثمناً ! أما من أجلك،
ياساتان ، فكنت ... من أجلك ... إليك ، خذ نصف مالي ...
خذه ! هذا ما كنت أفعل !

ساتان : أعطني جميع ما تملك ـ في الحال !

بوبنوف : رأس مالي بكامله ؟ هاه ! إليك ـ روبلاً ... وهذا آخر ...
وعشرين كوبيكاً ... وقطعة فروج ...

ساتان : ذلك يكفي ! سيكون آمن وهو معي ، سأقامر به .

ميدفيديف : وأنا شاهد على أن المال قد أعطي ليحفظ في مأمن . كم المبلغ ؟

بوبنوف : أنت ! أنت جمل ... لسنا نحتاج شهوداً على الاطلاق ...

أليوشكا (يدخل عاري القدمين) : ياشباب ! لقد تبللت قدماي !

بوبنوف : تعال بلّل حلقك !... هذا كل ما أنت إليه في حاجة ! فغناؤك
وتمثيلك رائعان كل الروعة ، ياعزيزي . أما شربك الخمرة ـ فهذا
غير جيد . ذلك ضار ، ياأخي . . الشرب ضار ...

أليوشكا : لأنت مثل رائع . أنت لا تكون مخلوقاً بشرياً إلا حين تسكر ...
كليش ! هل أصلحت آلة الأكورديون التي تخصني ؟
(يغني ويرقص)

أوه ، لو كنت أملك بوز
بشعاً قبيحاً كبوز البقة
لكانت محبوبتي السفراء

تكبّرت عليّ !

إنني بردان ، يا إخوتي . أنني أتجلّ... د !

ميدفيديف : هم ... هل لي أن أسأل من هي محبوبتك الشقراء ؟

بوبنوف : دعه وشأنه. يجب عليك، أيها السيد ، أن تعنى بأمورك الخاصة في هذه الأيام ! فلم تعد قُنْزُعَة (١) بعد الآن . لا لست قنزعة ولا عماً !...

أليوشكا : أنت ـ زوج السيدة ليس غير .

بوبنوف : وإحدى بنات أخيك في السجن ... والأخرى تموت ...

ميدفيدف (بفخر) : هذا كذب . فهي لا تموت . إنما اختفت بكل بساطة .

(يضحك ساتان .)

بوبنوف : وما الفرق في هذا ؟ مادمت قد فقدت ابنتي أخيك ، فأنت لم تعد بعد الآن عماً .

أليوشكا : ياصاحب السعادة ! يا طبّال الماعز المتقاعد !

السيدة ـ تملك مالاً ،
وأنا ـ مفلّس ميت
لكنني ما أزال طروباً .
طروباً بشكل غريب !

الجو بارد .

(يدخل كريفوي زوب . تبدو وجوه أخرى من الرجال والنساء في ما تبقى من المشهد . يتناولون ثيابهم ويضطجعون على الدكك المبعثرة وهم يهمهمون .)

---

(١) الريش المجتمع على رأس الطائر (المترجمان)

كريفوي زوب: بوبنوف ! لماذا هربت ؟

بوبنوف : تعال هنا ! إجلس ، ولنغنِّ أغنية ! أغنيتي المفضلة ... إيه ؟

التتري : يجب أن تناما في الليل . وتنشدا الأغاني في النهار .

ساتان : هذا حسن ، أيها الأمير . تعال هنا .

التتري : ماذا تعني ، هذا حسن ؟ أنت تبعث ضجيجاً ... تبعث ضجيجاً صاخباً عندما تغني ...

بوبنوف (يذهب إليه) : كيف الذراع ، أيها الامير ؟ هل قطعوها ؟

التتري : ولم ؟ انتظر ... لربما لا حاجة إلى قطعها ... فالذراع ليست حديداً. ومن السهل كفاية أن يقطعوها لما يحين الحين ...

كريفوي زوب: لقد انتهى أمرك ، أيها الأمير . فالمرء بيد واحدة لا يصلح لشيء. إنما نحن نساوي عن أذرعتنا وظهورنا ... يا أخي ... لا يد ، لا رجل ! لقد قضي عليه ... تعال ، وتناول جرعة ... وانسَ ذلك !

كفاشنيا (تدخل) : مرحباً، ياأعزائي ! الطقس ، الطقس ! بارد ! موحل ! ... هل رَجُلي هنا ؟

ميدفيديف : هأنذا !

كفاشنيا : لقد ذهبت وأخذت معطفي ثانية ! لتبدو وكأنك تقرضُ من هنا وهناك ، إيه ؟ ما فكرتك ؟

ميدفيديف : بمناسبة عيد ميلاد بوبنوف .. والبرد ، والطين ..

كفاشنيا : انتبه جيداً ! .. الطين ! ليس هذا من شأنك، ياحمار ! ... تعال إلى الفراش !

ميدفيديف (في طريقة إلى المطبخ) : أستطيع النوم جيداً . أنا مستعد لذلك

فقد آن أن أفعل ذلك .

ساتان : ألستِ .. كثيرة الصرامة معه ؟

كفاشنيا : إنه الحل الوحيد بالنسبة إليه ، ياصديقي . يجب أن نشدد الوثاق على مثل هؤلاء الرجال. عندما أخذته ليعيش معي قلت في نفسي : لربما أحصل على بعض الفائدة منه ، فهو في الجيش ، وأنتم عصبة من المعربدين .. وكنت أنا امرأة فقيرة .. لكن سرعان ما طفق يسكر . ولست أتحمل شيئاً كهذا !

ساتان : لقد التقطتِ زوجاً فقيراً..

كفاشنيا : لم يكن ثمة أفضل منه .. فأنت لن تعيش معي - أنت محتال ليس غير ! وحتى لو فعلتَ ... فذلك ما كان يطول أكثر من أسبوع واحد .. ولكنت قامرتَ بي في لمح البصر - تقامر بي وبجميع ما يشقشق به لساني .

ساتان (ضاحكاً) : أنت على حق ، يا امرأة . كنت قامرت بك تماماً ...

كفاشنيا : أرأيت ؟ أليوشكا !

أليوشكا : هنا - هأنذا !

كفاشنيا : ما هذه الثرثرة التي تنشرها حولي ؟

أليوشكا : إنها الحقيقة وحدها . لقد قلت : هذه امرأة لك . معجزة بكل بساطة. سمن ، عظام ، ودماء - تزن عشرة أرطال ، أما دماغها - فلا يزن أوقية واحدة !

كفاشنيا : هذا كذب . فرأسي يحوي كثيراً من الدماغ .. لكن ، لم قلت إنني ضربت رجلي؟

أليوشكا : ظننت أنك ضربته حين جررته من شعره ..

كفاشنيا (ضاحكة): أبله! وكأنك أعمى لا تبصر . لكن ، فيم تنشر ثيابك القذرة ؟ .. وخلاف هذا ، فقد جرحت شعوره .. لقد طفق يسكر بسبب من ثرثرتك ..

أليوشكا : إذن ، هي الحقيقة مايقولون ـ حتى الدجاجة تشرب ...

(ساتان وكليش يضحكان .)

كفاشنيا : أووه ، ياللسان الذي علك ! أي صنف من البشر تسمي نفسك ، يا أليوشكا ؟

أليوشكا : أفخر صنف في الوجود ! أجرب يدي في أي عمل ، وأتبع أنفي أيان يذهب !

بوبنوف (من جانب سرير التتري) : تعال ! لن نسمح لك بالنوم على أية حال ؟ لسوف نغني .. طوال الليل ! زوب !

كريفوي زوب: نغني ؟ لم لا ؟

أليوشكا : سأرافقكما .

ساتان : سنرى كيف .

التتري (باسماً) : حسناً ، أيها الشيطان بوبنو ... صب خمرة . ونحن نشرب . فلدينا وقت طيب . ولسوف نموت ذات مرة .

بوبنوف : إملأ له قدحه ، يا ساتان ! إجلس ، ياروب ! إن المرء لايحتاج شيئاً كثيراً ، يا أصدقائي . هاأنذا أطفح خمرة وأحس السعادة وكأنني من النبلاء ! زوب ... إبدأ الأغنية ـ أغنيتي المفضلة ! ولسوف أغني وأبكي .

كريفوي زوب (يغني) :

في كل صباح تشرق الشمس ...

بوبوف (يشترك معه) :

والعتمة ما برحت تخيّم في صومعتي ...

(الباب يفتح على حين بغتة .)

البارون (يصيح من على العتبة) : هاي... ياقوم! تعالوا!... هنالك في الخارج...
لقد شنق الممثل ... نفسه !

(سكوت مطبق . الجميع يتطلعون إلى البارون . تظهر ناستيا من خلفه وتسير على مُهْلتها ، مفتوحة العينين ، في اتجاه الطاولة .)

ساتان (بهدوء) : تفو ! .. لقد أفسد الأغنية ... ذالك الأحمق !

(ستار)





مسرحية فى ثلاثة فصول

الأشخاص

زاخار باردين	: في الخامسة والأربعين .
بوليفا	: زوجته ، تناهز الأربعين .
ياكوف باردين	: في الأربعين .
تاتيانا	: زوجته، في الثامنة والعشرين . ممثلة .
ناديا	: ابنة أخ بولينا ، في الثامنة عشرة .
بيشيبخوف	: جنرال متقاعد ، عم آل باردين.
ميخائيل سكروبوتوف	: في الأربعين . تاجر . شريك آل باردين .
كليوباترا	: زوجته ، في الثلاثين.
نيقولاي سكروبوتوف	: أخوه،في الخامسةوالثلاثين . وكيل دعاوى.
سينتزوف	: كاتب .
بولوجي	: كاتب .
كون	: جندي سابق .
جريكوف ليفشين ياخودين ريابتزوف أكيموف	عمال .
أجرافينا	: رئيسة الخدم .
بوبويدوف	: رئيس فيالشرطة .
كفاش	: شاويش .

ملازم أول ، مدير الشرطة ، شرطي ، درك ، جنود ، عمال ، كتاب ، خدم .

الفَصلُ الأوّل

(حديقة مظلّلة بأشجار قديمة من الزيزفون المتشعب ، ينهض في أقصاها خيمة عسكرية بيضاء . تحت الأشجار ، إلى اليمين ، مقعد عريض مصنوع من المخمل تنتصب طاولة إلى الأمام منه. مائدة طويلة الافطار تمتد تحت الأشجار إلى اليسار ، يغلي سماور صغير عليها . مقاعد من الخيزران مصفوفة حول المائدة . أجرافينا تصنع القهوة ، وكون يقف تحت شجرة يدخن غليوناً ويتحدث إلى بولوجي .)

بولوجي (يتحدث بحركات خرقاء) : طبعاً ، معرفتك بذلك أفضل . أنا شخص معدوم الأهمية ، وحياتي عديمة المغزى بصورة كافية . لكني رفعت كل خيارة بيديّ هاتين ، ولن يسرقها امرؤ دون أن يقدم لي حساباً على ذلك .

كون (باكتئاب) : ليس إنسان يسأل الأذن منك .

بولوجي (ضاغطاً يده على صدره) : لكن ، أصغ ! إذا أخذ شخص ملكيتك ، أفلا يحق لك أن تطلب الحماية من القانون ؟

كون : هيا واطلب ذلك . لقد سرقوا اليوم خياراتكم ، وغداً سوف يسرقون رؤوسكم . . ذلك هو قانونكم !

بولوجي : لكن ... ذلك أمر غريب أسمعك تصرّح به ، بل إنه لخطر أيضاً. كيف تسمح لنفسك ، أنت الجندي السابق ، الحائز على وسام القديس جاورجيوس ، بالكلام عن القانون على هذه الصورة المشبعة بالاحتقار ؟

كون : ليس هناك قانون . هناك سيطرة فقط . إلى اليسار ، دُرْ ! إلى الامام ، سِرْ ! وهذا أنت تنطلق . وعندما يقولون : قف !- فهذا يعني : قف .

أجرافينا : قد يكون التوقف عن تدخين هذا الغليون فكرة حسنة . إنه يُلحق الأذى بالأوراق ، يا كون .

بولوجي : لو أن الجوع هو الدافع عندهم إلى السرقة ، فلعلني كنت أعذرهم . إن الجوع يبرر أشياء عديدة. تستطيع أن تقول أن سائر الدناءات قد ارتكبت في سبيل إرضاء الجوع . عندما يريد الانسان أن يأكل ، عندئذ يمكن بشكل تأكيد أن ...

كون : الملائكة لا يأكلون ، لكن إبليس قد تمرّد على الله مع ذلك .

بولوجي (سعيداً) : بالضبط ، هذا ما أسميه إساءة خالصة !...

(يدخل ياكوف باردين . إنه يتكلم بصوت خفيض ، وكأنه يصغي إلى كلماته ذاتها . ينحني بولوجي له ، ويلقي كون تحية لا مبالية.)

ياكون : مرحباً . ماذا تفعل ؟

بولوجي : لقد جئت إلى زاخار إيفانوفيتش برجاء متواضع .

اجرافينا : جاء يرفع شكوى . إن بعض الناس من المعمل قد سرقوا في العشية خياراته .

ياكوف : حقاً . ينبغي لك أن تخبر أخي بذلك .

بولوجي : بالضبط ، إني ذاهب إليه.

كون (باكتئاب) : لست ألاحظ أنك ذاهب إلى أي مكان . أنت لا تفعل سوى الوقوف هنا مجمجماً .

بولوجي : إني لا أتدخل في شؤونك البتة ، أليس كذلك ؟ لو كنت تقرأ الصحيفة أو شيئاً ما ، فتستطيع عندئذ بكل تأكيد أن تقول إني أتدخل .

ياكوف : كون ، تعال هنا لحظة .

كون (يتقدم إليه) : أنت شيطان رجيم ، يا بولوجي . لأنت مشاغب عجوز .

بولوجي : كلماتك لاضرورة لها على الاطلاق، لقد وُهب الانسان لساناً ليرفع به شكاوى .

أجرافينا : أواه ، كفاك ثرثرة، يا بولوجي. لأنت أشبه بالبعوضة منك بالكائن الانساني .

ياكوف(إلى كون) : ما عساه يفعل هنا على أية حال ؟ لم لا يذهب من هنا ؟

بولوجي (إلى أجرافينا) : إن كانت كلماتي تسيء إلى أذنك وتفشل في لمس شغاف قلبك ـ فسوف ألوذ بالصمت إذن . (يغادر المكان مترنحاً على طول الممر ، متحسساً الأشجار أثناء مروره .)

ياكوف(مضطرباً) : حسناً، ياكون . يلوح أني في العشية ... مرة ثانية... أتراني أجرح شعور إنسان ما ؟

كون : نعم ، أخشى أنك تفعل .

باكوف (يسير ذهاباً وإياباً) : تفو ! ذلك مدهش ! ترى ، لماذا أهين الناس على الدوام حين أكون سكران ، يا كون ؟

كون : يحدث أحياناً أن يكون الناس أفضل في حال السكر منهم في حال الصحو . إنهم أشجع إذن ، لا يخافون أي إنسان ، بل لا يوفرون أنفسهم أيضاً . كان ثمة رجلٌ مختلٌ في شركتنا ليس أكثر منه ثرثرة وحباً للقتال ونفاقاً عندما يكون صاحياً . وعندما يسكر ، ينخرط باكياً مثل طفل رضيع ، قائلاً : « يا إخوتي ، أنا إنسان مثلكم جميعاً » . ويقول : « ابصقوا في عينيَّ ، يا إخوتي . » وكان البعض يفعلون ذلك دون تأخير ...

ياكوف : من كان ذلك الذي تحدثت إليه البارحة ؟

كون : المدعي العام . لقد أخبرته أن له رأساً خشبياً . ثم قلت المدعي أن لزوجة المدير سبطاً من العشاق .

ياكوف : تصوَّر ! ما كان شأني في ذلك ؟

كون : لست أدري . ثم ...

ياكوف : حسناً ، يا كون . هذا يكفي ، وإلا رحت أفكر أني تفوهت بالسوء بحق كل إنسان دون تفريق ... كل هـذا بسبب تلك الفودكا اللعينة ! (يقترب من المائدة ويروح يرنو إلى الزجاجات ، ثم يصب لنفسه كأساً كبيرة من الخمر ، ويشرع يحتسيها . ترمقه أجرافينا من زاوية عينها وتتنهد .) أنت تحسين بعض الأسف القليل من أجلي ، أليس كذلك ؟

أجرافينا : ذلك ما يرثى له كثيراً . أنت كليُّ الصراحة والبساطة مع كل إنسان . ولست تشبه البتة معظم العامة .

ياكوف : لكن كون هنا لا يرثي لأحد مطلقاً. إنه لا يفعل سوى التفلسف. ينبغي لك أن تهين المرء أعظم الاهانة كي تحمله على مباشرة التفكير، أليس هذا صحيحاً، يا كون؟ (يدوّي صوت الجنرال من الخيمة صائحاً: «هاي، يا كون!») أخمّن أنهم يعاملونك بقسوة كثيرة، وهذا ما يجعلك على كل هذا الذكاء.

كون (مغادراً المكان): إن رؤية هذا الجنرال وحدها تكفي لتجعل مني أبله غبياً.

الجنرال (منبثقاً من الخيمة): كون! إلى النهر! بسرعة!

(يختفيان في الحديقة.)

ياكوف (يجلس ويترنح إلى الخلف والأمام على مقعده): أما تزال زوجتي نائمة؟

أجرافينا : كلا، لقد استيقظت واستحمت أيضاً.

ياكوف : هكذا ترثون لي!

أجرافينا : ينبغي لك أن تتناول أدوية.

ياكوف : حسناً، صبي لي قطرة من الكونياك.

أجرافينا : ربما كان من الأفضل ألا أفعل، يا ياكوف إيفانوفيتش.

ياكوف : لم لا؟ إن تمنعي عني كأساً، لن يُغيّر في الأمر شيئاً.

(تصب له أجرافينا، متنهدة، كأساً كبيرة من الكونياك.

يدخل ميخائيل سكروبوتوف مسرعاً، يبدو عليه الاضطراب بشكل وضوح، يشد بعصبية لحيته السوداء المدببة، ويلعب بالقبعة التي يحمل في يده.)

ميخائيل : هل استيقظ زاخار إيفانوفيتش! لم يفق بعد؟ كان يجب أن أتوقع ذلك! أعطني ... أثمة حليب مبرد؟ شكراً. صباح الخير.

يا يا كوف إيفانوفيتش، هل سمعت الأخبار ؟ أولئك الأوغاد يطلبون مني أن أسرح رئيس العمال ديشكوف . وقد هددوا بالاضراب عن العمل إذا لم أفعل ذلك ، أخذهم الشيطان .

ياكوف : هيا ، وسرّحه .

ميخائيل : سيكون ذلك على شيء كثير من السهولة ... لكنك ترى ... المشكلة ليست هنا . المشكلة هي أن الاذعان يفسدهم ... اليوم يطلبون أن أسرح رئيس العمال ، وغداً يريدونني أن أشنق نفسي في سبيل تسليتهم .

يا كوف (بلطف) : أتعتقد أنهم سينتظرون حتى الغد كي يريدوا ذلك ؟

ميخائيل : يبدو أنك تحسب أن في ذلك ما يضحك ! لأود أن أراك تجرب أن تسوس هؤلاء السادة القذرين ... ما يقارب الألف منهم، وقد امب مختلف البشر برؤوسهم ... بما فيهم أخوك العزيز بليبرالتيه، وأغبياء آخرون بأوراق متنوعة ... (ينظر إلى ساعته .) الساعة العاشرة تقريباً ، وهم يهددون أن يبدأوا تسليتهم بعد الافطار . آه أجل ، يا يا كوف إيفانوفيتش . مما لا ريب فيه أن أخاك صنع وجبة رائعة من الأشياء في المعمل عندما كنت بعيداً أقضي إجازتي. لقد أفسد الناس جميعاً بنقص صرامته .

(يدخل سينتزوف من الناحية اليمنى . إنه في الثلاثين تقريباً ، وفي محياه وتقاسيم وجهه شيء هادئ كثير الغموض .)

سينتزوف : يا ميخائيل فاسيليفيتش ! إن ممثلين عن العمال قد قدموا إلى المكتب، وهم يطلبون مقابلة صاحب المعمل .

ميخائيل : يطلبون ؟ كن على قدر كاف من الطيبة كي ترسلهم إلى الشيطان.

(تدخل بولينا من اليسار .) إصفحي عني ، يا بولينا ديمتريفنا !

بولينا (برشاقة) : يبدو أنك معتاد على إطلاق السباب والشتائم ! ولكن ما هي المناسبة هذه المرة ؟

ميخائيل : إنها تلك « البروليتاريا » . إنهم « يطلبون !» . كانوا يأتون إليّ فيما مضى « بالتماسات » ممتثلة .

بولينا : إنك كثير القسوة مع الناس ، أؤكد لك .

ميخائيل (يلوّح بيديه باستسلام) : وأنت أيضاً !

سينتزوف : ماذا ينبغي لي أن أقول للممثلين ؟

ميخائيل : فلينتظروا ! عُدْ إليهم .

(يغادر سينتزوف المكان على مهلته .)

بولينا : إن لهذا الرجل وجهاً يبعث على الاهتمام . هل مضى عليه زمن طويل وهو يشتغل لنا ؟

ميخائيل : حوالي العام فيما يبدو .

بولينا : يوحي بأنه فتى أديب مهذب رفيع التربية . من هو ؟

ميخائيل (يهز كتفيه) : يتناول أربعين روبلاً في الشهر . (يتطلع إلى ساعته ، يتنهد وينظر حواليه ، فتقع أبصاره على بولوجي تحت إحدى الأشجار .) ماذا تفعل هنا ؟ هل أتيت لرؤيتي ؟

بولوجي : كلا، يا ميخائيل فاسيليفيتش ! لقد جئت لرؤية زاخار إيفانوفيتش.

ميخائيل : ولمه ؟

بولوجي : بخصوص اعتداء على حقوق ملكية .

ميخائيل (متوجهاً إلى بولينا) : إسمحي لي أن أقدم مستخدماً آخر من مستخدمينا . شخص يلذّ له الاعتناء بالحدائق . وإنه لعلى جهل

مطلق من أن كل شيء على وجه البسيطة قد خُلق لهذا الهدف الوحيد ، ألا وهو إلحاق الأذى بمصالحه . كل شيء يضجره : الشمس ، وإنكلترا ، والآلات الجديدة ، والضفادع ...

بولوجي (مبتسماً) : إسمح لي أن ألاحظ أن الضفادع تضجر كل الناس على حدٍّ سواء عندما تأخذ بالنقيق .

ميخائيل : عد إلى المكتب ! ما هذه العادة التي تجعلك تترك كل شيء في مكانه وتأتي بالشكوى ؟ لا أحب ذلك مطلقاً . اغرب عن وجهي .

(ينحني بولوجي ويغادر المكان ، فيما تبتسم بولينا وتروح تراقبه من وراء نظارتها .)

بولينا : ما أشد صرامتك ! إنه شخص مسلٍ . ليخيل إليّ أن الناس في روسيا أشد أطواراً منهم في الغرب .

ميخائيل : إذا قلت إنهم ذوو أطوار غير طبيعية ، وافقتك فيما تذهبين إليه . إني أداري الناس منذ خمسة عشر عاماً . ولقد أخذت فكرة ممتازة عن الشعب الروسي النبيل كما يصفه كتابنا الاكليريكيون .

بولينا : الاكليريكيون ؟

ميخائيل : بالطبع . جميع أصحابك من أمثال تشيرنيشفسكي ، ودوبروليوبوف ، وزلاتوفراتسكي ، وأوسبنسكي . (ينظر في ساعته .) لشدّ ما تأخر زاخار إيفانوفيتش في المجيء !

بولينا : أتعلم ما الذي يؤخره ؟ إنه ينهي شوط شطرنج العشية مع أخيك .

ميخائيل : أنت تمزحين ! وهناك في المعمل يهددون بالاضراب عن العمل بعد الافطار ! يمكنك أن تتأكدي أن شيئاً حسناً لن يخرج من روسيا . هذا حق لا مراء فيه . إنها بلد الفوضى ! قرف عضوي

من أي عمل كان ، عجز تام عن تحقيق النظام ! وليس ثمة أدنى احترام للقانون ..

بولينا : ولكن ذلك طبيعي بكل بساطة . كيف يمكن أن يكون احترام للقانون في بلد ليس فيه قانون ؟ بيني وبينك ، إن حكومتنا ..

ميخائيل : آه ، أجل ! أنا لا أبرر أي إنسان . الحكومة أيضاً . خذي الأنكلوساكسونيين مثلاً . (يدخل زاخار باردين ونيقولاي سكروبوتوف .) لا يمكن أن تجدي مواد أفضل لتبني بها دولة . إن الرجل الانكليزي يتخطر أمام القانون على قائمتيه الخلفيتين مثل جواد السيرك . ثمة إحساس بالقانون في عظامه ، في عضلاته نفسها . صباح الخير ، يا زاخار إيفانوفيتش ! مرحباً ، يا نيقولاي! اسمحا لي أن أخبركما بالنتائج الأخيرة لسياستكما الليبرالية مع العمال: إنهم يطلبون أن أسرح ديشكوف فوراً ، مهددين بالاضراب عن العمل بعد الافطار إذا لم أفعل ذلك .. حسناً ، كيف تجدان هذا ؟

زاخار (يحك جبهته): أنا ؟ هم ـ م ـ م . ديشكوف ؟ ذاك الفتى الذي يستعمل قبضتيه على الدوام ؟ وثمة بعض القضايا مع الفتيات أيضاً ؟ بكل تأكيد يجب أن نسرحه. ذلك عدل بكل بساطة .

ميخائيل (وقد ازدادت معالم محياه خطورة) : يا الله ! فلنتكلم بصورة جدية في هذا الموضوع ، أيها الشريك المحترم ! ليست القضية قضية عدالة، بل عمل .. العدالة من شأن نيقولاي وحده . وإني لمجبر على الاشارة مرة أخرى ، وأنا أسألك المعذرة ، إلى أن مفهومك عن العدالة هدّام بالنسبة إلى العمل

زاخار : إصفح عني ، ولكن ذلك مبهم .

بولينا : لقد ظل يتكلم بموضوع المعمل في وجودي طوال الصباح !

ميخائيل : ألف معذرة ، تعني لا بدّ لي من الاستمرار . إني أعتبر هـــذا الحديث حاسماً . قبل أن أرحل لقضاء عطلتي ، كنت أمسك المعمل في يدي هكذا (يشير إلى قبضته المنضمة) ، وما كان أحد يجرؤ أن يبدي أدنى زقزقة ! وإنك لتعلم أني لم أرَ قط أدنى فائدة في سائر تلك التسليات الأحدية ـ حلقات قراءة وما يشبه هذا الهراء ـ في ظروفنا الراهنة .. إن الفكر الروسي الفج لا يمكن أن يلتهب بنور العقل عندما تقع عليه شرارة من معرفة . إنه لا يفعل إذن سوى العسعسة وإرسال الدخان !

نيقولاي : ينبغي للمرء أن يتحدث بهدوء دائماً .

ميخائيل (متمالكاً زمام نفسه بصعوبة) : شكراً لك من أجل نصيحتك . إنها صحيحة كل الصحة! ولكنني لا أستطيع لها قبولاً من سوء الحظ . إن موقفك من العمال، يا زاخار إيفانوفيتش، قد زعزع ونسف خلال ستة شهور الأساس المتين الذي قضيت ثمانية أعوام في بنائه. لقد كسبت احترام العمال ، فهم ينظرون إليّ على اعتباري سيداً لهم . أما الآن فمن الواضح بالنسبة إلى كل إنسان أن ثمة سيدين ، سيد لطيف وآخر وضيع . وأنت ، طبعاً ، هو السيد اللطيف .

زاخار (مضطربا) : ولكن ، يا إلهي .. ما الذي يحملك على الحديث هكذا ؟

بولينا : ذلك أمر غريب قوله ، يا ميخائيل فاسيليفيتش !

ميخائيل : لديّ أسباب تحملني على الحديث بهذا الأسلوب . لقد وضعتني في مركز سخيف . عندما أثيرت هذه القضية آخر مرة أخبرت

العمال أني أفضل إغلاق المعمل على تسريح ديشكوف . ولقد أدركوا أني أعني ما أقول فهدأت ثائرتهم. ولكنك في يوم الجمعة، يا زاخار إيفانوفيتش ، قد أخبرت ذلك الفتي جربكوف أن ديشكوف إنسان فظ ، وأن في نيتك تسريحه .

زاخار (بلهجة مصالحة) : ولكن يا عزيزي ، إذا كان لا يبرح يالكم سائر الناس على حنكهم ويرتكب مثل هذه الأفعال دون انقطاع ؟ يجب أن توافق على أننا لا نستطيع القبول بمثل هذه الأشياء . نحن أوروبيون. نحن شعب متمدن .

ميخائيل : قبل كل شيء نحن أصحاب معمل . إن العمال يضربون بعضهم بعضاً في كل عيد أو عطلة : شأننا نحن في ذلك . ولكن ينبغي لك أن تؤجل في الوقت الراهن تلقين العمال الأخلاق الحسنة . إن ممثليهم ينتظرونك هذه اللحظة بالضبط في المعمل ، وسوف يطلبون أن تسرح ديشكوف . ماذا في نيتك أن تفعل ؟

زاخار : أترى أن ديشكوف ضروري حتى هذه الدرجة ؟

نيقولاي (بجفاء) : بمقدار ما أفهم هذه الأمور ، فاني أجد أن القضية ليست قضية فرد ، بل قضية مبدأ .

ميخائيل : بالضبط ! إنها قضية من هو السيد في المعمل ـ أنت وأنا، أم العمال!

زاخار (في حيرة) : أجل ، إني أفهم . لكن ..

ميخائيل : إذا خضعنا لهم الآن ، فليس من يدري ما عساهم يطلبون بعد ذلك. إنهم عصبة وقحة ... ستة شهور من هذه المدارس الأحدية ، وأنظر إلى أية مرحلة قد وصلنا . إنهم ينظرون إليّ مثل قطيع من الذئاب . ولقد أصدروا منذ الآن بعض المناشير . إنها تفوح

رائحة الاشتراكية . بلى ، إنها تفوح بتلك الرائحة .

بولينا : إن الاشتراكية في غير محلها في مثل هذا المكان ! إن لها بالأحرى اصدي مضحكاً ، أليس كذلك ؟

ميخائيل : أتحسبين ؟ يا عزيزتي بولينا ديمتربيفنا ، إن الأطفال يبعثون على التسلية وهم ما برحوا صغاراً . ولكنهم يكبرون شيئاً فشيئاً ، فاذا أنت تجدين نفسك ، بصورة مباغتة ، وجهاً لوجه أمام أوغاد كبار .

زاخار : ماذا تنوي أن تفعل ؟

ميخائيل : سأغلق المعمل . فليجوعوا بعض الوقت ، وسوف تفتر هممهم . (ينهض ياكوف ، ويقترب من المائدة ويجرع قدحاً ، ثم يغادر المكان على مهلته .) لن نكاد نغلق المعمل حتى يتدخل النساء ويبدأن البكاء ـ ودموع النساء أشبه بريح من الأملاح المروحة تهب على أولئك الذين أصابتهم الأحلام بالدوار . إنها تردهم إلى الصواب فوراً .

بولينا : إن في حديثك لقسوة .

ميخائيل : أجل ، في ذلك قسوة . إن الحياة تتطلب مثل هذه القسوة .

زاخار : ولكن .. مثل هذا التدبير .. أتعتقد أنه ضروري بصورة مطلقة ؟ يخيل إلي .. أفليس فيه تجاوز قليل للحدود ؟ ..

ميخائيل : أتستطيع أن تقترح أي شيء آخر ؟

زاخار : ماذا إذا ذهبتُ وتحدثت إليهم ؟

ميخائيل : سوف تستسلم لهم طبعاً ، وعندئذ لا يعود وضعي يطاق . أسألك المغفرة ، ولكن لابد لي من القول إن تذبذبك يكاد أن يكون إهانة موجهة إلي . هذا إذا لم أقل شيئاً عما بسببه من

ضرر وأذى .

زاخار (في اندفاع) : ولكن ، يا صاحبي العزيز ، أنا لا أعترض . إني أجرب أن أجد لذلك حلاً بكل بساطة. يجب أن تفهم أني جنتلمان ريفي أكثر مني رجلاً صناعياً ! وهذا كله جديد علي ، وكثير التعقيد بالاضافة . إني أحب أن أرى العدالة تتحقق ، فالفلاحون ألطف وأطيب طبيعة من العمال . وإني لأتدبر الأمور معهم بصورة ممتازة . ويصوّر إلي أن بين العمال بعض الوجوه الباعثة على كثير من الاهتمام . أما بصورة إجمالية .. فاني أوافقك .. إنهم كثيرو الغطرسة .

ميخائيل : وبصورة خاصة ، منذ قدمت لهم تلك الوعود كلها.

زاخار : ولكنك ترى ذلك جيداً . لم تكد تذهب حتى شرعت ألاحظ نوعاً من القلق .. بل كان ثمة اضطرابات أيضاً . ربما لم أكن حذراً بصورة كافية . ولكن لم يكن بد من تهدئة العمال . وقد كتبت أشياء عنا في الصحف .. وأشياء قاسية جداً ، يجب أن أعلن ذلك .

ميخائيل (بنفاد صبر) : الساعة الآن الدقيقة السابعة عشرة بعد العاشرة . ولمن الضروري الانتهاء إلى قرار ما . إن الوضع الراهن يتطلب مني إما إغلاق المعمل وإما الاستقالة . إذا أغلق المعمل لم نتحمل أية خسارة، فقد اتخذت سلفاً سائر الاحتياطات اللازمة ، إذ تختلف طلباتنا المستعجلة حاضرة، وثمة بعض البضائع الاحتياطية في المخازن .

زاخار : هم - م - م ! إني أفهم. لا بد من اتخاذ قرار في الحال. ما رأيك، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي : رأيي أن أخي على حق . إذا كنا نقدر المدنية ، فمن الضروري التمسك بالمبادىء بصورة حازمة .

زاخار : هذا يعني أن من رأيك أنت الآخر أن تغلق المعمل؟... يا حرام ! يا عزيزي ميخائيل فاسيليفيتش ، أرجوك ألا تغضب مني . سوف أعطيك جوابي خلال ـ فلنقل عشر دقائق ..أيكفي هذا ؟

ميخائيل : حسناً.

زاخار (يذهب من ناحية اليسار مسرعاً) : بولينا ، أرجوك أن تأتي معي ..

بولينا (تلحق بزوجها) : يا الله ! لشد ما في كل هذا من مضايقات !

زاخار : لقد اكتسب الفلاح ، خلال الأجيال ، شعوراً فطرياً بالاحترام تجاه طبقة النبـــلاء .

(يخرجان .)

ميخائيل (من خلال أسنانه): يا للمخنث ! إنه يستطيع أن يقول ذلك بعد المذابح الزراعية في الجنوب ! الأحمق !

نيقولاي : الأمر بسيط ، يا ميخائيل ! لماذا تفلت زمام نفسك هكذا ؟

ميخائيل : لقد تمزقت أعصابي إرباً إرباً ، أفلا تستطيع فهم ذلك ؟ إني ذاهب إلى المعمل و ... أنظر ! (يتناول مسدساً من جيبـــه .) إنهم يكرهونني ، بفضل ذلك الأبله . ولكني لا أستطيع أن أتخلى عن كل شيء . لسوف تكون أنت أول من يلومني إذا فعلت ذلك ... رأسمالنا كله في هذا المصنع .. إذا ذهبت ، فان ذلك المجنون الأصلع سيدمر كل شيء .

نيقولاي : (بهدوء) : ذلك سيىء ، إذا كنت لا تبالغ فيه .

سينتزوف (يدخل) : إن العمال يطلبونك .

ميخائيل : أنا ؟ ماذا يجري ؟

سينتزوف : ثمة إشاعات تقول إن المصنع سيغلق أبوابه بعد الافطار .

ميخائيل (لأخيه) : أسمعت هذا ؟ كيف عرفوا ذلك ؟

نيقولاي : إن ياكوف إيفانوفيتش قد أخبرهم به بشكل تأكيد .

ميخائيل : لعنة الله على كل هذا ! (ينظر إلى سينتزوف بهياج لا يستطيع إلى إخفائه سبيلاً .) لمَ أنت معني بهذا الأمر حتى هذه الدرجة، أيها السيد سينتزوف ؟ لا تبرح تأتي إلى هنا ، وتطرح الأسئلة... ما معنى ذلك ؟

سينتزوف : إن المحاسب قد طلب مني أن أدعوك .

ميخائيل : حقاً ! من أين اكتسبت عادة التكشير هذه ، ولوي شفتيك هكذا بصورة شيطانية ؟ هل أجرؤ على سؤالك عما يسعدك حتى هذه الدرجة ؟

سينتزوف : يخيل إلي أن ذلك من شأني وحدي .

ميخائيل : رأيي يختلف عن رأيك. أنصحك أن تكون أكثر احتراماً نحوي في المستقبل ، هل تسمع ؟

(سينتزوف يشخص إليه بنظرة ثابتة.)

ميخائيل : حسناً ، ما الذي تنتظره ؟

تاتيانا (تدخل من اليمين) : آه ، هذا هو المدير . هل أنت في عجلة من أمرك؟

(تصيح بسينتزوف) مرحباً ، ياماتفي نيقولاييفيتش !

سينتزوف (بحرارة) : صباح الخير . كيف حالك ؟ أفلست متعبة ؟

تاتيانا : كلا ، لست متعبة . ذراعاي وحدهما يؤلمانني من التجذيف . هل أنت ذاهب إلى المعمل ؟ سأصحبك حتى البوابة . أتعرف ما أريد

أن أخبرك به ؟

سينتزوف : كلا ، طبعاً .

تاتيانا (تسير إلى جانب سينتزوف) : لقد كان فيما قلت البارحة شيء كثير من الذكاء ، إنما كان فيه شيء أكثر من العاطفة والحكمة . ثمة بعض الأحاديث التي يزداد حظها من الاقناع بمقدار ما ينقص نصيبها من العاطفة ... (الحديث يصبح غير مسموع .)

ميخائيل : هذا وضع رائع بالنسبة إليك . إن المستخدم الذي طلبته لتوّك كي تحاسبه على وقاحته يدلل أمام عينيك بالضبط عما يربطه من أواصر الألفة مع زوجة أخ شريكك . إن الأخ سكير ، وزوجته ممثلة . أما ما جاء بها إلى هنا ، فذلك أمر لا يعرفه سوى الشيطان .

نيقولاي : إنها امرأة غريبة – مظهرها لائق ، وهي تعرف كيف تلبس ، وفي الوقت نفسه تعقد صلات مع إنسان مملق . إنها غريبة الأطوار ، لكنها حمقاء .

ميخائيل (بسخرية) : ديموقراطية . إنها ابنة معلم ريفي كما تعلم ، وهي تقول إنها تنجذب أبداً إلى عامة الناس ... لماذا ربطت نفسي ، بحق الشيطان ، بهؤلاء السادة الريفيين ؟

نيقولاي : حسناً ، لا أستطيع أن أقول إن ذلك على قدر كبير من السوء . إنك رئيس هذه القضية كلها .

ميخائيل : سوف أكون كذلك . إذ أني لم أصبح رئيساً بعد .

نيقولاي : ليخال لي أن الوصول إليها على قدر من السهولة ، فهي كثيرة الشهوانية فيما يبدو .

ميخائل : اين عسى يكون ذلك المتحرر ؟ لا بدّ أنه عاد أدراجه إلى السرير .

كلا ، أقول لك إن روسيا عاجزة عن صنع الخير . إن الناس قد اختلطوا جميعاً بيعضهم بعضاً ، فلا أحد يعرف مكانه ، وكل إنسان يضرب على غير هدى ، حالماً متوثراً . ولقد صُنعت الحكومة من عصابة من أنصاف المجانين ــ عصابة من البلهاء الوضيعين الذين لا يفهمون شيئاً ، ولا يستطيعون أن يصنعوا أي شيء على الاطلاق .

تاتيانا (تعود) : ما بالك تصيح ؟ ثمة سبب يدفع الجميع إلى الصياح !

آجرافينا : يا ميخائيل فاسيليفيتش ، إن زاخار إيفانوفيتش يطلبك .

ميخائيل : أخيراً !

تاتيانا (تجلس إلى المائدة) : ما باله على هذا الاضطراب ؟

نيقولاي : لا أعتقد أنك ستجدين في ذلك أدنى أهمية .

تاتيانا (بهدوء) : إنه يذكرني بشرطي عرفته مرة . كثيراً ما كان هذا الشرطي يقوم بواجبه في مسرحنا في كوستروما ــ وهو طويل ناحل جاحظ العينين .

نيقولاي : لست أرى وجه الشبه بينه وبين أخي .

تاتيانا : لست أتحدث عن شبه حكمي . لقد كان ذلك الشرطي أيضاً في عجلة من أمره على الدوام ، يعدو وراء شيء ما . لم يكن يسير ، بل يركض ؛ لم يكن يدخن ، بل يلتهم اللفائف . كان يبدو كأنه لا يعيش ، بل لا يبرح يقفز بكل بساطة ويتشقلب في الهواء في اندفاعه خلف شيء ما ــ ولكن أي شيء ، هذا ما لم يكن يعرفه فعلاً ؟

نيقولاي : أتعتقدين أنه ما كان يعرف فعلاً ؟

تاتيانا : إني مقتنعة بذلك . عندما يكون للمرء هدف واضح ، فانه يسعى إليه بهدوء إذن . أما ذلك الفتى فقد كان يعدو على الدوام . و كان ذلك عدْواً من نوع خاص . كان شيء ما لا يبرح يجلده من الداخل ،

فهو يركض ويركض، معترضاً سبيله الخاص وسبيل كل إنسان آخر. لم يكن شرهاً ـ ليس بالمعنى الضيق للكلمة. لقد كان فقط متلهفاً، بشره، إلى إنجاز كل ما يجب إنجازه، كي يخلص نفسه من واجباته كلها، بما فيها واجب تقاضي أجوره. لم يكن يتقاضى الأجور ـ كان يختطفها. ولقد كان يختطفها بسرعة عظيمة حتى لينسى أن يقول شكراً. وأخيراً داسته بعض الجياد وقتلته.

نيقولاي : أتريدين أن تقولي إن فعالية أخي ينقصها الهدف الذي تتوجه إليه؟

تاتيانا : أهكذا يتضح من حديثي؟ كلا، ليس هذا ما أردت أن أقول. إن أخاك يذكرني، بكل بساطة، بذلك الشرطي.

نيقولاي : ليس في هذا ما يثني على أخي، كما يتضح لي.

تاتيانا : ليس في نيتي أن أثني عليه مطلقاً.

نيقولاي : إن لك لأسلوباً مبتكراً في المداعبة.

تاتيانا : حقاً؟

نيقولاي : أجل. لكنه ليس بالأسلوب المرح كثيراً.

تاتيانا (بهدوء) : أيمكن لامرأة أن تكون مرحة معك؟

نيقولاي : أو ـ هو!

بولينا (تدخل) : ليس شيء يسير على ما يرام اليوم فيما يبدو. ليس إنسان يتناول إفطاره، والجميع مهتاجون على حد سواء، فكأنهم لم ينالوا قسطاً من النوم يكفيهم. لقد ذهبت ناديا في وقت مبكر هذا الصباح إلى الغابات تقطف بعض الفطور بصحبة كيلوباترا بتروفنا... ولقد سألتها البارحة ألا تفعل ذلك. يا للسماوات! لشدّ ما أصبحت الحياة صعبة!

تاتيانا : أنت تكثرين من الطعام .

بولينا : لمَ هذه اللهجة ، يا تاتيانا ؟ إن موقفك من الناس غير طبيعي بكل بساطة .

تاتيانا : حقاً ؟

بولينا : ليس أيسر من النظر إلى الأمور بهدوء عندما لا يملك المرء شيئاً. فهو بذلك حرٌّ من كل مسؤولية. ولكن عندما يرتبط آلاف الناس به من أجل طعامهم... ليس هذا هزلاً .

تاتيانا : كفي عن إطعامهم، وليعيشوا كيفما يروقهم . ردّي إليهم كل شيء— المعمل ، والأرض ، وعيشي بسلام .

نيقولاي (يشعل لفافة) : من أية مسرحية اقتبست هذا ؟

بولينا : لا أستطيع أن أفهم لماذا تقولين مثل هذه الأشياء ، يا تانيا . يجب أن تري مبلغ اضطراب زاخار . لقد قررنا أن نغلق المعمل فترة من الزمن ، حتى تهدأ ثائرة العمال . لكن تصوري مبلغ ما في ذلك من صعوبة ! إن مئات الناس سيلقى بهم دونما عمل . وإن لهم أولاداً ... هذا فظيع !

تاتيانا : لا تغلقوا المعمل إذا كان الأمر على مثل هذه الفظاعة ! لماذا تعذبون أنفسكم ؟

بولينا : أواه ، يا تانيا ! لشدّ ما تبعثين على النقمة ! إذا لم نغلق المعمل ، فسوف يستمر العمال في إضرابهم ، وسوف يكون ذلك أسوأ من وقف العمل .

تاتيانا : ما الذي سيكون أسوأ ؟

بولينا : كل شيء بصورة عامة . نحن لا نستطيع ، بكل تأكيد ، تلبية سائر

طلباتهم ، وهم الآن لا يعرفون طلباتهم . لقد شرعوا يزعقون بكل بساطة كما علمتهم عصابة من الاشتراكيين أن يفعلوا ! (بحمية) لا أستطيع أن أفهم ذلك ! إن الاشتراكية تحتل مكانها الخاص في الغرب ، وزعماءها يقومون بنشاطهم بصورة علنية . أما معنا ، ههنا في روسيا ، فانهم يأخذون العمال إلى الزوايا ويهمسون في آذانهم بما يريدون ، متجاهلين تماماً هذه الحقيقة، ألا وهي أن الاشتراكية لا مكان لها في نظام ملكي ! إنه الدستور ما نحتاج ، لا الاشتراكية . ما رأيك، يا نيقولاي فاسيليفيتش؟

نيقولاي (يضحك ضحكة مقتضبة) : رأيي يختلف كل الاختلاف . إن الاشتراكية حادث عظيم الخطر . ويمكن أن تجد تربة خصيبة في بلد لا يملك فلسفة جنس مستقلة إذا صح التعبير ؛ بلد كل شيء فيه يُختطف اختطافاً بصورة هوجاء سريعة . نحن متطرفون . وهذه هي نقطة الضعف فينا .

بولينا : أوه ، إن هذا على قدر كبير من الصحة ! نحن متطرفون .

تاتيانا (تنهض) : وبصورة خاصة أنت وزوجك . والمدعي العام هنا .

بولينا : ماذا تعرفين عن ذلك ، ياتانيا ؟ ليعتبر زاخار واحداً من الحمر في حكومتنا . (١)

تاتيانا (تسير جيئة وروحة) : أعتقد أنه انقلب أحمر بدافع الخجل ليس غير ، وهو ليس كذلك في كثير من الأحيان .

بولينا : تانيا ! ماذا ألمَّ بك بربك ؟

---

(١) كانت روسيا، في عهد القياصرة ، مقسمة إلى عدة حكومات تجمع بينها حكومة مركزية (المترجمان).

تاتيانا : لماذا، أفي ذلك ما يسيء؟ لم أكن أعرف. ليخيل إليّ أن حياتكم أشبه بمسرحية يمثلها هواة. لقد أسيء توزيع الأدوار، وليس إنسان يتحلى بأية موهبة. وكل واحد يمثل بصورة فظيعة. وتظل المسرحية دونما أدنى معنى.

نيقولاي : ثمة بعض الحقيقة فيما تقولين. وإن كل واحد يشكو من الضجر المسبب عن المسرحية.

تاتيانا : أجل لقد أفسدنا المسرحية، ويتراءى لي أن النظارة في الشرفة والصالة قد شرعوا يدركون ذلك. ولسوف يطردوننا عن خشبة المسرح يوماً ما.

(يدخل الجنرال و كون .)

نيقولاي : أفلست تبائعين قليلاً ؟

الجنرال (ينادي) : بولينا! شيئاً من الحليب للجنرال! هُوْ هُوْ! شيئاً من الحليب البارد!... (إلى نيقولاي) مرحباً، يا كفناً قديماً للقوانين!... يدكِ، يا ابنة أخي الفاتنة! كون، أسْمِعْ أمثولتك: ما هو الجندي ؟

كون (ضجراً) : أي شيء يريده رئيسه، يا صاحب السعادة!

الجنرال : أيستطيع الجندي أن يكون سمكة، إيه ؟

كون : يجب أن يكون الجندي قادراً على أن يكون أي شيء كان.

تاتيانا : عماه العزيز، لقد سلّيتنا بهذا المشهد البارحة. أيجب أن يتكرر علينا كل يوم ؟

بولينا (متنهدة) : كل يوم بعد حمامه.

الجنرال : أجل كل يوم حقاً. وشيء متنوع على الدوام. ينبغي لهذا المرح

العجوز أن يصنع الأسئلة وأن يجيب عليها من تلقاء نفسه .

تاتيانا : أتستمتع بذلك ، ياكون ؟

كون : إن سعادته يستمتع به .

تاتيانا : ولكن أنت ؟

الجنرال : إنه يحبُّ ذلك ، هو الآخر !

كون : أنا متقدم كثيراً في السن كي أصلح للسيرك . ولكن ، مادام المرء يريد أن يأكل ، فلا بدَّ له من التكشير والصبر على ذلك .

الجنرال : أنت ، أيها الوغد العجوز المكّار ، أنت ! يميناً در ! إلى الأمام ، سر !

تاتيانا : أفلا تتعب أبداً من الهزء من هذا الرجل الشيخ ؟

الجنرال : رجل شيخ أنا الآخر . ولكني قد تعبت منك أيضاً . ينبغي أن تكون الممثلة مسلية . وأنت لست كذلك بكل تأكيد .

بولينا : عماه ، أنت تعلم ...

الجنرال : أنا لا أعلم شيئاً البتة ...

بولينا : إننا نغلق المعمل ...

الجنرال ماذا ؟ عظيم ! لن يكون صفير بعد الآن إذن ! في وقت مبكر من الصباح ، في منتصف رقاد عميق بالضبط - أو - أو - أو - أو ! ألا فاغلقوه !

ميخائيل (يدخل مسرعاً) : نيقولاي ، دقيقة واحدة ! (جانباً) حسناً ، لقد أغلق المصنع ، ولكن يفضل أن نتخذ بعض التدابير ، في حالة ... أرسل برقية إلى نائب الحاكم ، أخبره بالحالة بصورة مقتضبة ، واسأله أن يرسل جنوداً . وقّع باسمي .

نيقولاي هو صديقي أيضاً .

ميخائيل : سوف أرسل أولئك الممثلين إلى الشيطان. لا تحدث أحداً بموضوع البرقية . سوف أخبرهم ذلك بنفسي عندما يحين الأوان. اتفقنا ؟

نيقولاي : اتفقنا .

ميخائيل : إن المرء لينتابه إحساس رائع حين يجبر الأمور على أن تسير حسب إرادته . إني أكبر منك في السن ، لكني أصغر منك في الروح، أفلا تعتقد ذلك ؟

نيقولاي : ليس هذا شباباً ، بل عصبية ، إذا سألتني رأيي .

ميخائيل : حسناً ، سوف أريك إن كانت عصبية أم لا . سوف ترى !

(يخرج ، وهو يضحك .)

بولينا : هل قرروا أن يفعلوا ذلك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟

نيقولاي (وهو يخرج) : فيما يبدو .

بولينا : أيتها السماوات الطيبة !

الجنرال : ماذا قرروا أن يفعلوا ؟

بولينا : أن يغلقوا المعمل .

الجنرال : أوه ، هذا ... كون !

كون : حاضر !

الجنرال : هات صنارات الصيد والقارب .

كون : كل شيء جاهز .

الجنرال : إني غادٍ أتسلى بالصيد . هذا أعقل من الجلوس بين الناس الذين يسيئون إليك . (يضحك .) لقد عبّرت عن ذلك حسناً ، أليس كذلك ؟

(تدخل ناديا راكضة) آه ، يا فراشتي الحلوة ! ما الذي يجري ؟

ناديا (سعيدة) : مغامرة ! (تستدير وتنادي) أرجوك أن تأتي إلى هنـــا !

جريكوف : لا تسمحي له بالذهاب ، يا كليوباترا بتروفنا ! إذ خرجنا من الغابة بالضبط ، يا عمتي ، وقمنا فجأة على ثلاثة عمال سكارى ...

بولينا : هكذا إذن ! لقد قلتُ لك دائماً...

كليوباترا (يتبعها جريكوف) : أيمكن أن تتصوروا شيئاً أبعث على الاشمئزاز ؟

ناديا : لماذا يبعث على الاشمئزاز ؟ لقد كان ذلك على شيء كثير من الروعــة ! ثلاثة عمال ، يا عمتي ، يبتسمون جميعاً ويقولون : « يا سيداتنا الصغيرات العزيزات ! »

كليوباترا : سوف أطلب من زوجي بكل تأكيد أن يسرحهم.

جريكوف (مبتسماً) : لأي سبب ؟

الجنرال (إلى ناديا) : من هو هذا ... منظف مداخن ؟

ناديا : إنه ذلك الذي أنقذنا ، يا جداه ، أتفهم ؟

الجنرال : كلا ، لا أفهم شيئاً .

كليوباترا (إلى ناديا) : لكأن أي امرىء كان يستطيع أن يفهم بالطريقة التي رويت بها ذلك .

ناديا : لقد رويت ذلك كما حدث بالضبط .

بولينا : حسناً ، ليس أحد يستطيع أن يفهم شيئاً ، يا ناديا .

ناديا : ذلك أنكم لا تفتأون تقاطعونني !... لقد جاؤوا إلينا وقالوا : «أيتها السيدات ، لماذا لا تشاركننا في إنشاد أغنية ... »

بولينا : عظيم ! مثل هذه الوقاحة !

ناديا : لا شيء من هذا القبيل ! لقد قالوا : «سمعنا أنكن تغنين بصورة رائعة . » وقالوا : « بكل تأكيد ، إننا سكارى بعض الشيء ولكننا أفضل حين نكون كذلك . » وتلك هي الحقيقة ، ياعمتي .

عندما يكونون سكارى لا يكونون على كآبتهم المعتادة .

كليوباترا : من حسن حظنا أن ذلك الفتى ...

ناديا : إني أروي ذلك بصورة أفضل منك ! لقد شرعت كليوباترا بتروفنا تزجرهم ... وما كان يجب أن تفعلي ذلك ، إني على يقين من هذا . وعندئذ أقبل واحد منهم ، وهو الطويل الداحل بينهم ، على ...

كليوباترا (متوعدة) : إني أعرف من هو !

ناديا : أمسك بها من يدها وقال بحزن كثير : « إنك لسيدة فائقة الجمال ، عظيمة الروعة . ولمن دواعي السرور أن ينظر المرء إليك . ومع ذلك تزجرين وتعنفين . هل أسأنا إليك ؟ » لقد قال ذلك بلطف كثير ، من صميم قلبه . ولكن واحداً آخر - ولقد كان فظاً في الحقيقة - قد قال بعد ذلك : « ما هذه الفكرة العظيمة ، تتحدث إليهن ؟ فكأنهن يستطعن أن يفهمن أي شيء كان ! هن لسن بشراً ... إنهن حيوانات ! » يعني أننا نحن - حيوانات . هي وأنا . (تضحك .)

تاتيانا (ضاحكة) : يلوح أنك مسرورة بهذه الصفة .

بولينا : ماذا قلت لك ، يا ناديا ؟ إن كنت تصرين على التنقل في مثل هذه الأمكنة ...

جريكوف (إلى ناديا) : هل أستطيع الذهاب الآن ؟

ناديا : أوه ، كلا . أفلا تود أن تتناول قليلاً من الشاي ؟... أم الحليب ؟ أرجوك أن تتناول شيئاً !

(يضحك الجنرال ، وتهز كليوباترا كتفيها . تراقب تاتيانا جريكوف وتهجم بشيء ما بصورة هادئة . تطرق

بولينا برأسها وتركز انتباهها على الملاعق التي تنشفها بقطعة من القماش .)

جريكوف (مبتسماً) : كلا ، شكراً . لست أرغب في أي شيء .

ناديا (باصرار) : أرجوك ألا تكون خجولاً ... هؤلاء جميعاً قوم كثيرو اللطف ، صدقني .

بولينا (محتجة) : أوه ، ناديا !

ناديا (إلى جريكوف) : لا تذهب الآن ، فأنا لم أنته من رواية القصة كلها .

كليوباترا (مستاءة) : وبكلمة واحدة ، فان هذا الفتى قد ظهر في الوقت المناسب ، وأقنع رفاقه السكارى أن يتركونا في سلام . وقد طلبت منه أن يرافقنا حتى البيت ، وهذا كل شيء .

ناديا : آه ، يا للطريقة التي تروين بها ذلك ! لو أن الأمر كان هكذا ، فقد كنا نموت مللاً وسأماً .

الجنرال : حسناً ، والآن ماذا يجب أن نصنع بهذا ؟

ناديا (إلى جريكوف) : إجلس ! يا عمتي ، لماذا لا تدعينه للجلوس ؟ وما الذي يبعث الكآبة فيكم جميعاً ؟

بولينا (إلى جريكوف من حيث تجلس) : إني عظيمة الامتنان لك ، أيها الفتى .

جريكوف : أرجوك ألا تعيري ذلك أي اهتمام .

بولينا (بجفاء أكثر) : كان دفاعك عن هؤلاء الفتيات بادرة طيبة منك .

جريكوف (بهدوء) : لم تك حاجة للدفاع عنهن ، فان أحداً لم يسيء إليهن .

ناديا : ولكن ، ياعمتي ! كيف تستطيعين أن تقولي مثل هذا القول ؟

بولينا : يجب أن أسألك ألا تحربي تلقيني ما يجب وما لا يجب أن أقول.

ناديا : ولكن ألست ترين ـ أن ليس إنسان قد دافع عن أي إنسان . لقد

قال لهم بكل بساطة : « دعوهن لوحدهن ، أيها الرفاق . فذلك ليس بلطيف منكم.» ولقد كانوا سعيدين برؤيته ، فصاحوا : « جريكوف ! تعال معنا ! إنك فتى ذكي . » وفي الحقيقة إنه ذكي ، يا عمتي ... إصفح عني ، ياجريكوف ، ولكن تلك هي الحقيقة .

جريكوف (مبتسماً) : لقد ألقيت بي في مركز حرج للغاية .

ناديا : حقاً ؟ ولكني لم أقصد إلى ذلك ! لست أنا السبب ، بل هم ، ياجريكوف !

بولينا : ناديا ! أنت تعلمين أني لا أستطيع أن أطيق إفراطك . إنك تظهرين نفسك بذلك باعثة على السخرية بكل بساطة . كفى من كل هذا!

ناديا (بانفعال) : إذن هيا واضحكوا ! مابالكم تجلسون هنا كالبوم ؟ هيا واضحكوا !

كليوباترا : لتتمتع ناديا بموهبة عظيمة في تعظيم الهنيات ـ بإثارة كثير من الضوضاء والحماسة . وإن ذلك ليبعث على السرور بصورة خاصة في هذه الآونة ، أمام غريب يضحك منها كما ترون بأعينكم .

ناديا (إلى جريكوف) : أتضحك مني ؟ لماذا ؟

جريكوف (ببساطة) : إني أعجب بك ولا أضحك منك .

بولينا (مرتاعة) : ماذا ؟ عماه ...

كليوباترا (بضحكة صغيرة) : هكذا إذن !

الجنرال : حسناً ، كفى ! الأشياء الجيدة بالمقادير القليلة ! إليك ، أيها الفتى ، خذ هذا واذهب .

جريكوف (يستدير عنه) : شكراً لك ... لا لزوم لهذا .

ناديا (تغطي وجهها بيديها) : أواه ! كيف تجرؤ !

الجنرال (يوقف جريكوف) : إنتظر لحظـة ! هذه ورقة من فئة العشرة روبلات !

جريكوف (بهدوء) : حسناً ، وما معنى ذلك ؟

(يرين السكون على الجميع لبرهة وجيزة .)

الجنرال (مضطرباً) : م ... ا ... من أنت على أية حال ؟

جريكوف : عامل.

الجنرال : حداد ؟

جريكوف : كلا ، بل برّاد .

الجنرال (بجفاء) : سواء ذلك كله . لم لا تأخذ هذا المال ، إيه ؟

جريكوف : لأني لا أريده .

الجنرال (ثائراً) : هراء ، هكذا أسمي ذلك . ما الذي تريد ؟

جريكوف : لاشيء .

الجنرال : لعلك تود أن تطلب يد الفتاة ، إيه ؟

(يضحك ـ الجميع يتضايقون بسبب من نكتته.)

ناديا : أوه ! ... ما هذا الذي تقول ؟

بولينا : أرجوك ، ياعماه ...

جريكوف (بهدوء إلى الجنرال) : ما هو عمرك ؟

الجنرال (مدهوشاً) : ماذا ؟ أنا ؟... ماهو عمري ؟

جريكوف (بالنغمة ذاتها) : ما هو عمرك ؟

الجنرال (يتطلع حواليه) : ما معنى هـــذا ؟ إحدى وستون سنة ... ماذا في ذلك ؟

جريكوف (وهو يغادر المكان) : يجب أن تكون أكثر عقلا في مثل سنك .

الجنرال : ماذا ؟ يجب أن أكون أكثر عقلاً ... أنا ؟

ناديا (تركض خلف جريكوف) : أرجوك ... أرجوك ألا تغضب . إنه رجل عجوز . إنهم قوم كثيرو اللطف ، صدقني . بشرفي !

الجنرال : ما معنى كل هذا ، بحق الشيطان ؟

جريكوف : لا تبالي ... فكل هذا طبيعي تماماً .

ناديا : سبب ذلك الحرارة بالضبط ... إنهم في مزاج سيء ... وأنا قد أثرت اضطراباً عظيماً برواية هذه القصة .

جريكوف (مبتسماً) : لا أهمية لأسلوبك في روايتها ، إذ تستطيعين أن تكوني على يقين من أنهم لن يفهموك .

(يختفيان .)

الجنرال (مرتاعاً) : لقد جرؤ على أن يقول مثل هذا الشيء لي ... إيه ؟

تاتيانا : ما كان من شأنك أن تقدم له المال .

بولينا : أوه ناديا ! ناديا هذه !

كليوباترا : لله در أعصابه ! إليكم هذا الثائر الفخور ! سوف أطلب ، بكل تأكيد ، من زوجي ...

الجنرال : ذلك الجرو ؟

بولينا : ولكن ناديا لا تطاق ! تسير وإياه هكذا ! لقد أزعجتني كثيراً !

كليوباترا : هؤلاء الاشتراكيون عندكم يزدادون وقاحة يوماً بعد يوم ...

بولينا : ما الذي يحملك على الظن بأنه اشتراكي ؟

كليوباترا : أستطيع أن أرى ذلك . إن سائر العمال السافلين اشتراكيون .

الجنرال : سوف أنقل هذا إلى زاخار . وسوف نلقي اليوم هــذا الوقح خارج المعمل على أذنه .

تاتيانا : لقد أغلق المعمل .

الجنرال : لا أهمية لذلك ... على أذنه !

بولينا : تانيا ، اذهبي ونادي ناديا . أرجوك أن تفعلي ذلك . قولي لهــا إني مرتاعة بكل بساطة .

(تخرج تانيا .)

الجنرال : ياللطغام! ما هو عمري ، إيه؟

كليوباترا : أولئك السكارى صفروا لنــا ... وأنتم لا تفتأون تدللونهم ... يحضرون الحلقات الدراسية وما شابه . أي معنى في ذلك ؟

بولينا : أجل ، أجل ، تلك هي الحقيقة . تصوروا فقط ، فقــد كان عليّ أن أذهب إلى القرية يوم الخميس ، وإذا بي أسمع صفيراً على حــين بغتة ! لقد صفروا لي أيضاً ! ولقد كان يمكن أن يخيفوا الجياد ، إذا تركنا جانباً ما في ذلك من فحش وبذاءة !

كليوباترا (بلهجة الارشاد) : إن زاخار إيفانوفيتش ملوم جداً ! إنه لم يقم المسافة اللازمة بينه وبين أولئك القوم ، كما يقول زوجي بالضبط .

بولينا : إنه رقيق القلب جــداً ، يريد أن يكون لطيفاً مع كل إنسان . وإنه مقتنع بأن اللطف مع الناس يعود بالفائدة على الجانبين معاً . ولقد أثبت الفلاحون وجهة النظر هذه . فكانوا يستأجرون الأرض ، ويدفعون الفائدة ، وكان كل شيء على غاية الروعــة . أما هؤلاء ... (تدخل تاتيانا وناديا .) ناديا ! ياعزيزتي ، أنت تفهمين مبلغ الفحش الذي ...

ناديا (بغضب) : إنما أنتم الفاحشون !.. أنتم! لقد ارتفعت الحرارة إلى رؤوسكم .
أنتم وضعاء ومرضى ولا تفهمون شيئاً ! وأنت ، ياجـــداه ،
ما أعظم غباءك !

الجنرال (في هياج) : أنا ! أنا ! غبي ! قولي ذلك ثانية فقط !

ناديا : لماذا قلت ذلك ـ عن يدي ؟ أفلا تخجل ؟

الجنرال : أخجل ؟ حسناً ، هذا يتجاوز كل حدود ! لقد كفاني ما لقيت في يوم واحد . (يغادر المكان ، صائحاً بأعلى صوته) كون ! ألا فليأخذ الشيطان أمثالك ! أين ذهبت تحت الشمس ياتري ، أنت أيها المغفل ، أيها البليد !

ناديا : ولكن أنت ، ياعمتي ، أنت !.. لقد كنت في أوروبا أيضاً ... وألقيت خطباً رائعة عن السياسة ! ... ألا تكوني قد دعوته للجلوس ... ألا تكوني قد قدمت له قدحاً من الشاي .

بولينا (تقفز على قدميها فتلقي ملعقة على الأرض) : هذا مستحيل ! هل تدركين معنى ما تقولين ؟

ناديا : وأنت الأخرى ، ياكليوباترا بتروفنا !... في طريق العودة كنت كثيرة اللطف والأدب معه ! ولكن ما أن وصلنا إلى هنا ...

كليوباترا : ماذا كان ينتظر مني أن أفعل ، أن أقبّله ؟ اعذريني ، ولكن وجهه كان قذراً . والأكثر من ذلك أن ليس في نيتي الاصغاء إلى تعنيفاتك ! أترن ، يابولينا ديمتريفنا ؟ هذه هي ديمقراطيتكم ، أو ماذا يسمونها ـ إنسانية ؟ وزوجي المسكين هو الذي يتحمل عواقب ذلك كله . ولكن سوف تضطرون إلى أن تتحملوا عواقب

ذلك أنتم أيضاً . سوف ترين !

بولينا : يجب أن أستميحك العذر ، يا كليوباترا بتروفنا ، لتصرّف ناديا ...

كليوباترا (مغادرة المكان) : لا ضرورة لذلك مطلقاً . ليست المشكلة مشكلة ناديا وحدها ... أنتم جميعاً ملومون !

بولينا : أصغي إليّ ، ياناديا . عندما ماتت أمك وحملتني مهمة رعايتك ، وإنشائك ...

ناديا : لا تتحدثي عن أمي ! أنت لا تذكرينها بالخير أبداً !

بولينا (في دهشة) : ناديا ! هل أنت مريضة ؟ فكري فيما تقولين. لقد كانت أمك شقيقتي . ولقد عرفتها بصورة أفضل قليلاً منك .

ناديا (عاجزة عن ضبط دموعها) : أنت لا تعرفين شيئاً ... الفقراء والأغنياء لا يملكون شيئاً مشتركاً البتة ... لقد كانت أمي فقيرة ، وكانت طيبة !.. أنت لا تستطيعين أن تفهمي الفقراء ! بل إنك لاتستطيعين أن تفهمي العمة تانيا !

بولينا : ناديجدا ، يجب أن أسألك أن تذهبي . إذهبي في الحال !

ناديا (مغادرة المكان) : إني ذاهبة ... ولكني على حق ، على أية حال . أنا ، لا أنت !

بولينا : ياللسموات! فتاة قوية في صحة جيدة تصاب بمثل هذه النوبة بصورة مباغتة ! لتكاد تكون مهروعة ! إصفحي عني ، ياتانيا ، ولكني أخاف أن تكوني قد تركت فيها أثراً سيئاً . أنت تحدثينها بكل شيء فكأنها بالغة ، وتذهبين بها بين مستخدمينا ـ أولئك القوم في المكتب ـ وهم شاذون أطوارهم غريبة ... سخف هذا ، هل تعلمين ؟ بل إنكما تجذفان وإياهم أيضاً .

تاتيانا : هدّئي روعك . قد يكون من الأفضل أن تتناولي جرعة من الشراب أو من أي شيء آخر ... مما لا ريب فيه أنك تصرفت بصورة بلهاء بالأحرى مع ذلك العامل . ما كان يصيب المقعدَ سوء لو أنك طلبت إليه أن يجلس عليه .

بولينا : أنتم جميعاً مخطئون . لا يستطيع أحد بكل تأكيد أن يتهمني باتخاذ موقف خاطيء من العمال . ولكن لكل شيء حدوداً ، ياعزيزتي !

تاتيانا : ثم إني لم أذهب بها بين الناس مطلقاً ... رغماً عن سائر ادعاءاتك. إنها تذهب من تلقاء نفسها... ولست أرى من الضروري اعتراض سبيلها .

بولينا : تذهب من تلقاء نفسها ! لكأنها تفهم أين تذهب !

(يدخل ياكوف على مهل ، سكران قليلاً .)

ياكوف (وهو يجلس) : سوف يحدث اضطراب في المعمل .

بولينا (بعد زفرة طويلة) : أوه ، أوقف ذلك ، يا ياكوف إيفانوفيتش !

ياكوف : أجل ، هناك اضطراب . سوف يحدث اضطراب . لسوف يحرقون المعمل ويشوونا جميعاً في النار ـ مثل الأرانب .

تاتيانا (في قلق) : لقد بكرت في الشراب .

ياكوف : إني أشرب دائماً في مثل هذه الساعة . لقد رأيت كليوباترا تواً ... تلك طفلة وضيعة ، وربي ! وليس سبب ذلك أن لها عشاقاً كثراً ، بل سبب ذلك أن كلباً عجوزاً قذراً يجلس حيث يجب أن يكون قلبها .

بولينا (تنهض) : ياللسموات ! لقد كان كل شيء يسير بصورة رائعة ! ثم إذا

كل شيء بصورة مبالغة ...

(تشرع تضرب في أنحاء الحديقة دون هدف.)

يا كوف : كلب أجرب - ليس هو كبيراً جداً ، لكنه على شيء من الشراهة. إنه يجلس هناك مكشّراً عن أنيابه . لقد أكل كل شيء ، ولكنه ما برح يطلب المزيد . سوى أنه لا يعرف ما يريد ، الأمر الذي يشغل باله ...

تاتيانا : إهدأ ، يا يا كوف ! هذا أخوك آتٍ .

يا كوف : وماذا يهمني من أخي ؟... تانيا ، لقد تحققتُ أنك لا تستطيعين سبيلاً إلى حبي بعد الآن ، وإن ذلك ليوجع . إنه يوجع ، لكنه لا يمنعني من الاستمرار في حبك ...

تاتيانا : من الأفضل أن ترطب نفسك قليلاً . إذهب واستحم .

زاخار (داخلاً) : هل أعلنوا أن المعمل قد أغلق ؟

تاتيانا : لا أعلم .

يا كوف : كلا ، لم يعلنوا ذلك ، ولكن العمال يعرفون ذلك على أية حال .

زاخار : كيف ؟ من أخبرهم ؟

يا كوف : أنا أخبرتهم . لقد ذهبتُ إليهم وحدثتهم بكل شيء .

بولينا (تقترب) : ولمَ فعلت ذلك ؟

يا كوف (يهز كتفيه) : بسبب ما في ذلك من طرافة ليس غير . ولقد وجدوا ذلك مثيراً للاهتمام . إني أرويلهم كل شيء - إن كانوا يصغون. أظنهم يستلطفونني ، فانه ليسعدهم أن يروا أن أخا معلمهم سكير . ذلك يطبعهم بفكرة المساواة بين سائر البشر .

زاخار : هم - م. أنت تذهب كثيراً إلى المعمل ، يا يا كوف . ومما لاريب

فيه أني لا أعترض على ذلك . ولكن ميخائيل فاسيليفيتش يقول إنك تنتقد الادارة أحياناً أثناء حديثك مع العمال .

ياكوف : كذب هذا . أنا لاأعرف شيئاً عن الادارة، وعن سوء الادارة .

زاخار : وهو يقول أيضاً إنك تحمل بعض الفودكا معك أحياناً .

ياكوف : كذب هذا . أنا لم أحمل ذلك . إني أطلبها، لا أحياناً، بل على الدوام . أفلا تستطيع أن تفهم أنهم لن يعنوا بي إذا لم يكن معي فودكا؟

زاخار : ولكن، ياياكوف، احكم على ذلك بنفسك ـ فأنت بعد كل شيء أخو صاحب المعمل .

ياكوف : هذا ليس عيبي الوحيد .

زاخار (مستاء) : حسناً ، لن أزيد شيئاً على ذلك ، لا شيء البتة . إني محاط بجوٍّ معادٍ لا أستطيع أن أفهمه مطلقاً .

بولينا : تلك هي الحقيقة . كان يجب أن تسمع ما قالت ناديجدا قبل برهة .

بولوجي (يدخل راكضاً) : إسمحوا لي ... في هذه اللحظة بالضبط ... في هذه اللحظة بالضبط ... قتلوا المدير ...

زاخار : ماذا ؟

بولينا : أنت ... ما الذي قلت ؟

بولوجي : قتلوه ... تماماً ... فسقط على الأرض ...

زاخار : من ؟ ... من أطلق النار عليه ؟

بولوجي : العمال ...

بولينا : هل أمسكوا بهم ؟

زاخار : أهناك طبيب ؟

بولوجي : لا أدري ...

بولينا : يا ياكوف إيفانوفيتش ! إذهب في الحال .

ياكوف (ملوحاً بيده دلالة على العجز) : أين ؟

بولينا : كيف حدث ذلك ؟

بولوجي : كان المدير مضطرباً ... فأصاب حذاؤه ممدة أحد العمال ...

ياكوف : إنهم آتون إلى هنا ...

(اضطراب. يؤتى بميخائيل سكروبوتوف يحمله نيقولاي وليفشين من جانب، وعامل أصلع متوسط السن من الجانب الآخر ، يرافقهم عدد من العمال والمستخدمين .)

ميخائيل (بصوت متعب) : دعوني لوحدي .. ضعوني أرضاً .

نيقولاي : هل رأيت من أطلق النار ؟

ميخائيل : إني متعب ... متعب...

نيقولاي (باصرار) : هل لاحظت من أطلق النار ؟

ميخائيل : إنكم تؤذونني ... إنه فتى أحمر الرأس ... ضعوني أرضاً ... فتى أحمر الرأس ...

(يضعونه على المقعد المصنوع من الأعشاب .)

نيقولاي (إلى رقيب شرطي) : أتسمع ؟ فتى أحمر الرأس ...

الشرطي : أجل ، ياصاحب السعادة .

ميخائيل : آه ، لكن ذلك كله سواء الآن .

ليفشين (إلى نيقولاي) : أفلا يكون من الأفضل ألا نزعجه الآن ؟

نيقولاي : صمتاً ! أين الطبيب ؟... إني أسألك أين الطبيب !

(يشرع الجميع يتهامسون ويتجولون دونما هدف.)

ميخائيل : لا تزعق ... الألم ... دعني أسترح .

ليفشين : هذا صحيح ، استرح قليلاً ،ياميخائيل فاسيليفيتش ... هـذه المشكلة الانسانية هي كلها مشكلة الكوبيك! إنه الكوبيك الذي يدمر الانسان!... وُلد من أجل الكوبيك ودُفن من أجل الكوبيك .

نيقولاي : أيها الرقيب ! أطلب من كل شخص ليس من هذه الدار أن يغادر المكان .

الشرطي (بصوت خافت) : إذهبوا ، يا فتيان . ليس ما تراقبونه ههنا .

زاخار (بهدوء) : أين الطبيب ؟

نيقولاي : ميشا! ميشا ! (ينحني فوق أخيه ويفعل الجميع مثله .) إني خائف أن يكون كل شيء قد انتهى .

زاخار : مستحيل ! لقد أغمي عليه .

نيقولاي (ببطء وهدوء) : كلا ، لقـد مات . أتفهم ما معنى ذلك ، يازاخار إيفانوفيتش ؟

زاخار : ولكن ... لعلك مخطىء .

نيقولاي : كلا ، لست مخطئاً . إنك أنت الذي سببت مقتله ـ أنت !

زاخار (مرتاعاً) : أنا ؟

تاتيانا : ما أقسى ذلك ... وأسخفه !

نيقولاي (مهاجماً زاخار) : أجل ، أنت !

رئيس الشرطة (يدخل مسرعاً) : أين المدير ؟ هل جرحه خطير ؟

ليفشين : لقد مات . كان لا يفتأ يستحث كل إنسان آخر مسرعاً على الدوام . أما الآن فانظروا إليه .

نيقولاي (إلى رئيس الشرطة) : لم يستطع سوى أن يقول إن الفتى الذي قتله

كان أحمر الرأس .

رئيس الشرطة: أجل . ينبغي أن نتخذ التدابير الملائمة في الحال .

رئيس الشرطة: (إلى الرقيب الشرطي) : أوقف في الحال سائر الذين رأسهم أحمر !

الشرطي : نعم ، يا صاحب السعادة .

رئيس الشرطة: جميعهم دون تفريق !

(يخرج الشرطي .)

كليوباترا (تدخل مسرعة) : أين هو ؟ ميشا ! ما الأمر ، هل أغمي عليه ؟
نيقولاي فاسيليفيتش ، هل أغمي عليه ؟ (يستدير نيقولاي عنها .)
هل مات ؟ هل مات ؟

ليفشين : لقد هدأ الآن . لقد هددهم بغدارته ، لكن الغدارة دارت عليه .

نيقولاي (غاضباً ، بهمس ضئيل) : أنت ، أخرج من هنا ! (إلى رئيس الشرطة)
خذ هذا الفتى من هنا !

كليوباترا : الطبيب ـ ماذا قال الطبيب ؟

رئيس الشرطة (بهدوء إلى ليفشين) : أخرج من هنا ، أنت !

ليفشين (بهدوء) : إني ذاهب . لا حاجة إلى الدفع .

كليوباترا (بهدوء) : لقد قتلوه ؟

بولينا (إلى كليوباترا) : يا حبيبتي !

كليوباترا (بهدوء، ولكن بلهجة منتقمة) : إذهبي عني ! هــــذا من صنعك ...
من صنعك !

زاخار (بقنوط) : إني أفهم ... هذه صفعة هائلة لك ... ولكن لمَ ...
لمَ تقولين مثل هذا القول ؟

بولينا (باكية) : أواه ، يا عزيزتي . فكري في مبلغ شناعة ما تقولين !

تاتيانا (إلى بولينا) : أنت اذهبي من هنا . أين الطبيب ؟

كليوباترا : إن ميوعتك اللعينة قد قتلته !

نيقولاي : هدئي من روعك ، يا كليوباترا ! فزاخار إيفانوفيتش لا يستطيع امتناعاً عن الاعتراف بذنبه .

زاخار (بقنوط) : أيها السادة ... إني لا أفهم شيئاً . ماذا تقولين ؟ كيف يمكن أن تقدموا مثل هذا الاتهام ؟

بولينا : ولكن هذا فظيع ! ياللسموات ، مثلْ هذا النقص الاحساس !

كليوباترا : نقص الاحساس؟ لقد سممتم العمال ضدّه ، ودمرتم تأثيره عليهم... لقد كانوا يخافون منه . كانوا يرتجفون لدى مجرد رؤيته . والآن قد قتلوه . وأنتم ... أنتم الملومون . إن دمه على أيديكم !

نيقولاي : كفى ، كفى ! يجب ألا تصيحي .

كليوباترا (إلى بولينا) : وهكذا فأنت تبكين ، أليس كذلك ؟ هـــذا حق ! إبكي ! إبكي دمه كله من عينيك !

الشرطي (يدخل) : ياصاحب السعادة ...

رئيس الشرطة: صَه ، أنت !

الشرطي : لقد أوقف سائر الحمر الرؤوس !

(يأتي الجنرال عبر الحديقة من الخلف ، يدفع كون أمامــه ويضحك بصوت مرتفع .)

نيقولاي : هس ـ س ـ س !

كليوباترا : من هم ـ القتلة ؟

(ســـتار)

الفصل الثاني

(قمر براق يلقي ظلالاً كثيفة ثقيلة على الحديقة . المائدة منثورة بالخبز ، والخيار ، والبيض ، وزجاجات الجعة . القناديل تشتعل في المصابيح ، وأجرافينا تغسل الصحون ، فيما ياجودين جالس على مقعد يدخن وفي يده عصا . إلى اليسار تقف تاتيانا ، ونادياً ، وليفشين . الجميع يتحدثون بصوت خافت ، فكأنهم يصغون إلى شيء ما . الجو العام يشير إلى توقع مشبع بالتوتر .)

ليفشين (إلى ناديا) : لقد وُسم كل شيء إنساني بطابع النحاس ، يا آنستي العزيزة . وهذا هو السبب في أن قلبك الفتي مثقل . إن البشر جميعاً مقيدون بالسلاسل إلى كوبيك نحاسي ، ولكنك ما برحت حرة ، وهكذا فأنت لا تتلاءمين مع هذه الحال . إن الكوبيك يجلجل رسالته في أذن كل إنسان على وجه البسيطة : أحبني كما تحب نفسك ... ولكن هذا لا يتعلق بك ... فالعصفور لا يزرع ولا يحصد .

ياجودين (إلى أجرافينا) : لقد شرع بيفيميتش يعلم أسياده ! ... يا للأبـله العجوز !

أجرافينا : لمَ لا ؟ إنه يخبرهم بالحقيقة . إن قليلاً من الحقيقة لن يسيء إلى أسيادنا البتة .

ناديا : هل الحياة شاقة كثيراً عليك ، يا بيفيميتش ؟

ليفشين : ليس كثيراً ، ليست هي بشاقة عليّ . فأنا لا أولاد لي . إن لي امرأة ، يعني زوجة . ولكن أولادنا قد ماتوا جميعاً .

ناديا : يا عمتي تانيا ! لمَ يحدث أن يتحدث الجميع همساً عند ما تكون جثة في الدار ؟

تاتيانا : لا أدري .

ليفشين (مبتسماً) : ذلك أننا جميعاً مذنبون أمام الميت ، يا سيدتي الشابة . إن كل إنسان مذنب.

ناديا : ولكن الأمور ليست كذلك بصورة دائمة ... إن امرءاً ما قد ... قُتل . ولكن البشر يتحدثون همساً كائناً من كان الميت .

ليفشين : أوه ، يا عزيزتي ! إننا نقتلهم جميعاً ! البعض بالرصاص ، والبعض الآخر بالكلمات ، إننا نقتل كل إنسان بأفعالنا . إننا نطارد البشر من تحت الشمس إلى جوف التربة دون أن ندرك ذلك ... دون أن نراه ... ولكننا عندما نلقي أخيراً إنساناً مابين ذراعي الموت ، عندئذ نشرع نفهم قليلاً من ذنبنا . إننا نشرع نأسف على الميت ، ونحس الخجل من أنفسنا ، فيما خوف عظيم ينمو في باطننا . ذلك أننا ، نحن الآخرين ، أفلا ترين ، نُطارَد بالطريقة عينها ؟ نحن أنفسنا مقدّرون للموت .

ناديا : أجل، تلك فكرة مخوف .

ليفشين : لا تدعيها تقلق بالك . إنها تبدو مخوفاً اليوم ، لكن النسيان سيغشاها غداً .... ويأخذ الناس يدفعون بعضهم بعضاً من جديد . ويقع أحدهم أرضاً ، فيهدأ الجميع ويقلقون للدقيقة واحدة. ثم يصعّدون زفرة ويبدأون كل شيء من أوله مجدداً . كل شيء مثلما كان بالضبط . الجهالة ! ولكنك لا تستشعرين أي ذنب يا سيدتي الشابة . الأموات لا يقلقونك ، وأنت تستطيعين أن تتكلمي بصوت مرتفع في وجههم .

تاتيانا : كيف نستطيع أن نبدل طريقتنا في الحياة ؟ هل تعرف ذلك ؟

ليفشين (بلهجة مشوبة بالأسرار) : ينبغي لنا أن نكنس الكوبيك . ينبغي لنا أن ندفنه . إذا ما ذهب الكوبيك مرة ، فلماذا ندفع بعضنا بعضاً إذن ؟ لماذا نكون أعداء ؟

تاتيانا : وهذا ... كل شيء ؟

ليفشين : هذا يكفي لنبدأ به .

تاتيانا : أتودين أن نقوم بنزهة في الحديقة ، يا ناديا ؟

ناديا (متفكرة) : لا بأس .

(تختفيان في أعماق الحديقة ؛ يقطع ليفشين المسرح ميمماً شطر المائدة. يبدو الجنرال ، وكون ، وبولوجي عند مدخل الخيمة .)

باجودين : إنك تزرع بذورك في تربة صخرية ، يا بيفيميتش ، أيها الأبله العجوز :

ليفشين : لماذا ؟

ياجودين : لا معنى لمحاولة تعليمهم أي شيء كان . فكأنهم يستطيعون أن يفهموا .

إن ما تقول يمكن أن يبلغ قلب إنسان عامل ، ولكنه لن يمنع ما يؤلم الطبقة النبيلة .

ليفشين : إن الفتاة شيء صغير لطيف . لقد حدثني جريكوف عنها .

أجرافينا : لعلك ترغب في قدح ثان من الشاي ؟

ايفشين : إن كنت لا تمانعين .

(صمت - ثم يسمع صوت الجنرال . يلوح ثوبا ناديا وتاتيانا الأبيضان من خلال الأشجار .)

الجنرال : أو أنك إذا أخذت وتراً ومددته على عرض الطريق ... هكذا... بحيث لا يستطيع إنسان أن يراه . سوف يأتي إنسان ما ، وإذا هو بصورة مباغتة - طب !

ولوجي : لما يبعث السرور في النفس أن يرى المرء إنساناً يقع ، يا صاحب السعادة .

ياجودين : أسمعت هذا ؟

ايفشين : لقد سمعته جيداً .

كون : لسنا نستطيع أن نصنع شيئاً من هذا القبيل اليوم ، وفي الدار ميت لم يبارحها . إنكم لا تمزحون وفي الدار ميت .

الجنرال : لا تعلمني ! عند ما تموت سوف لا أتعب من الرقص .

(تقترب تاتيانا وناديا من المائدة .)

ايفشين : لقد بلغ الرجل سن الخرف

أجرافينا (تذهب إلى الدار) : يا لهذا الأسلوب في المزاح الذي يحبه !

تاتيانا (تجلس إلى المائدة) : أخبرني ، يا ييفيميتش : هل أنت اشتراكي ؟

ليفشين (ببساطة) : أنا ؟ لا - أنا وتيموفي - إننا حائكان . هذا ما نحن حائكان .

تاتيانا : هل تعرف اشترا كيين ؟ هل سمعت شيئاً عنهم ؟

ليفشين : بلى ، لقد سمعنا عنهم ... إننا لا نعرف أحداً منهم ، ولكننا سمعنا عنهم .

تاتيانا : هل تعرف سينتزوف — في المكتب ؟

ليفشين : بكل تأكيد نعرفه . إننا نعرف سائر الرجال في المكتب .

تاتيانا : وهل تحدثت إليه مرة ما ؟

ياجودين (مضطرباً) : عن أي شيء نستطيع أن نتحدث إليه ؟ إنه يشتغل في الطابق العلوي ، ونحن في الطابق السفلي . وإذا اضطررنا إلى الذهاب إلى المكتب ، أخبرنا بما يريد المدير ، وهذا كل شيء . هذه هي بداية معرفتنا به ونهايتها .

ناديا : يبدو أنك تخافنا ، يا ييفيميتش . لا تخشَ شيئاً ، فالأمر يثير اهتمامنا حتى درجة بعيدة ...

ليفشين : ولم نخاف ؟ إننا لم نصنع عملاً باطلاً . لقد سألونا أن نأتي إلى هنا ونحفظ النظام ، ففعلنا ذلك . إن الناس قد جنّوا هناك . هم يقسمون بأنهم سيحرقون المعمل وكل شيء آخر — ولن يتركوا شيئاً سوى كومة من رماد . حسناً ، إننا لا نوافق على مثل هذه الاساءة . ليس ما يدعو إلى إحراق الأشياء . ولمَ إحراقها؟ لقد ثبتناها بأنفسنا ، وكذلك فعل آباؤنا وأجدادنا ... ثم ، بصورة مباشرة — نحرقها !

تاتيانا : آمل ألا تعتقد أننا نسألك في سبيل هدف سيء !

ياجودين : ولمَ تفعلان ذلك ؟ إننا لا نضمر السوء لأي إنسان .

ليفشين : إننا نفكر هكذا : كل ما بناه الشعب مقدس . ينبغي لنا أن

نقدر العمل الانساني ، لا أن نقوم باحراق الأشياء . ولكن الناس قد أظلمت عقولهم . إنهم يحبون النار . وإنهم لمجانين . صحيح أن المرحوم كان قاسياً معنا ، ولكن ليس في إضمار الكراهية لانسان ميت أي معنى . لقد لوّح بغدراته في وجهنا .. مهدداً إيانا .

نادیا : وهل عمي أفضل منه ؟

ياجودين : زاخار إيفانوفيتش ؟

نادیا : أجل . هل هو - لطيف ؟ أم ... إنه وضيع بالنسبة إليكم أيضاً ؟

ليفشين : نحن لا نقول ذلك .

ياجودين (بكآبة) : بمقدار ما يهمنا الأمر ، فهم جميعاً سواء ! ... الصارمون واللطيفون ...

ليفشين (بلطف) : الصارم معلم واللطيف معلم . إن السرطان لا يأبه للحم الذي يطعم .

ياجودين (ضجراً) : طبعاً ، إن زاخار إيفانوفيتش رجل طيب القلب ...

نادیا : تعني أنه أفضل من سكروبوتوف ؟

ياجودين (بصوت خفيض) : ولكن المدير لم يعد في عداد الأحياء .

ليفشين : إن عمك رجل طيب في الحقيقة ، يا آنسة . سوى - أن ذلك لا يجعل الأمور أيسر علينا مطلقاً .

تاتيانا (ثائرة) : فلنذهب ، يا ناديا . أفلا ترين أنهما لا يريدان أن يفهمانا ؟

نادیا (بصوت خفيض) : أجل ...

(تخرجان بسكون . يراقبها ليفشين وهما ذاهبتان ، ثم ينظر إلى ياجودين ؛ كلاهما يبتسمان .)

ياجودين : لقد أثارتا أعصابك ، أليس كذلك ؟

ليفشين : ألم تسمع ؟ إن الأمر يثير اهتمامها حتى درجة بعيدة .

ياجودين : لعلها تظنان أننا سنهرق شيئاً ما .

ليفشين : السيدة الشابة شيء صغير رائع . ما أسوأ أن تكون غنية !

ياجودين : من الأفضل أن نخبر ماتني نيقولا يبفيتش بالأمر - أن السيدة قد جربت أن تنفخنا .

ليفشين : سوف نخبره . وسوف نخبر جريكوف أيضاً .

ياجودين : كيف تسير الأمور ؟ يجب أن ينزلوا عند رغبتنا ...

ليفشين : سوف ينزلون . ثم يشرعون ، بعد برهة وجيزة ، يزحموننا بالحائط من جديد .

ياجودين : يبقرون أحشاءنا من جوفنا .

ليفشين : كما تقول .

ياجودين : وَيْ . أواه ! لو أستطيع أن أنال قسطاً كبيراً من النوم !

ليفشين : انتظر برهة . هذا الجنرال آتٍ .

(يدخل الجنرال ، بولوجي يسير إلى جانبه باحتفال ، ووراءهما كون . بولوجي يطبق بصورة مباغتة على ذراع الجنرال .)

الجنرال : ما هذا ؟

بولوجي : حفرة في الأرض .

الجنرال : آه . ما هذا كله الذي على المائدة ؟ مثل هذا الخليط ! أكنتما تأكلان هنا ؟

ياجودين : أجل ، يا سيدي ... مع السيدتين الشابتين .

الجنرال : وهكذا فأنتما تحرسان لنا المكان ؟

ياجودين : أجل ، يا سيدي ... فنحن نقوم بواجبنا .

الجنرال : هذا حسن لكما ! سوف أتحدث إلى الحاكم بشأنكما . ما هو عددكم هنا ؟

ايفشين : اثنان .

الجنرال : يا أحمق ! إني أستطيع أن أعدّ حتى الاثنين . ما هو عددكم جميعاً ؟

ياجودين : ثلاثون .

الجنرال : هل أنتم مسلحون ؟

ايفشين (إلى ياجودين) : أين تلك الغدّارة التي تحمل ، يا تيموفي ؟

ياجودين : هذه هي .

الجنرال : لا تمسك بها من فوهتها ! يا للشيطان ! كون ، لقّن هذين الأبلهين كيف يمسكان غدارة بأيديهما ! (إلى ايفشين) ألديك مسدس ؟

ايفشين : كلا – لا . أنا ليس لدي شيء .

الجنرال : إذا جاء المتمردون ، فهل في نيتكم إطلاق النار ؟

ايفشين : إنهم لن يأتوا ، ياصاحب السعادة . هم ما كانوا يريدون شيئاً ... إنما تأججوا لدقيقة واحدة ليس غير .

الجنرال : ولكن إذا أتوا ؟

ايفشين : لقد كانوا متألمين، كما ترى ... بسبب إغلاق المعمل ... ثمة أولاد لبعض منهم ...

الجنرال : ما هذا الذي تهذي به ؟ لقد سألتك إن كنتم ستطلقون النار ؟

ايفشين : حسناً ، إننا على أتم استعداد لذلك ، يا صاحب السعادة . ولم لا نطلق النار ؟ سوى أننا لا نعرف كيف نفعل ذلك . أضف إلى هذا أننا لا نملك شيئاً نطلق النار منه ... لو أن هذا كان بندقية،

الآن ... أو مدفعاً .

الجنرال : كون ! تعال هنا وعلها ... إذهب بها إلى الضفة هناك ...

كون (بكآبة) : إسمح لي أن أقول لك إن الليل قد هبط ، يا صاحب السعادة . ولسوف يثور الناس ويهتاجون إذا شرعنا نطلق النار . ولسوف يأتون جميعاً إلى هنا كي يطّلعوا على ما يجري . ولكني سأفعل كما تقول بالضبط ، فذلك سواء بالنسبة إليّ .

الجنرال : تأجيل حتى الغد !

ايفشين : سوف يكون كل شيء على أتم هدوء غداً . سوف يفتحون المعمل ...

الجنرال : من الذي سيفتحه ؟

ايفشين : زاخار إيفانوفيتش . إنه يحدّث العمال بذلك الآن .

الجنرال : لعنة الله على كل هذا ! لو كان الأمر لي ، لأغلقوا المعمل إلى الأبد . وكنا خلصنا من ذلك الصفير اللعين عند بكور كل صباح !

ياجودين : كنا نحب ذلك، نحن أيضاً ، لو انهم كانوا يرسلون الصفير متأخراً قليلاً .

الجنرال : وكنت أجعلكم تموتون من الجوع بصورة نهائياً ، فننتهي بذلك من شغبكم .

ايفشين : وأي شغب نحن نثير ؟

الجنرال : صمتاً ! لماذا أنتما قابعان في هذا المكان ؟ يجب عليكما أن تقوما بجولاتكما على طول السور ، فاذا رأيتما أحداً يزحف عليه ـ أطلقا النار ! سوف أكون أنا المسؤول عن ذلك!

ايفشين : تعالَ ، يا تيموفي . هات غدارتك .

الجنرال (يغمغم وراءهما) : غدارة ! يا للحمارين الأحمقين ! لا يستطيعان حتى أن يسميا البندقية باسمها الحقيقي !

بولوجي : إسمح لي أن أخبر سعادتك أن عامة الناس هم على العموم خشنون حيوانيون . خذ حالتي مثلاً : إن لي حديقة ، ولا بدَّ لي من إزعاج نفسي بزراعة النباتات بيدي نفسيهما ...

الجنرال : هذا أمر محمود .

بولوجي : ولقد أخذت هذا العمل على عاتقي حسب ما أملك من وقت حر .

الجنرال : كل إنسان يُنتظر منه أن يعمل !

(تدخل تاتيانا وناديا .)

تاتيانا (عن بعد) : ما بالك تصيح هكذا ؟

الجنرال : لقد أثاروا أعصابي . (إلى بولوجي) حسناً ؟

بولوجي : ولكن العمال يسلبون ثمرات عملي في كل ليلة تقريبا ..

الجنرال : يسرقون؟

بولوجي : بالضبط . وقد طلبت حماية القانون ، ولكن القانون يمثّله في هذا المكان مفتش الشرطة المحترم ، وهو رجل يُظهر اللامبالاة العظمى بحاجات السكان ...

تاتيانا (إلى بولوجي) : لماذا تلجأ ربك إلى هذه المبالغة في الكلام ؟

بولوجي (مضطرباً) : هل أفعل ذلك ؟ أسأل صفحك ، ولكني قد درست في المعهد طوال ثلاث سنوات ، وأنا أقرأ الصحيفة يومياً .

تاتيانا (مبتسمة) : أوه ! إذن فهذا يفسر كل شيء !

ناديا : إنك مضحك جداً ، يا بولوجي .

بولوجي : إني سعيد بأن يكون حديثي قد بعث في نفسك السرور ! ينبغي

للمرء أن يسمى لأن يكون الناس مسرورين منه .

الجنرال : أتحب أن تصطاد ؟

بولوجي : لم أجرب ذلك أبداً ، يا صاحب السعادة .

الجنرال (يهز كتفيه) : جواب غريب !

تاتيانا : ما الذي لم تجربه ، الصيد أم الحب ؟

بولوجي (مضطرباً): الأول .

تاتيانا : والثاني ؟

بولوجي : لقد جربت الثاني .

تاتيانا : هل أنت متزوج ؟

بولوجي : لقد حلمت فقط بمثل هذه النعمة . ولكن ما دمت لا أتناول سوى خمسة وعشرين روبلا فيالشهر (يدخل نيقولاي وكليوباترا مسرعين) ، فاني لا أستطيع أن أعزم علىالقيام بمثل هذهالخطوة.

نيقولاي (غاضباً) : مدهش بكل بساطة ! فوضى مطلقة !

كليوباترا : كيف يستطيع ! كيف يجرؤ ! ...

الجنرال : ما بالكما ؟

كليوباترا (صائحة) : إن ابن أخيك لفظيع ! لقد استجاب لسائر طلبات العصاة ، قتلة زوجي !

ناديا (بصوت خفيض) : ولكنهم ليسوا قتلة جميعاً !

كليوباترا : إنه يسخر من جدث الميت ! ومني ! حين أفكر في ذلك ! أن يفتح المعمل قبل أن يدفن الرجل الذي قتله أولئك الأوغاد بسبب إغلاقه المعمل بالضبط !

ناديا : ولكن عمي يخشى أن يحرقوا كل شيء !

كليو باترا : أنت طفلة ينبغي لك إمساك لسانك !

نيقولاي : خطاب ذلك الفتى ! إنه أشنع دعاية اشتراكية !

كليوباترا : ثمة كاتب يترأسهم ويقدم لهم النصائح . ولقد وجد الجرأة على القول إن المرحوم نفسه قد حرّض على الجريمة !

نيقولاي (يكتب شيئاً في مفكرته) : لقد أثار ذلك الفتى شكوكي . إنه أكثر ذكاء من أن يكون مجرد كاتب ...

تاتيانا : أتتحدث عن سينتزوف ؟

نيقولاي : أجل .

كليوباترا : أشعر كأن إنساناً ما قد بصق في وجهي .

بولوجي (إلى نيقولاي) : إسمح لي أن أبدي هذه الملاحظة ، إن السيد سينتزوف يعلق دائماً بصورة مفصلة على الأحداث السياسية عندما يقرأ الصحيفة ، وهو كثير النقمة على السلطات .

تاتيانا (إلى نيقولاي) : أمعنيّ أنت بسماع هذا ؟

نيقولاي (متحدياً) : معني حتى أقصى درجة ! ... هل تحاولين مضايقتي ؟

تاتيانا : يخيل إلي أن لا مكان هنا للسيد بولوجي .

بولوجي (مضطرباً) : أسأل صفحك ... يجب أن أذهب .

(يخرج مسرعاً .)

ناديا : ماذا يجري ؟

الجنرال : إن سني المتقدمة لا تسمح لي بمثل هذه الانفعالات . قتل ، وثورات ... لا ريب أن زاخار قد قدّر سلفاً كل شيء عندما دعاني لقضاء فترة راحة هنا . (يدخل زاخار ، مهتاجاً لكنه مسرور . عندما يرى نيقولاي يتوقف قلقاً ويصلح من وضع

نظارتيه .) إسمع ، يا ابن أخي العزيز ... هل أنت تدرك ما فعلت ؟

زاخار : لحظة واحدة ، يا عماه ... نيقولاي فاسيليفيتش ...

نيقولاي : نه - مم

زاخار : لقد كان العمال في حالة من الهياج العظيم بحيث ... خشيت أن يدمروا المعمل بأسره ... وهكذا ، فقد لبَّيت طلبهم في عدم إغلاق المعمل اليوم . وكذلك طلبهم الخاص بديشكوف . سوى أني قبلت ذلك بشرط أن يسلموني المجرم ، وقد شرعوا منذ الآن يفتشون عنه .

نيقولاي : (بجفاء) : ما كان يجب أن يزعجوا أنفسهم . سوف نجد المجرم دون مساعدتهم .

زاخار : بدا لي من الأفضل أن يجدوه بأنفسهم ... ليكون ذلك أحسن ... ولقد اتفقنا أن نفتح المعمل بعد الافطار غداً ...

نيقولاي : من تعني بكلمة - اتفقنا ؟

زاخار : أنا ؟ ...

نيقولاي : آ - ها ! شكراً من أجل هذا الخبر . إنما يخيل إليَّ على أيه حال أن مكان أخي ، بعد وفاته ، يجب أن نحتله أنا وزوجته . وإذا لم أكن مخطئاً ، فقد كان يجب أن تشاورنا في الموضوع ولا تتخذ القرار لوحدك .

زاخار : ولكني طلبت منك القدوم ! لقد جاء سينتزوف في طلبك . ولقد رفضت أن تأتي .

نيقولاي : يجب أن تعترف بأنه يصعب عليَّ أن أفكر في قضايا العمل يوم

وفاة أخي .

زاخار : ولكنك ذهبت إلى المعمل على أية حال .

نيقولاي : أجل ، لقد ذهبت . لقد استمعت إلى خطاباتهم . ماذا في ذلك ؟

زاخار : لكن ، أولا تفهم ؟ يبدو أن المرحوم قد أرسل برقية ، وقد جاء جوابها يقول إن الجنود سيصلون في صبيحة الغداة ...

الجنرال : أها ! الجنود ؟ هذا كلام جدي ! لن يكون ثمة حماقات فيما حولنا ، وعلى المسرح جنود !

نيقولاي : هذا تدبير كلي الحكمة !

زاخار : أنا لست على يقين من ذلك . عندما يأتي الجنود سيزداد هياج العمال عنه قبلاً ... والرب وحده يعلم ما يمكن أن يقدموا عليه إذا لم نفتتح المعمل غداً ! ايخيل إلي أني سلكت الطريق القويمة . فعلى الأقل لن يكون نزاع دام .

نيقولاي : إن لي وجهة نظر أخرى في الموضوع . ما كان يجب أن تستجيب لكل مطالب أولئك ... الناس ، ولو احتراماً لذكرى المرحوم فقط .

زاخار : ولكن بحق الآلهة ، أنت لا تقول كلمة واحدة عن إمكان انتهاء كل هذا إلى مأساة أعظم !

نيقولاي : هذا لا يعنيني في كثير أو قليل .

زاخار : صحيح ، ولكن ماذا تقول عني ؟ إني أنا الذي سأعيش بين العمال فإذا أريق دمهم ... كان يمكن أن يدمروا المعمل بأسره .

نيقولاي : لست أعتقد ذلك .

الجنرال : ولا أنا أيضاً !

زاخار (بقنوط): وهكذا ،فأنت تلومني على ما فعلتُ .

نيقولاي : أجل ، إني الومك .

زاخار (باخلاص) : لماذا ... لماذا يجب أن تكون هذه العداوة ؟ إنما أريد شيئاً واحدا ، ألا وهو تفـــادي هول هو عظيم الاحتمال . لا أريد إراقة الدماء . أحق أنه يستحيل إيجاد طريقة مسالمـة معقولة في الحياة ؟ أنت تحقد عليَّ ، والعمال لا يثقون بي .... إني أريد أن أفعل ما هو حق . ما هو حق فقط !

الجنرال : من يدري ما هـو حق ؟ هذه ليست حق ولا كلمة . إنها بالضبط مجموعة من الأحرف . ح من أجل حمار ، ق من أجل قرف . ولكن الأعمال هي الأعمال ، أفليست الأمور كذلك ؟

ناديا (دعيناها تغصان بالدموع) : ألا فاهدأ ، يا جداه . عمـاه ... هدىء أنت من روعك ... إنه لا يفهم ... أواه ، يا نيقـولاي فاسيليفيتش ، لماذا أنت لا تفهم ؟ إنك على قدر عظيم من الذكاء ... لمـــاذا لا تثق بعمي ؟

نيقولاي : إصفح عني ، يا زاخار إيفافوفيتش ، ولكني سأذهب . أنا لم أعتد أن يتدخل الأطفال في الحديث عندما أتكلم في أمور العمل .

(يخرج .)

زاخار : أرأيت ،ياناديا ؟ ...

ناديا (تمسك يده) : ليس هـذا بذي بال . الأمر الأهم هو أن يرضى العمال . ثمة الكثيرون منهم ، وعددهم أكثر منا .

زاخار : انتظري لحظة ... يجب أن أقول لك إني مستاء كثيراً منك ، يا ناديا . كثيراً ...

الجنرال : وكذلك أنا !

زاخار : أنت تعطفين على العمال . هذا أمر طبيعي في مثل سنك ،إنما يتحتم ألا تفقدي حس الفارق بينك وبينهم على أية حال ، يا عزيزتي . هذا الصباح جئت بذلك الفتى جريكوف إلى المائدة . إني أعرفه، فهو صبي ذكي . بيد أنك ما كنت تملكين الحق في إغاظة عمتك بسببه .

الجنرال : هذا حق ! لا تقصّر في تعنيفها !

ناديا : ولكنك لا تعرف كيف حدث كل ذلك ...

زاخار : تستطيعين أن تكوني على يقين من أني أعرف أكثر مما تعرفين أنت . قومنا مشاة غير مثقفين ، إن أعطيتهم إصبعاً أطبقوا على اليد بأسرها .

تاتيانا (بهدوء) : كما يتعلق الرجل الغريق بقشة .

زاخار : إنهم في مثل الحيوانات جشعاً ، ولا ينبغي إفسادهم ، بل تثقيفهم . هذا هو الواقع . كوني طيبة وفكري في الأمر ملياً .

الجنرال : والآن سأقول كلمتي . الشيطان وحده يعلم كيف كان سلوكك نحوي ، أنت أيتها الثعلبة الصغيرة . إسمحي لي أن أذكرك بأنه لا بدّ لك من أربعين سنة حتى تلحقي بي في مضمار السن ، وينبغي لك أن تنتظري طويلاً قبل أن أسمح لك بمخاطبتي كندّ ... فهمت ؟ كون !

كون (من بين الأشجار) : هذا أنا

الجنرال : أين ذلك ... ماذا نسميه ... ذلك البزال ؟

كون : أي بزال ؟

الجنرال : ذلك ... ما اسمه ؟ ذلك الناحل المرواغ ...

كون : أوه ، بولوجي . لا أدري .

الجنرال (يذهب صوب الخيمة) : إبحث عنه .

(يذهب زاخار ويأتي مطرق الرأس ، يمسح نظارتيه بمنديل جيبه . تجلس ناديا مستغرقة في تفكير عميق ، فيما تاتيانا لا تبرح واقفة تراقبها .)

تاتيانا : هل عُرف القاتل ؟

زاخار : يقولون إنهم لا يعرفون ، ولكنهم سيجدونه . إنهم يعرفون طبعاً . (يتطلع حواليه ويخفض صوته) لقد اتفقوا على ذلك فيما بينهم . تلك مؤامرة . والحقيقة أنه أغاظهم حتى الدرجة القصوى ، ولم يأبه لما يفعل بهم . لقد كان حب القوة داء أصابه . وهكذا فانهم ... إن ذلك شنيع طبعاً ، شنيع في بساطته نفسها ... لقد قتلوه فعلاً ، وهم ما برحوا ينظرون إليك بأعين طاهرة صريحة ، فكأنهم لا يدركون أنهم قد ارتكبوا إثماً . إن ذلك كله بسيط بصورة تصدم الانسان !

تاتيانا : يقولون إن سكروبوتوف كان على وشك إطلاق النار ، ولكن شخصاً ما قد انتزع المسدس من يده و ... .

زاخار : هذا لا يهم . فهم الذين ارتكبوا جريمة القتل ، لا هو .

ناديا : لماذا لا تجلس ؟

زاخار : لماذا أرسل في طلب الجنود ؟ لقد اكتشفوا ذلك مثلما هم يكتشفون كل شيء ، وهذا قد عجل موته . طبعاً لم يكن لي بدٌّ عن فتح المعمل . إن لم أفعل ذلك ، فقد كانت علاقاتي معهم تفسد طوال فترة مديدة من الزمن . هذا وقت ينبغي لك أن تظهري لهم فيه مقداراً أكبر من الاهتمام والعناية ... من يدري كيف

يمكن أن ينتهي ذلك ؟ إن امرءاً حساساً لابدّ له أن يربي في مثل هذا الوقت أصدقاء بين عامة الشعب ... (يظهر ليفشين على المسرح .) من القادم ؟

ليفشين : هذا نحن ... نقوم بالحراسة .

زاخار : حسناً ، يا بيفيميتش ، لقد قتلتم إنساناً ، وهذا أنتم قد أصبحتم الآن ضعفاء مسالمين ، ما ؟

ليفشين : إننا دائماً كذلك ، يازاخار إيفانوفيتش ... مسالمون .

زاخار (متهوراً) : آه ، بل وإنكم لتقتلون الناس بصورة مسالمة ، ما؟وبالمناسبة، فأنت تنشر نوعاً من الأفكار ، يا ليفشين . نوعاً من التعليم عن عدم الحاجة إلى المال والمالكين وما شابه من الأشياء بعد الآن . وهذا أمر يمكن الصفح عنه ... هذا أمر يمكن فهمه ... عند ليو تولستوي ... ولكن من الأفضل أن تكفّ عنه ، ياصديقي. فلن ينتج شيء حسن عن مثل هذا الكلام .

(تدلف تاتيانا وناديا إلى اليمين ، من حيث يُسمع صوتا سينتزوف وياكوف . يظهر ياجودين من خلف الأشجار .)

ليفشين (بهدوء) : أي كلام ؟ لقد عشت حياتي ، وفكرت قليلاً ، وإني أقول ما أفكر فيه .

زاخار : ليس المالكون وحوشاً . ينبغي لكم أن تفهموا هذا . أنتم تعرفون أني لست امرءاً وضيعاً . إني على أتم الاستعداد دائماً لمساعدتكم إني أريد أن أصنع ما هو حق .

ليفشين (متنهداً) : أثمة إنسان يريد أن يتسبّب إلى نفسه ؟

زاخار : لكن ... فلستم تستطيعون أن تفهموا أني أريد أن أصنع ما هو

حق لكم ؟

ليفشين : نحن نفهم ، بشكل تأكيد ..

زاخار (ينظر إليه عن قرب) : كلا ، فأنتم مخطئون . أنتم لاتفهمون . يا لكم من قوم غريبين ـ أنتم أحياناً مثل الحيوانات ، وفي أحيان أخرى مثل الأطفال الصغار .

(يخرج . يظل ليفشين واقفاً معتمداً عصاه يراقبه وهو يذهب .)

ياجودين : هل قرأ عليك موعظة من جديد ؟

ليفشين : إنه صيني . صيني حقيقي . ماذا يحاول أن يقول ، يا ترى ؟ إلا أنه لايستطيع أن يفهم أي إنسان آخر سوى ذاته !

ياجودين : يقول إنه يريد أن يصنع ما هو حق .

ليفشين : هذا ما يقول .

ياجودين : فلنذهب ، فهؤلاء هم قادمون .

(ينسحب ليفشين وياجودين إلى أعماق الحديقة . يدخل تاتيانا ، وناديا ، وياكوف ، وسينتزوف ، إلى المسرح من الجانب الأيمن .)

ناديا : إننا لا نبرح ندور وندور في حلقات مفرغة فكأننا في حلم .

تاتيانا : أتود شيئاً تأكله ، ياماتني نيقولايفيتش ؟

سينتزوف : لأفضل قدحاً من الشاي . لقد تكلمت كثيراً اليوم حتى قد تأثر حلقي .

ناديا : أفلست تخاف شيئاً البتة ؟

سينتزوف (يجلس إلى المائدة) : أنا ؟ لا شيء على الاطلاق !

ناديا : إني خائفة . لقد اختلط كل شيء بصورة مباغتة ، فأنا لا أستطيع الآن أن أميز من هو المصيب ومن هو المخطىء .

سينتزوف (مبتسماً): لسوف تخلص الأمور من هذا الاختلاط . إنما لاتخافي من التفكير . فكري دون جـــزع ، ولا تتوقفي عن التفكير حتى تبلغي النهاية . على العموم ، ليس ما يخافه المرء .

تاتيانا : أظن أن كل شيء قـد هدأ ؟

سينتزوف : نعم . ليندر أن يربح العمال ، فكل انتصار صغير يحمـــل إليهم رضى عظيماً .

ناديا : هل أنت مغرم بهم ؟

سنيتزوف : حق ما تقولين . لقد عشت معهم زمنـاً طويلاً ؛ إني أعرفهـــم وأعرف قوتهم . إني أومن بذكائهم .

تاتيانا : وأن المستقبل لهم ؟

سينتزوف : أجل ، إني أومن بذلك أيضاً .

ناديا : المستقبل ... هذا شيء لا أستطيع تصوره .

تاتيانا (مبتسمة) : إنهم عصابة خبيثة ، بروليتاريوك هؤلاء ! لقـد جربت وناديا أن نتحدث إليهم ، ولكن شيئاً لم ينتج عن ذلك الحديث .

ناديا : لم يكن ذلك على شيء كثير من اللطف . لقد تحدث إلينا الرجل العجوز وكأن كلتانا ... شيء رديء ... كأننـا جاسوستان أو ما شابه ... ولكن ثمة آخر ، جريكوف ... إنه ينظر إلى الناس بصورة مختلفة . الرجل العجوز لا يبرح يبتسم فكأنه يرثي لنا ، فكأننا مريضتان .

تاتيانا : كفَّ عن الاكثار من الشرب ، يا ياكوف . لمن المزعج أن يراقبك الانسان .

ياكوف : ماذا ينتظر مني أن أفعل ؟

سينتزوف : أفليس ثمة شيء آخر تفعله ؟

ياكوف : إني أحس قرفاً ، قرفاً لامثيل له ، من العمل وقضايا العمل هل ترى ، وأنا أنتسب إلى المقولة الثالثة ...

سينتزوف : إلى ماذا ؟

ياكوف : المقولة الثالثة . إن الناس مقسمون إلى مقولات ثلاث : المقولة الأولى تتألف من أناس يعملون طوال حياتهم ، والثانية من أناس يكدسون المال ، والثالثة من أولئك الذين لا يريدون أن يكسبوا خبزهم لأن لا معنى في ذلك ، والذين لا يريدون أن يكدسوا المال لأن ذلك سخيف و ـ حسناً ، ذلك لا يلوح حقاً نوعاً ما . وهكذا فان المقولة الثالثة ـ هي أنا . إلى هذه المقولة ينتسب سائر الناس الكسالى، الأفاقون ، والرهبان ، والمتسولون، وطفيليات أخرى من هذا العالم .

ناديا : لمن المضجر السماع إليك ، يا عماه . وأنت لست على هذا الغرار أبداً . أنت ، بكل بساطة ، لطيف رقيق القلب .

ياكوف : وبكلام آخر لا أنفع شيئاً . لقد أدركت ذلك منذ كنت في المدرسة . إن النـاس يلتحقون بهذه المقولات الثلاث قبل أن يكبروا .

تاتيانا : لقد كانت ناديا على حق عندما قالت إنك مضجر ، يا ياكوف .

ياكوف : إني أوافق . يا ماتفي نيقولايفيتش : هل تعتقد أن للحياة وجهاً ؟

سينتزوف : ربمـا .

ياكوف : إن لها وجهاً . ووجهها فتي على الدوام . قبل زمن غير بعيد كانت الحياة تنظر إليّ في لا مبالاة ، أما الآن فهي تنظر إليّ بجفاء ولا

تبرح تسأل : « من أنت ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟ » (يبدو أنه خائف من شيء ما ، وإذ يجرب أن يبتسم تصطفق أسنانه ويلتوي محياه في تكشيرة تبعث على الشفقة .)

تاتيانا : أواه ، دع عنك هذا ، يا يا كوف ... هذا المدعي العام قادم ... لا أريدك أن تقول مثل هذه الأشياء أمامه .

يا كوف : حسناً .

ناديا (بصوت خافت) : كل امرىء يتوقع شيئاً ، وهو خائف . لماذا لا يسمحون لي بمصادقة العمال ؟ إن ذلك لسخيف !

نيقولاي (مقترباً) : هل أستطيع أن أتناول قدحاً من الشاي ؟

تاتيانا : طبعـــاً .

(يجلس الجميع في سكون بضع ثوان فيما يقف نيقولاي يجرع شـــايه .)

ناديا : لأود أن أعلم لماذا لا يثق العمال بعمي ، وعلى العموم ...

نيقولاي (بكآبة) : إنهم يثقون فقط بأولئك الذين يلقون الخطب في موضوع : « يا عمال العالم ، اتحدوا ! » إنهم يثقون بهم كل الثقة .

ناديا (بهدوء ، وهي تهزّ كتفيها) : كل مرة أسمع هذه الكلمات ، هـذا النداء إلى القتال المرسل على نطاق عالمي ... يصوّر لي أن الناس الذين مثلنا لا مبرر لوجودهم ...

نيقولاي (متنهداً) : أجل ، بشكل تأكيد ! كل إنسان مثقف لا بدّ أن يشعر بمثل هذا الشعور ، وإني على يقين أن نداء آخر للقتال سيتردد عندئذ : « يامثقفي العالم ، اتحدوا ! » لقد آن الأوان للمناداة بذلك. آن الأوان ! إن البرابرة على وشك أن يدوسوا بالأقدام ثمـــار

آلاف السنوات من المدنية . إنهم يوشكون على ذلك، يدفعهم جشعهم ونهمهم !

ياكوف : إنهم يحملون أرواحهم في معداتهم الفارغة ، وتلك صورة تجعل ألسنتكم تتدلى .

(يصبُّ لنفسه كأساً من الجعة.)

نيقولاي : القطيع آتٍ ، يحثه الجشع ، وقد وحدت صفوفهم رغبتهم الواحدة، ألا وهي ابتلاع كل شيء .

تاتيانا (متفكرة) : القطيع...في كل مكان القطيع . في المسارح، في الكنائس...

نيقولاي : ماذا يستطيع هؤلاء الناس أن يعطوا ؟ لا شيء سوى الدمار ... ولاحظوا أن الدمار سيكون على شيء أكثر من الهول هنا ، بيننا ، منه في أي مكان آخر .

تاتيانا : ليبدو لي من الغرابة بمكان دائماً عندما أسمع الناس يتحدثون عن العمال كبشر متقدمين . إن هذا لبعيد عن فهمي لهم .

نيقولاي : وأنت ، أيها السيد سينتزوف ؟... مما لا ريب فيه أنك لا توافقنا؟

سينتزوف (بهدوء) : كلا لست أوافقكم .

ناديا : هل تذكرين ، يا عمتي تانيا ، ما قال الرجل العجوز عن الكوبيك ؟ لقد كان كلامه كليَّ البساطة.

نيقولاي : لماذا لا توافقنا ، أيها السيد سينتزوف ؟

سينتزوف : لأني أفكر بطريقة مختلفة .

نيقولاي : إنه لجواب معقول جداً . ولكنك قد تريد أن تشاركنا في وجهات نظرك ؟

سينتزوف : كلا ، لست أعني بذلك .

نيقولاي : إني لآسف على ذلك من صميم قلبي. وإنما يعزيني الامل في أن موقفك سيتبدل عندما نلتقي مرة أخرى . يا يا كوف إيفانوفيتش ، لأود أن ترافقني ، إن كنت لا أطلبُ منك الكثير بذلك . إن أعصابي لممزقة محطمة .

ياكوف (ينهض بصعوبة) : بكل سرور ، بكل سرور .

(يخرجان .)

تاتيانا : هذا المدعي شخص فظيع . ليصعب عليَّ دائماً أن أوافقه .

ناديا (تنهض) : إذن ، فلماذا توافقينه ؟

سينتزوف (ضاحكاً) : أجل ، لماذا ، يا تاتيانا بافلوفنا ؟

تاتيانا : ذلك أني أشعر بمثل شعوره ...

سينتزوف (إلى تاتيانا) : أنت تفكرين مثل تفكيره ، لكنك تشعرين بصورة تختلف عن شعوره . أنت تريدين أن تفهمي ، أما هو فلا يُعنى بذلك مطلقاً ... وليس له أن يفهم !

تاتيانا : أعتقد أنه كثير القسوة .

سينتزوف : بلى ، إنه كما تقولين . هو يعالج في المدينة القضايا السياسية ، وموقفه من أولئك الذين يُعتقلون يبعث على الاشمئزاز .

تاتيانا : وبالمناسبة ، فقد كتب شيئاً عنك في مفكرته .

سينتزوف (مبتسماً) : لست أشك في ذلك . لقد تحدث إلى بولوجي . وعلى العموم ، فانه يعرف ما يريد ... تاتيانا بافلوفنا ، لي رجاء عندك .

تاتيانا : سأكون سعيدة بانجاز كل ما في مكنتي .

سينتزوف : شكراً لك . يغلب أن يكون الدرك قد دُعوا ...

تاتيانا : صحيح .

سينتزوف : هذا يعني أنهم سيفتشون الدور ... أيمكنك أن تخبئي شيئاً لي ؟

تاتيانا : أتظن أنهم سيفتشون بيتك ؟

سينتزوف : بكل تأكيد .

تاتيانا : وقد يعتقلونك ؟

سينتزوف : لا أظن ذلك . ولمَ يفعلون هذا ؟ لأني ألقي خطابات ؟ ولكن زاخار إيفانوفيتش يعلم أني دعوت العمال إلى النظـــام في جميع خطـــاباتي .

تاتيانا : وهل ماضيك نظيف ؟

سينتزوف : ليس لي ماضٍ ... هل ستساعدينني ؟ ما كنت أزعجك لولا اعتقادي بأن سائر منازل الذين يمكن أن يخبئوا هذه الأشياء لي سوف تفتش غداً . (يضحك بصوت خافت .)

تاتيانا (مضطربة) : سوف أتحدث بصراحة ... إن مركزي في هذه الدار لا يسمح لي باستعمال الغرفة التي أعطيت لي كأنها غرفتي الخاصة .

سينتزوف : وبكلام آخر لا تستطيعين ؟ حسناً ، إذن ...

تاتيانا : أرجوك ألا تستاء مني .

سينتزوف : طبعاً لا . إن رفضك مفهوم تماماً . . .

تاتيانا : ولكن انتظر، فسوف أتحدث إلى ناديا .

(تخرج . ينقر سينتزوف بأصابعه على المائدة وهو يراقبها تبتعد. تُسمع خطوات متلصصة .)

سينتزوف (بصوت خافت) : من هناك ؟

جريكوف : هذا أنا . هل أنت وحيد ؟

سينتزوف : نعم ، ولكن ثمة أناساً يتجولون في الأنحاء . ماذا من جديد في المعمل ؟

جريكوف (يضحك ضحكة قصيرة) : أنت تعلم أنهم وافقوا على البحث عن ذلك
الذي أطلق النار. وهم يقومون بتحقيق الآن. ولقد صاح البعض :
« إنهم الاشترا كيون الذين قتلوه ! ». وبصورة عامة ، فان النقمة
البشعة التي يريد منها كل إنسان أن ينقذ جلده قد بدأت .

سينتزوف : هل تعرف - من ؟

جريكوف : أكيموف .

سينتزوف : كلا ! أف ... ما كنت أتوقع ذلك ! إنه لفتى رائع جداً ، كثير
الحساسية ...

جريكوف : إنه ملتهب المزاج . وهو يريد أن يسلم نفسه . إن له زوجة وولداً ،
وولداً آخر على الطريق .. لقد تحدثت إلى ليفشين قبل برهة
وجيزة . وهو يقول طبعاً أشياء غير معقولة ... يقول إن علينا أن
نستبدل بأكيموف شخصاً آخر أقل أهمية منه .

سينتزوف : هذيان خالص ! . لكن أشدّ ما في كل ذلك من إزعاج ! (يسكت)
إسمع ، يا جريكوف ، عليك أن تدفن في الأرض كل شيء ...
ليس ثمة مكان آخر لاخفائه .

جريكوف : لقد وجدت مكاناً . لقد وافق عامل البرق على أخذ كل شيء .
ولكن من الأفضل أن تبتعد من هنا ، يا ماتفي نيقولايفيتش .

سينتزوف : كلا ، لن أذهب إلى أي مكان مطلقاً .

جريكوف : سوف يعتقلونك .

سينتزوف : ماذا في ذلك ؟ سوف يترك ذهابي أثراً سيئاً في العمال .

جريكوف : هذا صحيح . لكن الاعتقال أمر سيء بالنسبة إليك .

سينتزوف : هراء ، إني آسف من أجل أكيموف بالأحرى .

جريكوف : أجل ، وليس ما نستطيع في سبيل مساعدته . إنه يريد أن يسلم نفسه . شيء رائع أن أراك في دور حارس أملاك الملايين .

سينتزوف (مبتسماً) : ليس من سبيل آخر . أعتقد أن رفاقي نيام ؟

جريكوف : كلا ، بل قد اجتمعوا كي يناقشوا الأمور . إنها ليلة عظيمة .

سينتزوف : سأكون سعيداً بمرافقتك ، ولكن لا بدّ لي من الانتظار . لمن المحتمل أن يعتقلوك أنت الآخر .

جريكوف : وبذلك نقضي أيام سجننا معاً . إني ذاهب .

(يخرج .)

سينتزوف : وداعاً (تدخل تاتيانا .) لا تهتمي ، يا تاتيانا بافلوفنا . لقد رتبت كل شيء ! وداعاً .

تاتيانا : إني آسفة كل الاسف .

سينتزوف : طابت ليلتك .

(يخرج . تذرع تاتيانا أرض المسرح بخطاً هادئة ، متفحصة عقبي حذائها . يدخل ياكوف .)

ياكوف : لماذا لا تذهبين إلى فراشك ؟

تاتيانا : لا أريد ذلك . إني أفكر في الذهاب بعيداً عن هنا .

ياكوف : هم - م - م . أما أنا ، فلا مكان لي أذهب إليه . لقد اجتزت سائر القارات والجزر .

تاتيانا : لييأس المرء هنا . كل شيء لا يبرح يتأرجح حتى يشمل رأسي . إني مضطرة أن أكذب ، وأنا لا أستطيع أن أطيق الكذب .

ياكوف : هـ - م . أنت لا تستطيعين أن تطيقي الكذب . من سوء حظي أنا ، من سوء حظي .

تاتيانا (لنفسها) : ولكني في هذه اللحظة بالضبط ـ قد كذبت . طبيعي أن ناديا
كانت توافق على إخفاء تلك الأشياء ، ولكني لا أملك الحق في
دفعها على هذه الطريق .

ياكيوف : عما تتحدثين ؟

تاتيانا : أنا ؟ لا شيء على التعيين . لشدّ ما في كل ذلك من غرابة . منذ
فترة قريبة فقط كانت الحياة واضحة جلية ، وكنت أعرف ما
أريـــد ...

ياكوف (بهدوء) : يالله ! إن السكيرين من المرهوبين ، والماطين الجبليين ، وسائر
أعضاء المهن الفكهة لم يعودوا يجتذبون الانتباه . إن الناس
يجدوننا باعثين على السرور والتسلية ما وقفنا وراء بلادة الحياة .
ولكن البلادة تصبح مفجعة أكثر فأكثر . ويصيح البعض : «هي ،
أنتم المهرجون والممثلون ! أخرجوا عن المسرح ! » ولكن
المسرح ميدانك ، يا تانيا .

تاتانيا (بقلق) : ميداني ؟ أجل ، لقد حسبت مرة أني أقف بثبات على المسرح ،
وأني أستطيع هنا أن أبلغ ذرى مرتفعة . (بصعوبة وألم) إني
أحس البؤس والضيق أمام هؤلاء الناس الذين يراقبونني بأعين
باردة صامتة تلوح كأنها تقول : « إننا نعرف كل ذلك ، فهو نديم
ممل . » إني أحس الضعف أمامهم وأنا عزلاء من كل سلاح ...
لا أستطيع أن أملكهم وأثير عواطفهم . لأريد أن أرتعش فرحاً
وخوفاً ، لأريد أن أقول كلمات ملأى بالنار ، والهوى ، والحقد...
كلمات حادة كالسكين ، ملتهبة كالشعلة ... لأريد أن أصبها
بسخاء وإسراف أمام النـاس . ألا فليشتعل المستمعون إليّ ،

وليصيحوا ، وليولوا الادبار ...ولكن ليس ثمة مثل هذه الكلمات.
كنت أعترض سبيلهم ، ثم أقذفهم بكلمات جميلة ، مثل الورد ،
ملأى بالرجاء ، والحب ، والفرح ! ولسوف يبكون ، وكذلك
أبكي أنا . سوف أبكي بعبرات رائعة ! ولسوف يهتفون لي ،
ويغرقونني بالأزهار ، ويرفعونني على أيديهم . وسوف يكونون في
قبضة يدي لبرهة من الزمان ، وتلك تكون برهة من الحياة . كل
الحيـاة في تلك البرهة الوحيدة ! ولكن ليس ثمة مثل تلك
الكلمات المتأججة .

ياكوف : إننا نعرف جميعاً كيف نعيش لبرهة واحدة فقط .

تاتيانا : إن أفضل الأشياء في الحياة تحدث في لحظة واحدة فقط . اشدّ
ما أود أن أرى النـاس على صورة أخرى ـ أن أراهم أكثر تلبية
واستجابة ! وأن أرى الحياة على صورة أخرى ـ أن أراها أقل
عبثاً ! حياة يكون الفن فيها لا غنى عنه ـ لكل واحد وبصورة
دائمة . بحيث يكون لي في الحياة مكان .... (يحدق ياكوف
في الظلمة بعينين واسعتين .) فيمَ تشرب بمثل هذا الاسراف ؟
لقد قتلت نفسك . لقد كنت جميلاً مرة .

ياكوف : إذني ذلك .

تاتيانا : أفلا تستطيع أن تفهم كم يصعب ذلك عليّ ؟

ياكوف (بهلع) : لا تهتم درجة سكري ، فأنا أفهم كل شيء . وهذه هي مصيبتي.
إن فكري لا يبرح يعمل ويعمل بعناد ملعون . إنه يعمل بصورة
دائمة . وإني لأرى بصورة دائمة وجهاً فارغاً ، عريضاً ، غير
مغسول ، ذا عينين هائلتين لا يبرحان يرددان السؤال : « والآن ؟ »

هذه الكلمة ليس غير : « والآن ؟ »

بولينا (تدخل مسرعة) : تانيا ! أرجوك أن تأتي إلى هنا ، ياتانيا . إنها كليوباترا . لقد فقدت عقلها . إنها تهين كل إنسان ... ربما استطعت أن تهدئي من روعها .

تانيا (بشقاء) : دعوني من مشاحناتكم . أسرعوا زراتهموا بعضكم بعضاً ، ولكن كفوا عن العدو والارتماء تحت أقدام سائر الناس .

بولينا (مدهوشة) : تانيا ! ماذا أصابك ؟ ماهذا الذي تقولين ؟

تاتيانا : إلام تحتاجين ؟ ماذا ترين ؟

بولينا : أنظري إليها فقط . هذه هي قادمة .

زاخار (من خارج المسرح) : كوني هادئة ، أتوسل اليك !

كليوباترا (من خارج المسرح أيضاً) : أنت الذي يجب أن تكون هادئاً في حضوري!

بولينا : سوف تشرع تصيح ههنا ، وسائر هؤلاء الموجيك فيما حولنا .. ذلك فظيع ، ياتانيا .

زاخار (يدخل) : إسمعوا ... لأخاف أني في طريق الجنون .

كليوباترا (تتبعه) : لا تستطيع فراراً مني . سوف أجبرك على الاصغاء إلي ... لقد لعبت على العمل لأنك بحاجة إلى احترامهم . لقد ألقيت إليهم حياة بشرية كما تلقي قطعة من اللحم إلى الكلاب . أنت إنساني على حساب الآخرين ، بثمن دماء الآخرين !

زاخار : ماذا تقول ؟

ياكرف (إلى تاتيانا) : من الأفضل أن تخرجي . (يخرج .)

بولينا : أنظري إلي ، ياسيدتي الرائعة . إننا قوم لائقون ، ولا نريد امرأة بمثل شهرتك أن تصيح في وجهنا ...

زاخار (منتفضاً) : احتفظي بهدوئك، يا بولينا، بحق السموات!

كليوباترا : ما الذي يجعلك تحسبين أنكم قوم لائقون؟ لأنكم تثرثرون في قضايا السياسة؟ في بؤس الجماهير؟ في التقدم والانسانية؟ أهذا هو السبب؟

تاتيانا : كليوباترا بتروفنا! كفاك من مثل هذا الكلام!

كليوباترا : أنا لا أتكلم معك. أنت لست من هذا المكان، وليس هذا من شأنك البتة... لقد كان زوجي إنساناً شريفاً ـ صريحاً وشريفاً. لقد كانت معرفته بعامة الناس أفضل من معرفتكم بهم. وهو لم يثرثر مثلكم. ولقد خنتموه. لقد قتلتموه بيلاهتكم الشريرة.

تاتيانا (إلى بولينا وزاخار) أخرجا، أنتما الاثنين!

كليوباترا : سوف أذهب أنا. إنك لتبعثين فيّ الاشمئزاز... أنتم جميعاً تبعثون فيّ الاشمئزاز!

(تخرج.)

زاخار : إليكم هذه المرأة المجنونة!

بولينا (تغص بالدموع) : يجب أن نترك كل شيء ونذهب... أن نهين الناس على هذا الغرار!

زاخار : ما الذي يجعلها هكذا؟... لو أنها أحبت زوجها، أو عاشت راضية معه... أما أن تتخذ عاشقين على الأقل كل سنة، ثم تروح تصيح على هذا المنوال..

بولينا : يجب أن نبيع المعمل؟

زاخار (في اضطراب) : هراء... نبيعه! ليس هذا هو المطلوب. ينبغي لنا أن نفكر ملياً في الأمور، وأن نفكر فيها ملياً بصورة جيدة. لقد

كنت أتحدث إلى نيقولاي فاسيليفيتش عندما اندفعت هذه المرأة بيننا وقطعت علينا حديثنا .

بولينا : إنه يكرهنا ـ نيقولاي فاسيليفيتش . إنه وضيع النفس .

زاخار (وقد هدأت ثائرته) : إنه غاضب مصدوم . ولكنه شخص ذكي ، ولا سبب عنده كي يكرهنا . ثمة اعتبارات عملية خالصة تربطه بنا منذ وفاة ميخائيل .

بولينا : إني خائفة منه ، ولا أثق به . لسوف يخدعنا .

زاخار : آه ، يابولينا ،هذا كله هراء ... إنه يتمتع بمحاكمة حسنة جداً... أجل، إنه يتمتع بهذه المحاكمة .والحقيقة أني قداتخذت موقفاًمبهماً في علاقاتي مع العمال ؛ يجب أن أعترف بذلك . عندما تحدثت إليهم ذلك المساء ـ آه يابولينا ، هؤلاء القوم لعلى شيء كثير من العداء!

بولينا : لقد سبق فأخبرتك . وهــــذا هو بالضبط ما قلت لك . لسوف يكرنون أعداءنا على الدوام ! (تضحك تاتيانا بصوت خافت وتغادر المكان . تنظر بولينا إليها وترفع صوتها عمـــداً، وهي تسترسل في حديثها .) كل إنسان عدو لنا ! هم جميعاً يحسدوننا ، وهذا هو السبب في أنهم يقفون جميعاً ضدنا .

زاخار (يسير مسرعاً في غدوة ورواح) : أجل ، أنت على حق جزئياً بالطبع . إن نيقولاي فاسيليفيتش يقول : القضية ليست قضية نضال بين الطبقات ، بل قضية نضال بين الأجناس ـ الأسود والأبيض ... طبعاً ، إن في هذا القول شيئاً من القسوة . تلك مبالغة ... ولكن إذا توقفنا عن التفكير في كوننا قوماً مثقفين ، وأننا نحن الذين خلقنـــا العلم ، والفن ، رما إلى ذلك ـ المساواة ، المساواة

الفيزيولوجية ، وتي ... حسناً ، لا بأس . ولكن فليصبحوا إنسانيين أولاً ، فليصبحوا متمدنين وعندئذ نتحدث عن المساواة .

بولينا (متيقظة) : هذا شيء جديد عندك ...

زاخار : كل هذا تقريبي بعد ، لم أتمعن فيه بصورة تامة ... الأمر المهم هو أن علينا أن نتعلّم كيف نفهم أنفسنا .

بولينا (تمسك به من ذراعه) : إن قلبك لعظيم الرقة ، يا عزيزي . وهذا ما يجعل الأمور على مثل هذه الصعوبة بالنسبة إليك .

زاخار : إننا نعرف الشيء القليل جداً ، وكثيراً ما ندهش . خذي سينتروف ذاك ، مثلاً . لقد أدهشني وجعلني مثله - إنساناً بسيطاً جداً يكمن خلف آرائه منطق كثير الوضوح . ولقد تبين أنه اشتراكي ، ومن هناك يستقي منطقه وبساطته .

بولينا : آه ، بلى . إنه يجتذب الانتباه جيداً . مثل ذلك الوجه الباعث على النفور ! ولكنك تحتاج إلى بعض الراحة ، أفلا تعتقد أنه من الأفضل أن نذهب ؟

زاخار (يتبعها) : ثم هناك عامل آخر - جريكرف . فتى صفيق . لقد كنا ، نيقولاي فاسيليفيتش وأنا ، نتذكر خطابه لتوناً . صبي لا أكثر ، ومع ذلك يتكلم بغطرسة عظيمة ... (يخرجان . سكون . تسمع أغنية من خارج المسرح ، ثم أصوات خافتة . يدخل ياجودين ، وليفشين ، وريابتزوف ، وهو فتى يكثر من إلقاء رأسه إلى الوراء ، وجهه مدور بسيط السيماء . يقف ثلاثتهم تحت الأشجار .)

ليفشين (بصوت خافت وبلهجة من يقرن سر أيه : ذلك في سبيل القضية العامة ، يا بإستكرف . ريابتزوف : أعلم ...

ليفشين : في سبيل القضية العامة ، القضية الانسانية . ثمة ثمن مرتفع لكل نفس عظيمة ، هذه الأيام ، يا أخي . إن الناس ينتشلون أنفسهم بعقولهم . إنهم يسمعون ، ويقرأون ، ويفكرون . وأولئك الذين توصلوا منهم إلى فهم شيء أو شيئين لا يقدّرون بثمن ...

باجودين : هذا صحيح ، يا باشكوف .

ريابتزوف : أعلم ذلك . ماهي الفكرة ؟ سوف أحققها .

ليفشين : يجب ألا تفعل شيئاً لما في ذلك من لذة فقط . ينبغي لك أن تفهم لماذا . أنت ما برحت شاباً ، وهذا يعني الأشغال الشاقة .

ريابتزوف : لا بأس في ذلك . سوف أهرب .

باجردين : ربما لن يعني ذلك ذلك ، فأنت أصغر من أن يحكم عليك بالأشغال الشاقة ، ياباشكوف .

ليفشين : فلنسمّ ذلك كذلك . إذ كلما زدنا الأمور سوءاً كان ذلك أفضل . إذا أراد امرؤ أن يتحمل أسوأ العذاب ، فذلك يعني أنه حازم في عزمه حتى النهاية .

ريابتزوف : لقد عزمت :

باجردين : لا تتسرع . فكر في الأمر ملياً ...

ريابتزوف : فيم تريد ني أن أفكر ملياً ؟ لقد قتل ، وهكذا فان شخصاً ما يجب أن يتحمل عواقب ذلك ...

ليفشين : هذا صحيح . يجب أن يفعل شخص ما ذلك . وإذا لم يسلم شخص واحد نفسه ، فسوف يدعى عدة أشخاص لتقديم الحساب عن ذلك . سوف يستدعون أفضل جماعتنا ليقدموا الحساب عن ذلك ، يا باشكوف ، أولئك الذين هم أعظم قيمة لقضيتنا منك ، بينما

باشكوف .

ريابتزوف : أنا لا اقول شيئاً . قد أكن شاباً ، لكنني أفهم . ينبغي لنا أن نتماسك بصورة متينة . . مثل حلقات السلسلة .

ايفشين (متنهداً) : هذا صحيح .

ياجودين (مبتسماً) : سوف نضم أيدينا إلى بعضها ، ونطوقهم ، ونضيق عليهم الخناق ، وهكذا نخلص منهم !

ريابتزوف : حسناً ، لقد بنيتُ عزمي. ليس ثمة من يرتبط بي ، وهكذا فأنا الذي ينبغي لي أن أذهب . لما يؤسف له جداً ، من أجل مثل ذلك الدم الفاسد ، أن ...

ليفشين : ليس من أجل ذلك الدم ، بل في سبيل مصلحة رفاقك .

ريابتزوف : أجل ، لكنني أعني أنه كان مكروهاً ... وضيعاً كما هم جميعاً .

ليفشين : لقد قُتل لأنه كان وضيعاً . الناس الطيبون يموتون ميتة طبيعية . هم لا يعترضون سبيل أي إنسان .

ريابتزوف : حسناً ، أهذا كل شيء ؟

ياجودين : هذا كل شيء ، يا باشكوف . وهكذا سوف تروي لهم صباح الغداة ؟

ريابتزوف : لمَ الانتظار حتى الغداة ؟

ليفشين : كلا ، من الأفضل أن تنتظر حتى الغداة .. فالليل ناصح جيّدٌ كالأم نفسها .

ريابتزوف : كما قلتَ بالضبط ... هل أستطيع الذهاب الآن ؟

ايفشين : فليكن الله معك !

ياجودين : إذهب قدماً ، أيها الأخ ، وكن ثابتاً ...

(يخرج ربابتزوف دونما عجلة . يتطلع ياجودين إلى العصا التي يقلبها بين يديه . يحدق ليفشين في السماء .)

ليفشين (بصوت خافت) : ثمة كثير من الناس الراشدين ينمون في هذه الأيام ، يا نيموفي .

ياجودين : طقس جيد ، محصول جيد .

ليفشين : إذا استمرت الأمور هكذا ، فمن المؤكد أننا سنتخلص من هذا المأزق .

ياجودين (بألم) : ذلك سيء جداً بالنسبة إلى الصبي .

ليفشين (بصوت خافت) . أجل ، ذلك سيء جداً ،وإني لأرثي له ...إليك... إنك تذهب إلى السجن . وبسبب قضيـــة بغيضة . وليس سوى عزاء وحيد ـ لقد فعل ذلك من أجل رفاقه .

ياجودين : أجـ ـل .

ليفشين : لكن من الأفضل أن تمسك لسانك. تشك : ما الذي حمل أندريه على شد ذلك الزناد ؟ أي خير في القتل ؟ لا خير على الاطلاق . أقتل كلباً ، فيشتري المالك كلباً آخر ، وإن للرواية نهاية .

ياجودين (بحزن) : كم من جماعتنا يضحّى بهم !

ليفشين : تعال ، أيها الفقير! ينبغي لنا أن نحفر أملاك المالكين ! (يخرجان.) أواه ، يا رب ...

ياجودين : ما بالك ؟

ليفشين : إنها حياة قاسية ! لو كنا نستطيع فقط أن نحلّ عقدهـا بصورة أسرع !

(ستار)

الفَصلُ الثّالِثُ

(غرفة كبيرة في دار باردين . في الجدار الخلفي أربع نوافذ وباب ينفتح على عتبة مرتفعة . ومن خلف زجاج النوافذ يبدو بعض الجنود ، ورجال الدرك ، وجماعة من العمال ، بينهم ليفشين وجريكوف . تلوح على الغرفة علامات الوحشة والهجر : فالأثاث القليل يتألف من قطع غريبة بالية ، وورق الجدران ممزق ، وثمة طاولة عريضة موضوعة إلى اليمين . ترتفع الستارة وكون يضع عدة مقاعد حول الطاولة غاضباً ، وأجرافينا تمسح الأرض . وثمة بابان مضاعفان عريضان في الجدارين الأيمن والأيسر .)

أجرافينا : حسناً ، لا حاجة لأن تغضب مني !

كون : لست بغاضب . في استطاعة الجميع أن يذهبوا إلى الشيطان دون أن أبالي ... ألا شكراً للسماء على أنني سأموت عما قريب... فقلبي قد شرع ينهار منذ الآن ...

أجرافينا : لسوف نموت جميعاً ، فليس ثمة مبرر للقلق .

كون : لقد شبعت ... لقد قرفت من كل شيء . عندما يصل العمر بك

إلى الخامسة والستين ، فأنت لن تتحملي قذارتهم أكثر مما تحملت . لكأنك إذن تحاولين كسر جوزة قاسية بلثة لا أسنان فيها ... تصوري التجوال بهؤلاء البشر جميعاً والسير بهم تحت الأمطار !

(يدخل الرئيس بوبويدوف ونيقولاي من الباب الأيسر .)

بوبويدوف (فرحاً) : إذن ستكون هذه قاعة المحكمة ؟ عظيم . أعتقد أنك تتصرف بصورة تتفق مع إمكانيتك المهنية ؟

نيقولاي : نعم . كون ، نادِ العريف !

بوبويدوف : والآن ، إليك كيف سننظم ذلك : في المركز ذلك ...ما اسمه ؟

نيقولاي : سينتزوف .

بوبويدوف : سينتزوف ... اشدّ ما يؤثر ذلك . والجميع يحتفون به ، عمال العالم المتحدون ، ما ؟ سيكون ذلك منظراً يبعث الدفء في القلب ! إن صاحب هذا المكان لرجل لطيف ، لطيف جداً . لقد كان انطباعي عنه يختلف كل الاختلاف . أنا أعرف أخت زوجته من مسرح مدينة فورونيج . إنها ممثلة بارعة . (يدخل كفاش من الباب ذي العتبة .) حسناً ، يا كفاش ؟

كفاش : لقد فتشناهم جميعاً ، ياصاحب السعادة .

بوبويدوف : حسناً ، وماذا وجدت ؟

كفاش : لم نجد شيئاً . إسمح لي أن أقول إن مفتش الشرطة كان في عجلة من أمره بحيث لم يقم بواجبه بصورة كافية ، ياصاحب السعادة.

بوبويدوف : كان يجب أن أتوقع هذا . فالشرطة هكذا دائماً . هل وجدت شيئاً مع الموقوفين ؟

كفاش : وجدنا أشياء خلف الأيقونات عند ليفشين .

بوبويدوف : أحضروا كل شيء إلى غرفتي .

كفاش : حاضر ، يا صاحب السعادة . ذلك الدركي الشـــاب ، ياصاحب السعادة ، الذي قدم من الجيش حديثاً ...

بوبويدوف : ما شأنه أيضاً ؟

كفاش : هو الآخر لا يتقن عمله .

بوبويدوف : حسناً ، عليك الاشراف على ذلك بنفسك . هيا ارحل الآن . (يخرج كفاش .) إنه عصفور غريب ، كفاش هذا . لا هو على النظر، وتلوح عليه بعض علائم البلاهة والغباء ، لكن له أنفاًمثل أنف الكلب !

نيقولاي : أنصحك أن توجّه عناية خاصة إلى ذلك الـكاتب ، يا بوجدان دينيسوفيتش ...

بوبويدوف : آه ، بلى ، حقيقة . سنذيقه مرّ العلقم بكل تأكيد.

نيقولاي : لست أتحدث عن سينتزوف ، بل عن بولوجي . يتراءى لي أنه قد يكون ذا فائدة لنا .

بوبويدوف : آه ، ذلك الشاب الذي كنا نتحدث عنه ! أجل ، بالطبع . سوف نجره إلى القضية .

(يذهب نيقولاي إلى الطاولة ويرتب باعتناء بعض الوثائق .)

كليوباترا (على الباب الأيمن) : ما رأيك بقدح من الشاي ، يا رئيس ؟

بوبويدوف : أجل ، شكراً لك ، إن كان ذلك لا يزعجك كثيراً . بلاد جميلة هـــذه البلاد ، وبقعة لطيفة ... ولقـد تبين أني أعرف السيدة لوجوفوي . أفلم تك تمثل على مسرح فورونيج؟

كليوباترا : ليبدو كذلك ... أوجدت شيئاً عندما قمت بعملية التفتيش ؟

بوبويدوف (في لطف) : كل شيء . وجدنا كل شيء . لا تقلقي ، في استطاعتك التأكد من أننا سنجد أشياء على الدوام . حتى إذا لم يكن ثمة ما نجد ، فاننا نجده .

كليوباترا : ما كان المرحوم زوجي يعير هذه المناشير أدنى عناية جدية. وكان يقول دائماً إن الأوراق لا تصنع ثورة .

بوبويدوف : هم . مما لا ريب فيه أن هذا ليس بصحيح تماماً .

كليوباترا : وكان يقول إن المناشير هي أوامر سرية مرسلة من أغبياء إلى مجانين.

بوبويدوف (ضاحكاً) : يا للذكاء - رغم عدم صحته أيضاً .

كليوباترا : وترى الآن أنهم قد تقدموا من توزيع المناشير إلى مباشرة العمل .

بوبويدوف : يمكن أن تتأكدي من أنهم سيعاقبون بشدة - بشدة قصوى .

كليوباترا : تلك تعزية عظيمة . لقد شعرت بالراحة منذ قدومك .

بوبويدوف : من صلب عملنا أن نشعر الناس بالفرح والسرور .

كليوباترا : لا أستطيع أن أعبر لك عن السرور الذي يغمر المرء عندما يجد شخصاً نجيباً كفوءاً. مثل هؤلاء الأشخاص أمسوا قلة هذه الأيام.

بوبويدوف : أواه ، الجميع أكفاء في فصائل الدرك الخاصة بنا .

كليوباترا : فلنمض إلى الطاولة .

بوبويدوف (متحركاً) : بكل سرور الدهم ، لربما تستطيعين إخباري أين تمثل السيدة لوجرفري في هذا الفصل ؟

كليوباترا : كلا ، فأنا لا أدري .

(تدخل تاتيانا وناديا من جهة العتبة المرتفعة .)

ناديا (مضطربة) : أرأيت كيف كان ذلك العجوز ليفشين ينظر إلينا ؟

تاتيانا : نعم .

ناديا : لست أدري ... ايلوح كل شيء مخيفاً بطريقة ما ... ومخجلاً بصورة فظيعة . لماذا تفعل ذلك ، يا نيقولاي فاسيليفيتش ؟ ولمَ اعتقلت هؤلاء الناس ؟

نيقولاي (بجفوة) : ثمة أسباب كافية تدعوني إلى اعتقالهم ... ويجب أنْ أطلب إليك ألا تستعملي البوابة مادام هؤلاء ...

ناديا : أوه ، لن نفعل .

تاتيانا (ترنو إلى نيقولاي) : وهل اعتقل سينتزوف أيضاً ؟

نيقولاي : نعم ، لقد اعتقل سينتزوف أيضاً .

ناديا (تراوح في الغرفة وتنادي):سبعة عشر شخصاً ! وزوجاتهم واقفات عند البوابات يبكين ويذرفن العبرات.. والجنود يطردونهنَّ ويهزؤون بهنَّ . قل للجنود أنه يتوجب عليهم على الأقل أن يتصرفوا بصورة لائقة .

نيقولاي : ليس هذا من شأني . الملازم ستريبيتوف مسؤول عن الجنود .

ناديا : سأذهب وأسأله ذلك .

(تخرج من باب اليمين . تاتيانا تبتسم وتضرب على الطاولة.)

تاتيانا : أصغِ ، يامتبرة القوانين ، كما يدعوك الجنرال ..

نيقولاي : لست أجد الجنرال على قدر كافٍ من الذكاء . ولاأحبّ ترديد نكاته .

تاتيانا : أوه ، كلا ، لقد أخطأت . نعش القوانين ـ هكذا يسميك . ألا تحب ذلك ؟

نيقولاي : جلّ ما في الأمر أنني لست في حال تسمح لي بالمزاح .

تاتيانا : أتعني أنك إنسان كثير الجد ؟

نيقولاي : فلأذكرك أنهم قتلوا أخي نهار البارحة .

تاتيانا : وماذا يعني ذلك بالنسبة إليك ؟

نيقولاي : أستميحك عذراً ، إنما ...

تاتيانا (مبتسمة) : كفاك ادعاء ، فلست بآسف على أخيك . وأنت لم تحسّ الأسف على إنسان أبداً . مثلي أنا ، على سبيل المثال . الموت ، الموت الفجائي ، هذا وحـــده يؤثر في كل إنسان تأثيراً سيئاً . واسمح لي أن أؤكد لك أنك لم تحسّ لحظة واحدة أسفاً صادقاً إنسانياً على أخيك ... فهذا ليس من خصالك .

نيقولاي (متضايقاً) : هذا يبعث على الاهتمام . من أين لك بمثل هذه الآراء ؟

تاتيانا : أفلم تعلن أنني وإياك روحان متقاربتان ؟ كلا ؟ ما أسوأ ذلك ! أنا ممثلة ـ مخلوقة باردة جامدة العواطف ، تتملكني رغبة وحيدة ـ أن أمثّل دوراً جيداً . وأنت أيضاً قاسي القلب ، يتملكك قلق يحدوك إلى تمثيل دور جيد . أخبرني صراحة ، أتريد حقاً أن تصير مدعياً ؟

نيقولاي (بهدوء) : أريد أن تكفي عن هذا .

تاتيانا (ضاحكة ، ثم بعد فترة قصيرة) : إنني دبلوماسية رديئة . لقد جئت إليك على نية أن ... لقد نويت أن أكون لطيفة فاتنة ... لكني لم أكد ألمحك حتى شرعت أزعجك وأهينك . فأنت تجبرني دائماً على إيذائك ... أكنت تتنزه أم كنت تستريح ، أكنت تتحدث أم تحكم على الناس في صمت ... سوى أني أريد سؤالك ...

نيقولاي (مطلقاً ضحكة قصيرة) : في إمكاني تخمين ذلك .

تاتيانا : لربما ؟ لكني أعتقد أنني تأخرت كثيراً ؟

نيقولاي : سيكون الوقت قد فات في أي حين تسألين . فالسيدسينتزوف قد وقع في أحبولة عميقة .

تاتيانا : أعتقد أنك تنال بعض الرضى إذ تخبرني بهذا ، أليس كذلك ؟

نيقولاي : لست أكتم ذلك .

تاتيانا (متنهدة) : هذا يبين بالضبط مبلغ ما نشبه بعضنا بعضاً . فأنا أيضاً حقيرة وضيعة . قل لي – هل سينتزوف واقع في قبضتك بصورة تامة ، أعني في قبضتك « أنت » على الخصوص ؟

نيقولاي : طبعاً .

تاتيانا : وإذا سألتك إطلاق سراحه ؟

نيقولاي : لا تستفيدين شيئاً .

تاتيانا : حتى إذا سألتك ذلك بلهفة عظيمة ؟

نيقولاي : ذلك لا يغيّر شيئاً .. أنت تحيرينني .

تاتيانا : حقاً ؟ لماذا ؟

نيقولاي : أنت امرأة جميلة ذات فكر خاص من دون ريب . أنت شخصية. وثمة فرص عديدة أمامك لتعيشي حياة رخصة مترفة ... ومع ذلك تهتمين بهذا اللاشيء . إن الشذوذ مرض ، وكل رجل مهذب ينتابه الغيظ من جراء تصرّفك ... وليس من يغفر لك هذا ممّن يعجبون بالنساء ويقدّرون الجمال.

تاتيانا (تنظر إليه بفضول) : إذن ، هذا حكمك عليّ ! ... وا أسفاه ! وسينتزوف ؟

نيقولاي : سيذهب ذلك الجنتلمان إلى السجن هذه الليلة .

تاتيانا : أذلك نهائي ؟

نيقولاي : أجل .

تاتيانا : من دون أية تسوية ، فيما إذا طلبت سيدة منك ذلك ؟ لست أصدق هذا . إني أريـد ذلك بصورة عنيفـة ، ولسوف تطلق سراح سينتزوف .

نيقولاي (في جفوة) : حاولي أن تريدي ذلك بصورة عنيفة ـ حاولي فقط .

تاتيانا : ليس في مقدوري ... ولا أعرف كيف ... لكن ، أصدقني ـ وان يصعب عليك كثيراً أن تصدقني الحقيقة مرة في حيـاتك ـ هل ستفرج عنه ؟

نيقولاي (بعد صمت قصير) : لست أدري ...

تاتيانا : أنا أدري ! (صمت ، زفرة حرّى .) يالنا من ثرثارين ! ...

نيقولاي : وعلى كل حال ، ثمة أشياء لا تغتفر حتى ولو صدرت عن النساء.

تاتيانا (في غير مبالاة) : أوه ، ماذا في ذلك ؟ نحن وحيدان ... وليس من يسمعنا . ولي الحق أن أخبرك وأخبر نفسي بكوننا ...

نيقولاي : أرجوك ... ليس في نيتي الاصغاء إلى أكثر من ذلك ...

تاتيانا (في هدوء وإصرار) : وتظل الحقيقة أنك تضع لمبادئك ثمناً أرخص من ثمن قبلة من امرأة .

نيقولاي : لقد قلت لك تماماً إني لا أبالي بالاستماع إليك .

تاتيانا (في هدوء) : أخرج من هنا إذن . أنا واثقة من أنني لن أحتفظ بك .

(يخرج بسرعة . تاتيانا تلف نفسها بوشاحها ، وتقف في وسط الغرفة وترنو إلى البوابة . تدخل ناديا والملازم من جهة اليمين .)

الملازم : أقسم لك أن الجنود لن يهينوا امرأة واحـــدة . فالمرأة مقدسة

بالنسبة إليهم ..

نادیا : حسناً ، سترى .

الملازم : هذا مستحيل .. فالموقف الفروسي من المرأة لم يحتفظ به سوى الجيش وحده .

(يعبران حتى الباب الأيسر . تدخل بولينا ،زاخار ، ويا كوف.)

زاخار : أنت ترى ، يا ياكوف ...

بولينا : ولكن ، كيف يمكن أن يكون خلاف ذلك ؟

زاخار : لقد قمنا ضد الواقع ، بصورة لا مفرّ منها .

تاتيانا : عمَّ تتحدثان ؟

ياكوف : إنهما ينشدان لي مرثاة ...

بولينا : أن يعدم الشعور على هذه الصورة المدهشة ! الجميع يلوموننا ، حتى ياكوف إيفانوفيتش ، ذلك الحليم الوديع أبداً .. وكأنها خطيئتنا إنْ جاء الجنود ! وليس إنسان قد دعا الدرك . إنهم يجيئون دائماً من تلقاء أنفسهم .

زاخار : ويلومونني على هذه الاعتقالات ...

ياكوف : أنا لا ألومك .

زاخار : لم تلمني بكلمات كثيرة ، ولكني أشعر ...

ياكوف (إلى تاتيانا) : كنت جالساً هنالك عندما قدم وقال: « حسناً ، يا أخي؟» فأجبته : « فسدت الأمور ، يا أخي » . وهذا كل شيء .

زاخار : أفليس في وسعك أن تفهم أن التبشير بالاشتراكية على النحو الذي تُقدّم به ههنا سيكون مستحيلاً في أي مكان آخر ؟ ذلك لا يمكن، بكل بساطة ،أن يحدث !

بولينا : الجميع مهتمون بالسياسة ، لكن ما دخل الاشتراكية بالسياسة ؟ هذا ما يقوله زاخار ، وإنه لعلى حق .

ياكوف (مكتئباً) : أي صنف من الاشتراكيين هو العجوز ليفشين ؟ إنه يهذي من العمل الشاق ليس غير ، من الانهاك المحض .

زاخار : جميعهم يهذون .

بولينا : يجب أن يكون في قلوبكم شيء من رحمة ، أيها السادة . فلقد شططنا كثيراً .

زاخار : أتعتقدون أني لا أبالي لأنهم حولوا داري إلى محكمة ؟ وذلك كله خطيئة نيقولاي فاسيليفيتش ، ولكنكم لا تستطيعون مناقشته بعد مثل هذه المأساة .

كليوباترا (تدخل بسرعة) : أسمعتم ؟ لقد وجدوا القاتل ... وهم يسوقونه إلى هنا .

ياكوف (متمتماً) : آه ، بحقّ الاله ...

تاتيانا : من هو ؟

كليوباترا : صبيّ فتيٌّ ... وأنا مسرورة ... لعل ذلك لا يبدو إنسانياً ، لكنني مسرورة . وإذا هو لم يكن سوى صبي صغير ، فسوف أجعلهم يجلدونه كل يوم حتى المحاكمة ... أين نيقولاي فاسيليفيتش ؟ ... أرأيتموه ؟ (تمضي إلى الباب الأيسر ، وهنالك تلتقي بالجنرال .)

الجنرال (في اكتئاب) : هؤلاء أنتم هنا ، متحلقون مثل عصبة من الدجاج المبتل .

زاخار : ذلك مزعج جداً ، يا عماه ...

الجنرال : الدرك ؟ نعم ، ذلك الرئيس شاب عصبيٌّ . وأحبُّ لو أتحايل عليه... أهم يقضون الليل هنا ؟

بولينا : لا أظن ذلك ... ولمَ يفعلون ؟

الجنرال : يا للأسف ! لو كانوا باقين هنا ، لأحببتُ رؤيته وقد انهال سطل من الماء البارد عليه عندما يزحف إلى سريره . هكذا كنت أعامل الضباط الضعاف في كتيبتي . ليس أبعث على السخرية من رؤية رجل مبلَّل عريان يدبُّ ويخبُّ ويصيح .

كليوباترا (تقف قرب الباب) : السموات وحدها تعرف فيم تتحدث هكذا ، يا جنرال . إن الرئيس رجـــل محترم ونشيط كل النشاط . ولم يكد يصل حتى شرع يتعقَّب المجرمين . يجب أن نقدّر ذلك حق قدره .

الجنرال : هِمْ ... كل رجل طويل الشاربين هو رجل محترم بالنسبة إليها . لكن ينبغي للناس أن يعرفوا أماكنهم . هذه هي القضية . هذا هو سر الاحترام . (يخطو صوب الباب الأيسر .) هاي ، كون !

بولينا (في هدوء) : ليخيل إلى المرء أنها قلبت كل شيء هنا . أنظروا فقط كيف تتصرف ! بكل هذه الجفوة وقلة الأدب !

زاخار : لو أنهم يسرعون وينهون الأمر ! لشدّ ما أشتاق السلام والهدوء !

ناديا (تدخل راكضة) : أيتها العمة تانيا ، إن ذلك الملازم غبيّ تماماً ! أعتقد أنه يضرب جنوده ... لله كيف راح يدور ويزعق ويتخذ وجهه ملامح مخيفة ... يجب أن يسمحوا للموقوفين برؤية زوجاتهم ، يا عماه ... إن خمسة من أولئك الرجال متزوجون ... فاخرج وقل لذلك الدركي ... إنه هو المكلَّف بالأمر .

زاخار : لكن أنت ترين ، يا ناديا ...

ناديا : أرى أنك لا تتحرك ... هيا اذهب . أخرج وقل له ... هنّ مسكين ... هيا ، أخرج أقول لك .

زاخار (وهو خارج) : أخشى ألاّ يفيد ذلك شيئاً ...

بولينا : أنت تزعجين الجميع على الدوام ، يا ناديا .

ناديا : بل أنتم الذين تزعجون الجميع دائماً .

بولينا : نحن ؟ فكري فقط ...

ناديا (مهتاجة) : جميعنا — أنت وأنا وعمي ... نحن الذين لا نبرح نزعج الناس. نحن لا نفعل شيئاً ، ولكن هؤلاء الجنود والدرك قد جاؤوا بسببنا ، وهذه القضية كلها قد بدأت بسببنا أيضاً . وقد أُوقف هؤلاء الناس ، والنساء يذرفن العبرات . وكل ذلك بسببنا نحن !

تاتيانا : تعالي هنا ، يا ناديا .

ناديا (تسير نحوها) : حسناً ، ها أنا ذي ... ماذا تريدين ؟

تاتيانا : إجلسي وهدئي من روعك ... أنت لا تفهمين شيئاً ، وليس ما تستطيعين القيام به ...

ناديا : أترين ، ليس لديك حتى ما تقولين . ولست أنوي جنوحاً إلى الهدوء . لست أريد ذلك .

بولينا : كانت أمك المسكينة على حق يوم قالت إنك فتاة عنيدة صعبة المراس.

ناديا : أجل ، كانت على حق ... كانت تكسب الخبز الذي تأكله ، أما أنت — ماذا تفعلين ؟ وخبز من تأكلين ؟

بولينا : هذي هي تثرثر ثانية ! يجب أن أطلب إليك تغيير لهجتك ، يا ناديجدا . كيف تجرؤين على الصياح في وجه من يكبرك سناً ؟

ناديا : أنت لا تكبرينني سناً . أي نوع من الكبار أنت ؟ ... أنت عجوز بكل بساطة ، وهذا كل شيء .

بولينا : تاتيانا ، كل هذا من تأثيرك ، وينبغي لك أن تخبريها أنها فتاة

صغيرة غبية ليس غير ...

تاتيانا : أسمعتِ ؟ أنت فتاة صغيرة غبية ... (تربت على كتفها .)

ناديا : أليس ثمة ما تقولين غير هـذا ؟ لا شيء ! أنت عاجزة حتى عن الدفاع عن نفسك ... يا لهؤلاء النـاس ! أنت ، في الحقيقة ، لا تصلحين لشيء ، حتى ولا هنا في بيتك الخاص ... بكل بساطة ، لا تصلحين لشيء .

بولينا (في حدة) : أوتفهمين ما يثرثر به لسانك ؟

ناديا : هؤلاء الناس جميعاً قد جـاؤوا إلى هنا ـ درك ، جنود ، حمقى ذوو شوارب طويلة ، وكل مايفعلون هو إصدار الأوامر ، وشرب الشاي ، والقرقعة بسيوفهم ، والخشخشة بمهاميزهم ، والتجوّل ضاحكين مكشرين عن أنيابهم ... يقبضون على الناس ، ويزعقون في وجوههم ، ويهددونهم ، ويجعلون النساء يذرفن العبرات ... وأنت ؟ ما نفعك ههنا ؟ لقد رموا بك في إحدى الزوايا ...

بولينا : أفلا تدركين أنك تنطقين بالهراء ؟ لقد جاء هؤلاء الناس لحمايتنا .

ناديا (بمرارة) : آه ، أيتها العمة بولينا ! ليس في قدرة الجنود حماية أي شخص من الغباء !

بولينا (ساخطة) : ما ... ذا ؟

ناديا (تمدّ ذراعيها) : لا تغضبي . هذا ينطبق على الجميع . (تخرج بولينا مهرولة .) يا إلهي ، لقد هربت . ستخبر عمي أني فظة غير طيّعة ، وسيقرأ عليّ عمي محاضرة طويـــلة حتى إن الذباب نفسه سيتساقط ميتاً من الضجر .

تاتيانا (متفكرة) : لست أتصور كيف ستتابعين الحياة في هذا العالم !

ناديا (تومىء بذراعيها إيماءة عريضة) : لن أعيش هكذا ! لن أعيش هكذا بأي ثمن ! ولست أدري ماذا أنا فاعلة ... لكنني لن أفعل شيئاً كما تفعلونه أنتم . لقد عبرت البوابة منذ فترة مع ذلك الضابط ، فرأيت جريكوف يراقبنا ، يدخن وعيناه تضحكان . ومع ذلك فهو يعرف أنهم سيرسلون به إلى السجن . أفلا ترين ؟ أولئك الذين يعيشون حسبما يريدون أن يعيشوا لا يخافون شيئاً . وهم على الدوام مغتبطون مرحون . وإني لأخجل من النظر إلى ليفشين وجريكوف ! لست أعرف الآخرين ، أما هذان ... لن أنساهما أبداً . آه ، ها قد أقبل الأحمق ذو الشاربين ... أو-و-وه !

بوبويدوف (داخلاً) : ما أرهب ذلك ! مَنْ ذلك الذي تحاولين إخافته ؟

ناديا : إني خائفة منك ... أفلن تسمح للنساء بالذهاب إلى أزواجهن ؟

بوبويدوف : كلا ، لن أسمح . فأنا - وغد نذل !

ناديا : لا ريب في هذا ، ما دمت من الدرك . ولمَ لا تسمح للنساء بالذهاب إلى أزواجهن ؟

بوبويدوف (في أدب) : هذا مستحيل في الوقت الحاضر . فيما بعد ، عندما يساق الرجال بعيداً ، سأسمح لهم بتوديعهن .

ناديا : ولكن ، لمَ ذلك مستحيل ؟ ذلك كله يتعلّق بك ، أليس كذلك ؟

بوبويدوف : بي ... بل يتعلّق بالقانون .

ناديا : أوه ، وما شأن القانون بهذا ؟ اسمح لهن بذلك ، أرجوك .

بوبويدوف : ماذا تعنين بقولك - ما شأن القانون بهذا ؟ أتتحدين القانون ، أنت أيضاً ؟ هيا ، هيا !

ناديا : لا تخاطبني بمثل هذه اللهجة . فلست طفلة صغيرة

بوبويدوف : لا أصدق هذا ، الاطفال والثوار وحدهم يتحدون القانون .

ناديا : إذن ، أنا ثورية .

بوبويدوف (ضاحكاً) : أوهو ! إذن من واجبي أن أزجّ بك فى السجن ... أعتقلك وأرمي بك في السجن !

ناديا (بشقاء) : لا تجعل من ذلك هزلاً . إسمح لهن بالذهاب .

بوبويدوف : لا أستطيع . إنه القانون .

ناديا : القانون الأحمق .

بوبويدوف (جاداً) : همْ ... ينبغي ألاتقولي هذا . إذا لم تكوني طفلة كما تقولين، فعليك أن تفهمي أن القوانين يصيغها أولئك الذين يملكون زمام السلطة ، وبدونها لا يمكن أن يكون دولة .

ناديا (في حرارة) : قوانين ، سلطة ، الدولة ... لكن قل لي بحق الاله ، أفلم تخلق هذه الأشياء من أجل الشعب ؟

بوبويدوف : همْ ... طبعاً . يعني من أجل النظام في المحل الأول .

ناديا : إذن ، فليس فيهاشيء صالح ، إذا كانت لا تفعل سوى حمل الناس على البكاء . لسنا في حاجة إلى سلطتكم والدولة إذا كانا يُبكيان الناس ! الدولة ... يا للحماقة ! ماذا أبغي منها ؟ (تتجه صوب الباب .) الدولة ! فيم يهدس الناس في أمور لا يفهمون منهاشيئاً ؟

(تخرج . يرتبك بوبويدوف نوعاً ما .)

بوبويدوف (إلى تاتيانا) : فتاة غير مألوفة مطلقاً . وثمة انحرافات خطيرة في تفكيرها ... يبدو أن عمها ذو أفكار حرة . ألست مصيباً ؟

تاتيانا : ينبغي أن تعرف ذلك أفضل مني . لست أفهم ما يُعنى بالأفكار الحــرة .

بوبويدوف : ماذا تعنين ؟ الجميع يعرفون هذا . ازدراء أصحاب السلطة ـ هذا معنى الأفكار الحرة ... لكن الواقع أنني شاهدتك في فورونيج، يا سيدة لوجوفوي . نعم ، من دون شك ، ولقد سُحرت بتمثيلك المُعجز . تمثيل رائع ، وربي ! ولربما قد لاحظتِ وجودي ـ فأنا أجلس دائماً إلى جانب نائب الحاكم . كنت في ذلك الوقت ملازماً بعد ، في الديوان المحلي !

تاتيانا : كلا ، لا أذكر ذلك ... ربما . ثمة درك عديدون في كل مدينة ، فيما أعتقد .

بوبويدوف : آه ، نعم ، صحيح . في كل مدينة بدون استثناء ! واسمحي لي أن أخبرك أننا ، نحن الضباط ، المحبون الصادقون للفن . حسناً ، لربما التجار أيضاً . خذي مثلاً على ذلك اكتتاباً لابتياع هدية لممثلة مشهورة بمناسبة تمثيلها العظيم ... لسوف تجدين أسماء جميع ضباط الدرك في كل لائحة . وهذا تقليد مرعي الاجراء بيننا ، إذا صح التعبير . لعل لي أن أسأل أين تنوين التمثيل في الفصل القادم ؟

تاتيانا : لم أقرر بعد ... وطبيعي أن ذلك سيكون في مدينة تضمُّ محبين صادقين للفن . هذا ما لا يمكن اجتنابه ، فيما أعتقد .

بوبويدوف (دون أن يفهم ما عنته) : آه ، طبعاً . ستجدينهم في كل مدينة . وفوق هذا ، فالناس يزدادون ثقافة .

كفاش (على العتبة) : يا صاحب السعادة ! لقد جاؤوا بذلك الفتى ـ ذلك الذي أطلق النار ! إلى أين يجلبوه ؟

بوبويدوف : إلى هنا ... جيئوا بالجميع إلى هنا . نادِ المدّعي . (إلى تاتيانا) أستميحك عذراً ، يجب أن ألتفت إلى عملي فترة من الوقت .

تاتيانا : هل ستفحصهم ؟

بوبويدوف (في أدب) : فترة من الوقت . بشكل سطحي تماماً – لاتعرف إليهم فقط ... تلاوة أسمائهم ليس غير ، إذا صح التعبير .

تاتيانا : هل أستطيع الحضور ؟

بوبويدوف : هِمْ ... هذا ليس مألوفاً ، على العموم ... في القضايا السياسية. لكن ما دامت القضية جنائية ،ومادمنا لسنا في دوائرنا ، فيسرّني أن أتيح لك هذه الأمنية ...

تاتيانا : لن يراني أحد ... سأراقب القضية من هنالك .

بوبويدوف : رائع ! أنا سعيد جداً لاستطاعتي أن أردّ لك بعض السرور الذي أعطانيه تمثيلك . عليّ أن أذهب الآن لاحضار بعض الأوراق الهامة .

(يخرج . يدخل من البوابة عاملان نصفان يقودان ريابتزوف كلٌ من ذراع . يسير كون إلى جانبهم ، وهو يختطف نظرات مسترقة إلى وجه السجين . يسير خلفهم كل من ليفشين ، ياجودين ، جريكوف ، وبعض العمال ، والدرك .)

ريابتزوف (غاضباً) : لماذا أوثقتم يديّ ؟ حلوا وثاقي ! هيا !

ليفشين : حلوا وثاق يديه ، يا فتيان ... لماذا تسيئون إليه ؟

ياجودين : لن يهرب .

أحد العمال : يجب أن نفعل ذلك . فالقانون يأمر بأن نشدّ وثاقه .

ريابتزوف : لن أقبل بذلك ! حلوا وثاقي !

عامل آخر (إلى كفاش) : أنفعل ذلك ، يا سيدي ؟ فالفتى هادىء ساكن ... لا نستطيع أن نصدق أنه قد يكون ذلك الذي ...

كفاش : حسناً . حلوا وثاقه .

كون (فجأة) : لقد قبضتم على شخص آخر ! ... لقد كان هذا الفتى عند النهر لما أطلق النار ... لقد رأيته ، وكذلك رآه الجنرال ! (إلى ريابتزوف) تكلم ، أيها الأحمق ! هيا ، قل لهم إنك لست من فعل ذلك ... فيم سكوتك ؟

ريابتزوف (في حدة) : أنا هو !

ايفشين : أعتقد أنه يعرف أكثر منك ، أيها الجندي ...

ريابتزوف : أنا هو !

كون (صائحاً) : أنت تكذب ! أيها المخل بالأمن ! (يدخل بوبويدوف ونيقولاي سكروبوتوف .) لقد كنت تجذف على صفحة الماء وتغني ساعة حدث هذا ... أتستطيع أن تنكر ذلك ؟

ريابتزوف (في هدوء) : كان هذا فيما بعد .

بوبويدوف : أهذا هو ؟

كفاش : نعم ، يا صاحب السعادة .

كون : كلا ، ليس هو .

بوبويدوف : ماذا ؟ كفاش ، أخرج هذا العجوز . كيف دخل هذا العجوز إلى هنا ؟

كفاش : إنه تابع الجنرال ، يا صاحب السعادة .

نيقولاي (متفحصاً ريابتزوف) : لحظة واحدة ، يابوجدان دينيسوفيتش ... دعه وشأنه ، يا كفاش .

كون : أبعد يديك عني . فأنا جندي أيضاً .

بوبويدوف : كفى ، يا كفاش !

نيقولاي (إلى ريابتزوف) : أأنت الذي قتلت أخي ؟

ريابتزوف : نعم أنا .

نيقولاي : ولم فعلت ذلك ؟

ريابتزوف : لقد كان يعاملنا بقسوة .

نيقولاي : ما اسمك ؟

ريابتزوف : بافل ريابتزوف .

نيقولاي : آه ... ماذا كنت تقول ، يا كون ؟

كون (شديد الاضطراب) : لم يقتله ! لقد كان على النهر حينما حدث ذلك ! ... وأنا على استعداد لأن أقسم على هذا . لقد رآه الجنرال ، وكذلك أنا ... وقد قال الجنرال : « أفليس من الرائع أن نقلب مركبه ونجعله يغطس في الماء ؟ » ... هذا ما قال . أتسمعني ، أنت أيها الخدّاع ؟ ترى ، ما الذي تطبخه ؟

نيقولاي : ما الذي يجعلك على مثل هذا اليقين من أنه كان على صفحة النهر حينما حدثت الجريمة ، يا كون ؟

كون : لا بدّ من مسيرة ساعة من المصنع حتى المكان حيث كان .

ريابتزوف : لقد ركضت .

كون : كان يوجّه مركباً ويغني . أنت لا تطلق عقيرتك بالغناء عند ما تقتل إنساناً .

نيقولاي (إلى ريابتزوف) : أتدرك أن القانون صارم جداً بحقّ الذين يدلون بمعلومات كاذبة ويحاولون إخفاء معالم الجريمة ؟ ... أتدرك هذا ؟

ريابتزوف : لست أبالي .

نيقولاي : حسناً . إذن ، فانت الذي قتلتَ المدير ؟

ريابتزوف : نعم ، أنا.

بوبويدوف : يا للوحش الصغير ! ...

كون : إنه يكذب !

ليفشين : أنت لستَ من هنا ، أيها الجندي !

نيقولاي : ماذا ؟

ليفشين : أقول إنه ليس من هنا ، ويظلّ يتدخل ..

نيقولاي : وما الذي يجعلك تظن « أنك » من هنا ؟ لربما كان لك في الجريمة ضلع ؟

ليفشين (ضاحكاً) : أنا ؟ لقد قتلت مرة أحد الأرانب بعصاي ، فلم أستطع نسيان ذلك طيلة أسبوع .

نيقولاي : إذن احتفظ بفمك مقفولاً . (إلى ريابتزوف) أين المسدس الذي استعملتَ ؟

ريابتزوف : لست أدري .

نيقولاي : مانوعه ؟ صفه لنا .

ريابتزوف (متضايقاً) : ما نوعه ؟ ... النوع العادي .

كون (متهللاً) : يا لابن البندقية ! لم يرَ قط مسدساً في حياته !

نيقولاي : وما حجمه ؟ (يصنع إشارة تبلغ نصف ياردة بيديه .) أبهذا الطول ؟

ريابتزوف : نعم ... أوه ، لا ، أصغر .

نيقولاي : لحظة واحدة ، يا بوجدان دينيسوفيتش ... (ينتحي بيوبويدوف زاوية ويخفض صوته) ثمة عراقيل هنا . يجب أن نكون أشد قسوة مع هذا الفتى . فلنتركه حتى يجيء الحاكم .

بوبويدوف : ولم نفعل ذلك ؟ ... لقد اعترف بكل شيء .

نيقولاي (بصورة ذات مغزى) : أنت وأنا نشتبه أن هذا الفتى ليس القاتل الحقيقي ، بل قناعاً يخفي المجرم الحقيقي ، هل تفهم ؟

(يدخل ياكوف باحتراس ، سكران فاقد الوعي ، من الباب القريب من تاتيانا ، ويقف صامتاً يتطلع حواليه . ومن حين لآخر يسقط رأسه على صدره وكأنه يغفو ، ومن ثم ينفضه إلى الخلف ويروح يرنو حواليه وقد ارتسمت على وجهه نظرة رعب .)

بوبويدوف (دون أن يفهم) : آه ـ ه ـ ه ... هِمْ ـ مْ . أجل ، أجل . تصوّر ذلك !

نيقولاي : تلك مؤامرة ! جريمة جماعية ...

بوبويدوف : يا للوغد !

نيقولاي : فليأخذه العريف الآن إلى الخارج ، واجعلهم يلقون به في حبس انفرادي ضيّق .. سأخرج لحظة ... تعال ، يا كون . أين الجنرال ؟

كون : إنه يغرق الحشرات ...

(يخرجان .)

بوبويدوف : كفاش ، خذ هذا الفتى من هنا ، وراقبه ! راقبه جيداً ، هيا !

كفاش : حاضر ، يا صاحب السعادة . تعال ، يا فتى !

ليفشين (بتأثر) : وداعاً ، يا باشوك . وداعاً ، يا صديقي ...

يا جودين (مغموماً) : وداعاً ، يا باشوك ...

ريابتزوف : وداعاً ... لا بأس ...

(يخرجون بريابتزوف .)

بوبويدوف (إلى ليفشين) : أتعرفه ، أيها العجوز ؟

ليفشين : طبعاً . فنحن نعمل معاً .

بوبويدوف : ما اسمك ؟

ليفشين : ييفيم ييفيموف ليفشين .

بوبويدوف (في هدوء ، إلى تاتيانا) : هلا راقبت التطوّرات الآن . قل لي الحقيقة ، ياليفشين ، فأنت رجل عجوز مدرك . يجب عليك ، دائماً ، أن تقول الحقيقة لرؤسائك .

ليفشين : وفيمَ أكذب ...

بوبويدوف (يتفرّس فيه) : هذا حسن . والآن ، قل لي بصراحة وشرف ، ماذا تخبيء خلف الأيقونات في بيتك ، إيه ؟ الحقيقة ، تذكر !

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : أهذه هي الحقيقة ؟

ليفشين : نعم ، هذه هي .

بوبويدوف : ألا تخجل ، يا ليفشين ! ها أنت ذا ، أصلع شائب ، تكذب مثل طفل صغير ... إن رؤساءَك يعرفون حتى ما تفكر فيه ، كي لا نتحدث عما تفعل . هذا سيىء ، يا ليفشين . ما هذه الأشياء التي أحمل في يديّ ؟

ليفشين : لا أستطيع الرؤية .... إن نظري ضعيف.

بوبويدوف : سأقول لك ماذا أحمل . إنها كتب منعتها حكومتنا وحرّمتها ، كتب تحرّض الناس على الثورة ضد القيصر . وقد وُجدت هذه الكتب خلف الأيقونات في بيتك ! ... والآن ، ما قولك ؟

ليفشين (في هدوء) : لا شيء .

بوبويدوف : أتعترف أنها تخصّك ؟

ليفشين : من المحتمل أنها تخصني ... فهي تبدو متشابهة كلها .

بوبويدوف : إذن لماذا تكذب ، وفي هذه السن المتقدمة ؟

ليفشين : لقد أخبرتك بالحقيقة الصريحة ، ياصاحب السعادة . سألتني عما يوجد خلف الأيقونات في بيتي ، ولما سألتني مثل هذا السؤال عرفتُ أنه لم يعد شيء خلف الأيقونات لأنكم قد أخذتموه . وهذا ما قلتُ أنا ـ لا شيء . لمَ تجرب أن تخجلني ؟ أنا لم أصنع شيئاً أخجل منه .

بوبويدوف (مرتبكاً) : هكذا تأخذ الأمور إذن ... إنما ينبغي أن أطلب إليك أن تقتصد في الحديث .. فلست رجلاً يتحامق الناس عليه . من أعطاك تلك الكتب ؟

ليفشين : والآن لم تريد أن تعرف ذلك ؟ ليس في وسعي إخبارك ، لأنني في الواقع نسيت من أين حصلت عليها ... فلا يقلقك ذلك .

بوبويدوف : ماذا ؟ ... حسناً ... حسناً جداً ! ألكسي جريكوف ! من منكم جريكوف ؟

جريكوف : أنا .

بوبويدوف : هــــل سبق أن حوكمت في سمولنسك ، بخصوص نشر الدعاية الثورية بين العمال ؟

جريكوف : نعم ، هذا صحيح .

بوبويدوف : مثل هذا الفتى الصغير السن ، ويتمتع بمثل هذا الذكاء ! ليسرني جداً أن أتعرف إليك .. أيها الدرك ، خذوا هؤلاء القوم حتى العتبة خارجاً !... فالجو يصبح خانقاً هنا . فيريابيف ، ياكوف ؟ حسناً ... سفيستوف ، أندريه ؟ ...

(الدرك يقودون الجميع حتى العتبة ، يتبعهم بوبويدوف وقد حمل القائمة بيده .)

(في لطف) : أحبُّ هؤلاء الناس .

: أفهم ذلك ، ولكن لمَ كل شيء فيهم على مثل هذه البساطة ؟ .. لمَ يتكلمون بكل هذه البساطة ويتطلعون إليك بكل هذه البساطة ؟ لماذا ؟ أفلا تحركهم أهواء ؟ أفليس عندهم بطولة ؟

: إنهم يملكون إيماناً ثابتاً بعدالة قضيتهم .

: لا يمكن ألا تحركهم أهواء ـ وهم أبطـــال . أفلست تشعر بازدرائهم لكل شخص ههنا ؟

: بيفيميتش ذلك رجل عظيم . ويا للعينين الحزينتين ، الودودتين ، الذكيتين اللتين يملك ! يلوح أنه يقول : « ما جدوى ذلك كله؟ لو أنكم تتنحّون عن طريقنا وتمنحوننا حريتنا ! ... لو أنكم تتنحون عن طريقنا ! » .

يتطلع من الباب) : إن حماقة هؤلاء السادة الذين يمثلون القانون انبعث على الدهشة بكل بساطة . لقد طبخوا محاكمة رائعة ! ... وإن نيقولاي فاسيليفيتش لأشبه بفاتح للعالم ...

: اعتراضك الوحيد ، يا زاخار ، هو أن جميع هذه الأعمال تتابع مجراها تحت أنفك .

: حسناً ، كان يمكن أن يوفروا عني هذا السرور ! ... لقد جُنَّت ناديا تماماً ... لقد كانت وقحة مع بولينـــا ومعي ، وهي تنادي كليوباترا بالهرة المتوحشة ، وهي الآن متكوّرة على المتكأ في غرفتي وقد انتبجت عيناها من الدموع ... السماوات وحدها تعرف ماذا

يجري هنا ! ...

ياكوف (متفكراً) : وإنني لأزداد نفوراً واشمئزازاً من فكرة هذا الذي يحدث، يا زاخار .

زاخار : أستطيع تقدير ذلك ... لكن ماذا نفعل ؟ عندما يهاجمونك ، يجب أن تدافع عن نفسك . لم يبق في الدار زاوية واحدة تشم منها عبق البيت ... وكأن كل شيء يقف على رأسه . والأمطار تحيل كل شيء بارداً رطباً ... يا للخريف الباكر !

(يدخل نيقولاي وكليوباترا ، وكلاهما متهيجان .)

نيقولاي : أعتقد الآن أنهم قد رشوه ! ...

كليوباترا : ليس في مقدورهم التفكير بهذا من تلقاء أنفسهم ... لاريب أن في هذه القضية إنساناً يحمل رأساً طيباً فوق كتفيه .

نيقولاي : أتشتبهين في — سينتزوف ؟

كليوباترا : ومن سواه ؟ آه ، هاهو الرئيس بوبويدوف ...

بوبويدوف (يدخل من العتبة) : في خدمتك !

نيقولاي : إنني موقن اليقين كله أن الفتى قد ارتشى ... (يتحدث هامساً .)

بوبويدوف (في لطف) : أو – وه ! هِمْ – مْ – مْ ...

كليوباترا (إلى بوبويدوف) : أتفهم ؟

بوبويدوف : هم – م – م ... أتتصورين هذا ! ياللأوغاد !

(يختفي نيقولاي والرئيس عبر الباب المزدوج وهما يتناقشان في حمية . كليوباترا ترنو حواليها فتقع أنظارها على تاتيانا .)

كليوباترا : أوه ... أنت هنا !

تاتيانا : أحدث شيء جديد ؟

كليوباترا : لست أعتقد أن ذلك يهمك في كثير أو قليل ... أسمعت شيئاً عن سينتزوف ؟

تاتيانا : نعم .

كليوباترا (متحدية) : نعم ، لقد أوقفوه . ما أعظم سروري إذ استأصلوا أخيراً شأفة جميع العناصر الشريرة في المعمل ... ألستِ مسرورة ؟

تاتيانا : لست أعتقد أن ذلك يهمك في كثير أو قليل ...

كليوباترا (في سرور زائد) : لقد كنت على علاقة طيبة مع سينتزوف ذاك . (ترق ملامحها وهي تصرو إلى تاتيانا .) ما أغرب طلعتك ! ... وكأنك تعانين العذاب المرّ ... لماذا ؟

تاتيانا : ذلك بسبب الطقس ، على ما أظن .

كليوباترا (تدنو منها) : إسمعي ... لربما كان هذا حماقة ، لكن ... أنا مخلوقة صريحة ... وقد رأيت في الحياة كثيراً ... وقاسيت كثيراً ، فأمسى عيشي نكِداً . وأنا أعرف أن المرأة وحدها يمكن أن تكون صديقة امرأة أخرى .

تاتيانا : أتريدين أن تسأليني شيئاً ؟

كليوباترا : أن أخبرك شيئاً ، لا أسألك . إنني معجبة بك ... فأنت ، على الدوام ، حرة في أعمالك ، وتتأنقين في ملابسك ... وتعرفين كيف تعاملين الرجال . وأنا أحسدك ... طريقتك في الحديث، وطريقتك في المسير .. لكنني أنفر منك في بعض الأحيان ... بل وأكرهك .

تاتيانا : هذا يبعث على الاهتمام . لماذا ؟

كليوباترا (بلهجة غريبة) : من أنتِ ؟

تاتيانا : هذا ...

كليوباترا : لا أستطيع سبيلاً إلى اكتشاف هويتك. أحبُّ أن أكوِّن صورة واضحة عن الناس، وأن أعرف الشيء الذي يبغون. ويصوَّر لي أن الناس الذين لا يعرفون ماذا يبغون هم ناس خطرون. فهم لا يمكن أن يؤتمن جانبهم.

تاتيانا : هذا قول غريب. لماذا تفرضين وجهات نظرك عليَّ؟

كليوباترا (في اندفاع وخوف) : يجب أن يكون الناس إخوة، قريبين من بعضهم البعض، بحيث يؤمنون ببعضهم البعض! أفلا ترين أنهم قد بدأوا يقتلوننا جميعاً، أنهم يسعون إلى سرقتنا؟ أفلم تلاحظي تلك الوجوه اللصوصية التي كانت لهؤلاء الموقوفين؟ إنهم يعرفون ماذا يريدون معرفة تامة! وهم يعيشون قريبين من بعضهم البعض! ويؤمنون ببعضهم البعض ... إنني أكرههم وأخافهم! نحن نعيش في البغضاء، لا نصدِّق شيئاً، ولا نرتبط بشيء. فكل إنسان يقول يا نفسي ... نحن نعتمد على الجنود والدرك ـ وهم يعتمدون على أنفسهم ... وهم أقوى منا!

تاتيانا : وأنا أيضاً أحب أن أسألك سؤالاً صريحاً ... أكنت سعيدة مع زوجك؟

كليوباترا : فيمَ تسألين مثل هذا السؤال؟

تاتيانا : بدافع الفضول فقط.

كليوباترا (بعيد برهة تأمل) : كلا. فهو أبداً مشغول بقضايا أخرى لا تتيح له التفكير فيَّ ...

نواليتا (وهي تدخل) : أبلغكما الخبر؟ لقد تبين أن ذلك الكاتب سنتزوف،

اشتراكي . وكان زاخار يطلعه على كل شيء ، ويريد أن يجعل منه مساعد كاتب حسابات ! وطبيعي أن ليس لهذا أهمية كبيرة ، لكن أنظرا كم أصبحت الحياة معقدة . إن أولئك الذين خلقوا أعداء لكم يستطيعون العيش بجواركم من دون أن يخطر اسم ذلك في بال مطلقاً !

: شكراً لله لأنني لست ثرية .

: لن تقولي هذا عندنا تهرمين . (بلطف ، إلى كليوباترا) كليوباترا بتروفنا ، إنهم ينتظرونك من أجل القياس ... ولقد أرسلوا النسيج الحريري ...

ا : حسناً . ثمة شيء على غير ما يرام ـ فقلبي ينبض بشدة ! وأنا أكره المرض !

: إذا أردت أعطيتك بعض القطرات لقلبك . فهي جيدة جداً .

ا (وهي خارجة) : شكراً لك .

: سألحق بك بعد لحظة . (إلى تاتيانا) من الضروري أن نعاملها بلطف ، وعندئذٍ تجنح إلى الهدوء . ما أشد غبطتي إذ تحدثت إليها ... وعلى العموم ، فأنا أحسدك ، يا تانيا ... أنت ماهرة على الدوام في اتخاذ الموقف الحيادي المريح ... سأذهب وأعطيها بعض القطرات . (تغادر الغرفة ، فتتطلع تاتيانا إلى العتبة حيث صفّ الجنود الرجال الموقوفين . ياكوف يمدّ رأسه من الباب .)

(مكايداً) : كنت طوال الوقت ههنا أسترق السمع .

غير مهتمة) : يقولون إن استرقاق السمع ليس بالأمر الجميل .

: على العموم ، ليس سماع أقوال الناس مما يبعث على السرور ...

ذلك يجعلك أحياناً ترثين لهم . حسناً ، ياتاتيانا ، على أية حال ...
فأنا راحل .

تاتيانا : إلى أين ؟

ياكوف : إلى مكان ما ... لست أعرفه بعد ... وداعاً .

تاتيانا (بعاطفة) : وداعاً ... أكتب لي .

ياكوف : لقد أصبح هذا المكان مما تمجُّه النفس .

تاتيانا : ومتى ترحل ؟

ياكوف (في ابتسامة مغتصبة) : اليوم .. لربما سترحلين أيضاً ؟

تاتيانا : أجل ، إني أنوي الرحيل . لماذا تبتسم ؟

ياكوف : لا لشيء خاص ... قد لا نلتقي ثانية ...

تاتيانا : هراء !

ياكوف : إصفحي عني ! (تقبل تاتيانا جبهته . يضحك في حدة وهو يدفعها
عنه .) لقد قبلتني كما لو كنتُ جثة بالضبط .
(يخرج على مهل . وبينما تاتيانا تراقبه ، تميل إلى اللحاق به ،
لكنها تتغلب على ذلك الميل بحركة ضعيفة من ذراعها . تدخل
ناديا حاملة مظلة .)

ناديا : تعالي معي نخرج إلى الحديقة ... أرجوك ، تعالي . فأنا أعاني
صداعاً في رأسي ... من كثرة البكاء والنواح ... مثل حمقاء .
وإن ذهبتُ وحدي فسأعاود الكرّة من جديد .

تاتيانا : ولماذا تبكين ، يا صغيرتي ؟ ليس ما يدعو إلى البكاء .

ناديا : كل شيء يبعث على الحيرة ــ أنا لا أستطيع أن أفهم شيئاً من
هذه الأمور كلها . من هو على حق ؟ عمي يقول أنا ... الأمر الذي

لايبدو لي كذلك . أهو رجل لطيف ، عمي هذا ؟ كنت دائماً أعتقد ذلك ... أما الآن فلست واثقة منه . وحينما يحدثني أشعر وكأني ، أنا نفسي ، وضيعة بلهاء ... وعندما أفكّر فيه ... وأسأل نفسي عن كل شيء ... لا أفهم شيئاً !

تاتيانا (في حزن) : إذا بدأت تسألين نفسك وتستوضحينها ، فستصبحين ثورية .. وستتلاشين في ذلك التيه ، يا عزيزتي ..

ناديا : حسناً ، لا بدّ لي أن أصبح شيئاً ما ، أليس كذلك ؟ (تضحك تاتيانا في هدوء .) ماذا يضحكك ؟ طبعاً لا بدّ لي . فأنت لا تستطيعين الاستمرار في الحياة وأنت تطرفين بعينيك فقط دون أن تفهمي شيئاً !

تاتيانا : أنا أضحك لأن الجميع يقولون هذا ، اليوم ـ الجميع ، وبصورة مباغتة .

(تخرجان ، وفي طريقهما تلتقيان بالجنرال والملازم . يبتعد هذا الأخير برشاقة عن دربهما .)

الجنرال : الاستنفار ضروري ، أيها الملازم ! وهو يخدم هدفاً مضاعفاً . (إلى ناديا وتاتيانا) أين تذهبان ؟

تاتيانا : في نزهة .

الجنرال : إذا التقيتما بذلك الكاتب .. ما اسمه ؟ ما اسم ذلك الشاب الذي قدّمته لي قبل برهة ، أيها الملازم ؟

الملازم : بوكاني ، يا صاحب السعادة .

الجنرال (إلى تاتيانا) : أرسليه لي . سأكون في غرفة الطعام أتناول الشاي والكونياك مع الملازم . ها ـ ها ـ ها ! (يرنو حواليه ، وقد

عطى فمه بيده .) شكراً ، أيها الملازم ! فــذا كرتك عظيمة ممتازة ! وهذا شيء تحمد عليه . على الضابط أن يتذكر اسم كل جندي في قطعته ووجهه . عندما يكون الجندي حديث عهد ، فهو يكون شرساً مكّاراً ـ خبيثاً وغبياً وكسولاً . ويزحف الضابط في باطنه وينظّم كل شيء من جديد ، بحيث يخلق من الحيوان الشرس إنساناً ـ إنساناً مدركاً يعرف واجبه كل المعرفة ..

(يدخل زاخار ، يبدو عليه الاضطراب .)

زاخار : أرأيت يا كوف ، يا عماه ؟

الجنرال : كلا ، لم أره .. أيقدمون الشاي هنالك ؟

زاخار : نعم . (يخرج الجنرال والملازم . يدخل كون ، غاضباً أشعث الهندام ، من العتبة .) كون ، أرأيت أخي ؟

كون (متجهماً) : كلا . سأحتفظ بفمي مغلقاً من الآن فصاعداً ، حتى إذا رأيت رجلاً يعرّ ، فلن أقول عنه شيئاً .. لقد خرستُ .. لقد قلت رأيي في هذا العالم ..

بولينا (داخلةً) : لقد قدم أولئك الفلاحون من جديد يسألوننا أن تؤجل دفع ما يستحق عليهم .

زاخار : لقد اختاروا أطيب الأوقات !

بولينا : يشكون أن الحصاد كان سيئاً ، وأنهم لا يستطيعون أن يدفعوا .

زاخار : هم دائماً يشكون ! .. ألم تري مصادفة يا كوف في مكان ما ، إيه ؟

بولينا : كلا . ماذا أقول لهم ؟

زاخار : الفلاحون ؟ فليذهبوا إلى المكتب .. لست أنوي الحديث وإياهم .

بولينا : لكن ليس إنسان في المكتب . وأنت نفسك تعرف أن الفوضى الشاملة تعمّ كل شيء . لقد أزف وقت الغداء ، وذلك الرقيب ما يزال يطلب شاياً .. والسماور لم يُنقل من غرفة الطعام منذ الصباح ، بينما يلوح أننا ، على وجه العموم ، نعيش في دار للمجانين !

زاخار : أعرفت أن ياكوف قد غرز في رأسه ، فجأة ، نيّة الرحيل إلى مكان ما ؟

بولينا : إصفح عما سأقول ، فهو يفعل حسناً برحيله .

زاخار : أنت على حق ، من دون ريب . فقد أمسى نزقاً حادّ الطبع في الفترة الأخيرة ـ يثرثر على الدوام بأشياء لا معنى لها . وقد ظلّ يسألني حتى اليوم عما إذا كان من الممكن قتلَ غرابٍ بمسدسي . وقد أهانني كثيراً ، ومن ثم خرج يحمل المسدس .. وهو ثمل أبداً .. (يدخل سينتزوف من العتبة يصحبه دركيان وكفاش . بولينا تحملق فيه في سكون من خلال نظارتها المفردة ، ثم تخرج . زاخار يصلح من وضع نظارتيه في شيء من الارتباك ، ويخطو مبتعداً وهو يتكلم .)

زاخار (موبخاً) : أشدّ ما في هذا كله من سوء ، أيها السيد سينتزوف . وإني لأرثي لك حقاً .. أرثي لك جداً .

سينتزوف (مبتسماً) : لن أدع ذلك يقلقك .. فهو لا يستحق هذا .

زاخار : بل يستحق ! يجب على الناس أن يعطفوا على بعضهم البعض .. ولنفرض أن شخصاً كنت قد وضعت فيه ثقتي تصرّف بما لا يستحق تلك الثقة ، فاني أعتبر ، رغم هذا ، أن من واجبي العطف عليه عندما تحلّ مصيبة في ساحته . هذا هو شعوري . وداعاً ،

يا سيد سينتزوف .

سينتزوف : وداعاً .

زاخار : ليس لديك ما .. يؤخذ عليّ !

سينتزوف : أبداً ، أبداً .

زاخار (مرتبكاً) : عظيم . حسناً ، الوداع ! اسوف ترسل ماهيّتك إليك .. (مغادراً الغرفة) هذا لا يُطاق . لقد تحوّل منزلي إلى نوعٍ من مراكز الدرك .

(يقهقه سينتزوف . يظلُّ كفاش يراقبه باهتمام ، ويراقب يديه بصورة خاصة . وعندما يلاحظ سينتزوف ذلك يروح ينظر إليه في عينيه عدة ثوان ، حتى يضحك كفاش .)

سينتزوف : حسناً ، ماذا يدغدغك ؟

كفاش (فيسعادة) : لاشيء البتة .

بوبويدوف (داخلاً) : سوف تُرسل إلى المدينة ، ياسيد سينتزوف .

كفاش (فيمرح) : إنه ليس السيد سينتزوف ، ياصاحب السعادة ، بل شخصاً آخر مختلفاً كل الاختلاف ..

بوبويدوف : ماذا ؟ كن أكثر وضوحاً .

كفاش : أنا أعرفه . كان يعمل في مصنع بريانسك ، وكان اسمه هناك مكسيم ماركوف .. ولقد اعتقلناه هناك قبل سنتين ، ياصاحب السعادة .. إن إبهامه الأيسر بدون ظفر ـ أنا أعرف ! لا بدّ أنه هرب من مكان ما مادام يعيش بجواز سفر مزور .

بوبويدوف (مدهوشاً ، بشيء من البهجة) : أصحيح هذا ، يا سيد سينتزوف ؟

كفاش : إنه الحقيقة الصادقة ، ياصاحب السعادة

بوبويدوف : إذن أنت است سينتزوف على الاطلاق ! حسناً ، حسناً ، حسناً !

سينتزوف : فلأكن من أكون ، فـلا بدّ لك أن تتصرّف بأدب معي .. لا تنسَ هذا .

بوبويدوف : أوهو ! لمن السهل أن يدرك المـرء أنك است بالشخص الأحمق الذي يمكن التلاعب عليه ! أنت نفسك ستخفره ، يا كفاش .. فافتح عينيك جيداً !

كفاش : حاضر ، يا صاحب السعادة .

بوبويدوف (مسروراً) : حسناً إذن ، يا سيد سينتزوف ، أو مهـما كان اسمك ، اسوف نرسلك إلى المدينة . (إلى كفاش) وحالمـا تصل هناك ، أخبر المسؤولين بكل شيء عنه ، واطلب في الحال سجلّه من الشرطة .. ومن جهة ثانية ، يفضل أن أشرف على هذا بنفسي . رويدك برهة ، يا كفاش .. (يهرع خارجاً .)

كفاش (في لطف) : ها نحن نلتقي مرة ثانية !

سينتزوف (ضاحكاً) : أمسرور أنت ؟

كفاش : لم لا ؟ فأنت من معارفي القدماء .

سينتزوف (في نفور) : أعتقد أنك ستكتفي من هذا في الوقت الراهن . لقد شاب شعرك ، ومع ذلك ما تبرح تتعقّب الناس كالكلب .. أفلا تجـد هذا سفالة ودناءة ؟

كفاش (في لطف) : آه ، لقد اعتدت ذلك ـ عملت فيه طيلة ثلاثة وعشرين عاماً . وليس كالكلب أبداً ! فالناس الأسمى مكانة يملكون فكرة طيبة عني ـ وقد وعدوني بوسام ـ وسام القديسة حنة . وسيمنحونني إياه الآن ، حالاً .

سينتزوف : بسببي أنا ؟

كفاش : بالطبع . من أين هربت ؟

سينتزوف : ستكتشف ذلك في الوقت المناسب .

كفاش : لاريب أننّا سنكتشف ذلك . أتذكر ذلك الشاب الأسود الشعر ذا النظارتين في مصنع ريانسك ؟ كان معلماً ، وأظنّ أن اسمه ـ سافيتسكي . وقد اعتقلناه هـو الآخر ... ليس من زمن بعيد . ولكنه مات في السجن . كان مريضاً ، مريضاً جداً . وعلى كل حال ، ليس ثمة عدد غفير منكم .

سينتزوف (متفكراً) : سيكون عدد غفير منا ... انتظر مدةً فقط .

كفاش : أوهو ! هذا رائع . كلما ازدادت الأمور السياسية سوءاً ، كلما تحسّنت أمورنا !

سينتزوف : فتكثر الأجرة ؟

(بوبويدوف ، الجنرال ، الملازم ، كليوباترا ، ونيقولاي يظهرون في فسحة الباب .)

نيقولاي (ينظر إلى سينتزوف) : أشعر أن الأمور ستنتهي كما قلت . (يختفي .)

الجنرال : لقد تبين أنه شاب رائع !

كليوباترا : لقد وضح الآن من كان المحرّض .

سينتزوف (متهكماً) : أصغ ، أيها الملازم ، أفلا ترى أنك تتصرف بصورة خرقاء ؟

بوبويدوف : لا تحاول .. لا تحاول تعليمي !

سينتزوف (في عناد) : بل سأفعل ! ضعوا خاتمة لهذه المسرحية المجنونة .

بوبويدوف (يصيح) : كفاش ! خذه من هنا !

كفاش : أمرك ، ياصاحب السعادة . (يقود سينتزوف خارجاً .)

الجنرال : يجب أن يكون نمراً حقيقياً ، ما ؟ وهل يزمجر ، إيه ؟

كليوباترا : أنا واثقة من أنه بدأ كل شيء .

بوبويدوف : محتملٌ هذا .. محتملٌ تماماً .

الملازم : هل ستأخذونه إلى المحكمة ؟

بوبويدوف (مبتسماً) : لقد التهمناه من دون مقبّلات .. والأمران سواء على أية حال ..

الجنرال : ياالذكاء ! كالمحارة .. مذاقاً !

بوبويدوف : آه - ه ! حسناً ، ياصاحب السعادة ، سنعمل سريعاً على إنهاء هذه اللعبة الآن ، وأريحك من هذه المتاعب كلها . نيقولاي فاسيليفيتش! أين أنت ؟ (يختفي الجميع عبر الأبواب . يدخل ضابط الشرطة من العتبة .)

ضابط الشرطة (إلى كون) : هل سيجري التحقيق هنا ؟

كون (عابساً) : لست أدري .. لست أعرف شيئاً .

ضابط الشرطة : طاولة ، وأوراق ... يلوح أنه سيجري هنا . (يخاطب شخصاً ما خارج العتبة) أدخل الجميع إلى هنا ! (إلى كون) لقد أخطأ المرحوم . قال إن الذي أرداه أحمر الشعر ، وظهر الآن أنه أسمر البشرة .

كون (مهمهماً) : إن الأحياء أنفسهم يخطئون ..

(يأتون بالرجال الموقوفين مرة ثانية .)

ضابط الشرطة : صُفَّهم هنالك . وأنت قف في آخر الصف ، أيها العجوز . أفلا تخجل من نفسك ، أيها الشيطان العجوز ؟

جريكوف : لماذا تستعمل هذه اللغة ؟

ليفشين : لا تبالِ ، يا أليوشا . هذا لا يهم .
ضابط الشرطة (مهدداً) : والآن ، كفى ثرثرة !
ليفشين : هذه وظيفته ـ أن يهين البشر .

(يدخل نيقولاي وبوبويدوف ويجلسان وراء الطاولة . يتخذ الجنرال مقعده على المتكأة في الزاوية ، وينتصب الملازم خلفه . تقف كليوباترا وبولينا في الممشى وتنضم إليهما بعد قليل تاتيانا ونادية. يتطلع زاخار في سخط من فوق أكتافهن . يظهر بولوجي من مكان ما ، ويبدأ يدبّ في حذر ، منحنياً للجالسين إلى الطاولة ، ومن ثم يقف مضطرباً حائراً في وسط الغرفة . الجنرال يومىء له ، فيتجه إليه على أطراف أصابعه ، وينتصب قرب مقعده. يأتون بريابتزوف.)

نيقولاي : سنبدأ . بافل ريابتزوف ..
ريابتزوف : حسناً ؟
بوبويدوف : لاتقل «حسناً » ، أيها الأحمق ، بل قل «نعم ، ياصاحب السعادة».
نيقولاي : أنت تعترف إذن بأنك قتلت المدير ؟
ريابتزوف (ضجراً) : لقد سبق فقلت لكم ذلك .. فماذا تريدون أيضاً ؟
نيقولاي : أتعرف ألكسي جريكوف ؟
ريابتزوف : من هو ؟
نيقولاي : الشاب الذي يقف إلى جوارك .
ريابتزوف : إنه يعمل في مكاننا .
نيقولاي : إذن ، أنت تعرفه ؟
ريابتزوف : نحن جميعاً نعرف بعضنا بعضاً .
نيقولاي : بكل تأكيد . لكن ، هل زرته في داره ، وقضيت وقت راحتك

معه ؟ .. بكلمات أخرى ، هل تعرفه جيداً ؟ أأنت صديقه؟

ريابتزوف : إنني أقضي وقت راحتي مع الجميع ، وجميعنا أصدقاء ..

نيقولاي : حقـــاً ؟ أخشى أنك لاتقول الحقيقة ، ياسيد بولوجي . كن كريماً ، وصارحنـــا بالحقيقـة ـ ما هي الصلة بين ريابتزوف وجريكوف ؟

بولوجي : صلة صداقة حميمة .. ثمة جماعتان هنا ، يرأس الصغيرة منهـــما جريكوف ، وهو شاب كثير الصفاقة في موقفه من الناس الذين يسمون عليه مرتبة بما لا يقـــاس ؟ ويرأس الكبيرة منها ييفيم ليفشين .. وهو شخص ذو حديث غريب وأخلاق ثعلبية ..

ناديا : ياللشقي !

(بولوجي يتطلع حواليـه ويرنو إليها ، ثم يلتفت صوب نيقولاي متسائلاً . نيقولاي يصرو إلى ناديا بدوره .)

نيقولاي : حسناً ، تابع .

بولوجي (متنهداً) : وهم مرتبطون بالسيد سينتزوف ، وهو ذو علاقـة طيبة بهم جميعاً . وهذا الشخص لايشبه الانسان العاذي الطبيعي التفكير . فهو يطالع جميع أصناف الكتب ، وله وجهة نظره الخاصة في كل شيء . وفي جناحه ، الذي يمكن أن أضيف أنه يقع قبالة جناحي تماماً يفصله عنه الصالة ليس غير ، وهو مؤلف من ثلاث غرف ..

نيقولاي : في استطاعتك حذف التفاصيل .

بولوجي : أستميحك العذر ، لكن الحقيقة تتطلب شرحاً وافيـاً للقضية . وكانت جماعات مختلفة من الناس تزور جناحه ، بما فيهم جنتلمان حدث أنه موجود هنا ـ جريكوف .

نيقولاي : جريكوف ، أصحيح هذا ؟

جريكوف : لا توجّه إليّ أية أسئلة ، فأنا أرفض الاجابة عليها .

نيقولاي : من دون سبب كاف ..

ناديا (بصوت عال) : إنك تستحق ذلك !

كليوباترا : ماهذه الحماقة ؟

زاخار : ناديا ، عزيزتي ..

بوبويدوف : هس – س – س !

(ثمة ضجيج خارجاً ، عند العتبة .)

نيقولاي : لا أرى سبباً يدعو إلى وجود أولئك الذين ليسوا من هذا المكان.

الجنرال : هم – م . وماذا تعني بالضبط بأولئك الذين ليسوا من هذا المكان؟

بوبويدوف : إمضِ ، يا كفاش ، وانظر سبب هذه الضجة .

كفاش : ثمة امرؤ يحاول كسر الباب ، ياصاحب السعادة . يسبُّ ويحاول تحطيم الباب ، ياصاحب السعادة .

نيقولاي : ماذا يريد ؟ من هو ؟

بوبويدوف : أنظر ذلك !

بولوجي : أتريدني أن أتابع شهادتي ، أم يجب أن أنقطع عنها ؟

ناديا : يا للمخلوق الكريه !

نيقولاي : كفَّ عن ذلك .. سأطلب من أولئك الذين ليسوا من هذا المكان أن يتركونا !

الجنرال : إسمح لي – لكن كيف أرى هذا الأمر على وجه الدقة ؟

ناديا (تصيح مهتاجة) : أنتم الذين لستم من هذا المكان ! ليس أنا ، بل أنتم ! أنتم لستم من أي مكان!... هذا منزلي ! ولي الحق في أن أطلب إليكم الخروج...

زاخار (إلى ناديا ، في حنق) : إذهبي حالاً ، أتسمعيني ؟... حالاً !

ناديا : أتعني ما تقول ؟ .. حسناً . هذا يعني – أنني حقيقة لست من هذا المكان . سأذهب ، لكن اسمح لي أن أقول لك قبل هذا ..

بولينا : جرّها من يدها ، وإلا تفوّهت بشيء مريع !

نيقولاي (إلى بوبويدوف) : قل للدرك أن يغلقوا الأبواب .

ناديا : أنتم بدون وجدان .. بدون قلب ! جميعكم أشقياء ، حقيرون ..

كفاش (يدخل مسروراً) : لقد اكتشفنا واحداً آخر ، يا صاحب السعادة !

بوبويدوف : ماذا ؟

كفاش : قاتل آخر سلّم نفسه !

(يخطو أكيموف ، وهو فتى أصهب الشعر طويل الشاربين ، على مهلته في اتجاه الطاولة .)

نيقولاي (ثائراً رغماً عنه) . ماذا تريد ؟

أكيموف : أنا الذي قتلت المدير .

نيقولاي : أنت !

أكيموف : نعم ، أنا .

كليوباترا (في عجلة) : أيها الشقي ! .. إذن فان لك ضميراً ! ..

بولينا : أيتها السموات الطيبة ! يا لهؤلاء الناس الفظيعين !

تاتيانا (في هدوء) : هؤلاء الناس سيربحون .

أكيموف (في اكتئاب) : حسناً ، ها أنا ذا . أسعيدون أنتم ؟

(اضطراب عام . نيقولاي يهمس شيئاً سريعاً في أذن بوبويدوف . فيبتسم هذا في ارتباك . يقف المعتقلون صامتين لا حراك بهم . تقف ناديا قريباً من الباب ترنو إلى أكيموف وتبكي . بولينـا وزاخار يتهامسان . وصوت تاتيانا الهادىء يسمع بوضوح في قلب السكينة .)

تاتيانا (إلى ناديا) : لا تبكي ، سيربح هؤلاء الناس في النهاية ..

نيقولاي : حسناً ، يا سيد ريابتزوف ! ما رأيك في هذا ؟

ريابتزوف (مرتبكاً) : لست .. لا ..

أكيموف : إخرس ، يا باشا . احتفظ بفمك مغلقاً .

ليفشين (سعيداً) : آه ، يا إخوتي ! هؤلاء ناس حقيقيون !

نيقولاي (يضرب الطاولة بقبضته) : صمتاً !

أكيموف (في هدوء) : كفاك صياحاً . فنحن لا نصيح .

ناديا (بصوت عالٍ ، إلى أكيموف) : أصغِ ، أتعتقد أنك الذي قتلته ؟ « هُم » الذين يقتلون الجميع .. إنهم يقتلون الحياة نفسها بنهمهم وجبنهم !.. (تخاطب الجميع) أنتم ، إنكم أنتم المجرمون !

ليفشين (في حرارة) : أنت على حق ، يا آنسة . ليس ذلك الذي يوجه الضربة هو القاتل ، بل هو ذلك الذي كان سبب الحقد ، والكراهية !.. أنت على حق أكيد ، يا عزيزتي !.. (ضجيج واضطراب عامان.) لكنك أخطأت كثيراً في فعلك هذا ، يا أكيموف ..

بوبويدوف : صمتاً !

ناديا (إلى أكيموف) : لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا ؟

ليفشين : لا تزعق ، يا صاحب السعادة . فأنا أكبر منك سناً .

أكيموف (إلى ناديا) : لست تستطيعين فهم شيء من هذه الأمور . وتفعلين حسناً إذا خرجت من هذا المكان .

كليوباترا : يا للقداسة التي يدعيها ذلك العجوز الشقي !

بوبويدوف : كفاش !

ليفشين : حسناً ، ماذا تنتظر ، يا أكيموف ؟ تكلم . قل لهم إنه وضع مسدساً على صدرك ، وعند ذلك ..

بوبويدوف (إلى نيقولاي) : أتسمع ماذا يعلّمهم ، ذلك الكذاب العجوز ؟

ليفشين : أنا « لست » كذاباً ! ..

نيقولاي : حسناً ، كيف حالك الآونة ، يا ريابتزوف؟

ريابتزوف : أنا لا ..

ليفشين : إخرس ! احتفظ بفمك مطبقاً . إنهم خبثاء ، وفي مقدورهم استعمال الكلمات أفضل منا ...

نيقولاي (إلى بوبويدوف) : إرمه خارجاً !

ليفشين : أوه ، كلا ، لن تفعل ! لم يعد بالامكان طرحنا خارجاً ! إنما لا تقلق ، سيطرح أحدهم إلى الخارج على أية حال ! لقد أجبرنا على البقاء في الظلام ــ من دون أية حقوق ــ زمناً طويلاً . أما اليوم فقد اشتعلنا جميعاً ، ولن تستطيع تهديداتكم ووعيدكم طرح أياً منا خارجاً . لن تطرحونا خارجاً أبداً ! أبداً لن تستطيعون !

(ستار)

يجور بوليتشوف وآخرون

مسرحية في ثلاثة فصول

الأشخاص

ييجور بوليتشوف	
كسينيا	، زوجته
فارفارا	، ابنته من كسينيا
ألكسندرا	، ابنة غير شرعية ليجور
ميلانيا	، رئيسة دير ، أخت زوجته
زفونتسوف	، زوج فارفارا
تياتان	، ابن عم زفونتسوف
موكي باشكين	
فاسيلي دوستيجاييف	
إيليزافيتا	، زوج دوستيجاييف
أنطونينا	طفلا دوستيجاييف من زوجته الأولى
ألكسي	
بافلين	، قسيس
طبيب	
نافخ بوق	
زوبونوفا	، عرافة
بروبوتي	، نصف مجنون
جلافيرا	، خادمة
تاييسيا	، خادمة ميلانيا ، راهبة
موكروسوف	، شرطي
ياكوف لابتيف	، ابن بوليتشوف في العماد
دونات	، حارس غابة

الفَصلُ الأوّل

(غرفة غداء في دار تاجر غني . الاثاث فخم ثقيل . وإلى جانب متكأ وثير عريض من الجلد سلّم يقود إلى الطابق الثاني . وفي الزاوية ، إلى اليمين ، نافذة كبيرة تطل على الحديقة . النهار شتائي مشرق . كسينيا جالسة إلى النافذة تنظف بعض الأقداح والمزهريات . جلافيرا تقف إلى جانب النافذة ، تصفف الأزهار . ألكسندرا (شورا للاختصار) تدخل الغرفة ، مرتدية ثياب النوم ، وقدماها العاريتان مغروزتان في مشايتها، وشعرها مرسل غير معقوص ، أحمر اللون ،مثل شعر بيجور بوليتشوف .)

كسينيا : أواه ، يا شورا . يجب أن تنامي ...

شورا : كفاك تفحّين في وجهي ، فذلك لا يفيد على الاطلاق . جلاشا ـ شيئاً من القهوة ! أين الجريدة ؟

جلافيرا : لقد صعدت بها إلى فارفارا ييجوروفنا .

شورا : أنزليها إذن . يا للشياطين ، لقد طلبوا صحيفة واحدة للمنزل بأسره .

كسينيا : من هم الذين تطلقين عليهم لقب الشياطين ؟

شورا : هل والدي في الدار ؟

كسينيا : كلا ، لقد خرج لزيارة الجرحى . مَنْ هُمُ الشياطين ـ آل زفونتسوف ؟

شورا : نعم . (على الهاتف) ١٧ ـ ٦٣ .

كسينيا : والآن ، لسوف أخبر آل زفونتسوف بأية أسماء تنعتينهم !

شورا (على الهاتف) : هلاّ ناديتم تونيا على الهاتف !

كسينيا : لأعجب لكِ ، ماذا ستفعلين ؟

شورا : أهذا أنت ، يا أنطونينا ؟ هل سنذهب للتزحلق على الثلج ؟ كلا ؟ لماذا ؟ ينبغي لك أن تذهبي إلى المسرح ؟ قولي إنك لا تستطيعين الذهاب ! أوه ، أنت أيتها الأرملة غير الشرعية ، أنتِ ! حسناً حسناً ، إذن .

كسينيا : كيف تلقبين الفتاة بأرملة ؟

شورا : أفلم يمت خطيبها ؟

كسينيا : ومع ذلك ، فهي ما تزال بنتاً عذراء .

شورا : وما أدراك ؟

كسينيا : آه منكِ ، أيتها المخلوق المخجل !

جلافيرا (تقدم القهوة) : ستحمل فارفارا ييجوروفنا الصحيفة إلى هنا .

كسينيا : إنك تعرفين الكثير بالنسبة إلى عمرك . ألا فاحذري ـ فكلما قلّت معرفتك ، كلما تحسَّن نومك . لم أكن أعرف شيئاً يوم كنت في مثل سنك .

شورا : قدر ما تعرفين الآن...

كسينيا : آه ، أنتِ !

شورا : هذه شقيقتك قادمة ، تهبط السلّم بوقار ورزانة « نعمتِ صباحاً ، يا سيدتي ! كيف حالك . »(١)

فارفارا : إنها الحادية عشرة ، وأنت لم ترتدي ثيابك بعد ، ولم تسرِّحي شعرك ...

شورا : هأنتذي تنعبين ثانية !

فارفارا : إنك تنتهزين فرصة عطف والدي فتزدادين وقاحة وقلَّة أدب... وإنه مريض ...

شورا : وهل ستستمرين على هذا المنوال طويلاً ؟

كسينيا : وما يعنيها من أمر صحة والدها ؟

فارفارا : لسوف أضطر إلى إخباره عن سلوكك ...

شورا : شكراً سلفاً . هل انتهيتِ ؟

فارفارا : لأنت حمقاء !

شورا : لاتؤمني بذلك . فلست أنا الحمقاء .

فارفارا : أيتها البلهاء الصهباوية الشعر !

شورا : إنك تضيعين أنفاسك بكل بساطة ، يا فارفارا ييجوروفنا .

كسينيا : لا فائدة ترجى من محاولة تعليمها أو تهذيبها !

شورا : إن مزاجك ليسوء أيضاً .

فارفارا : أوه ، لا بأس ، لا بأس ، يا عزيزتي ! أماه ، فلنذهب إلى المطهى ، إن ثورة غضب عنيفة ستتملَّك الطاهي ..

كسينيا : لقد تبدلت نفسيته ، فقد قُتل ولده .

---

(١) بالفرنسية في الاصل الروسي . (المترجان)

فارفارا : حسناً ، ليس هذا بسببٍ كافٍ لتتملكه ثورات الغضب . إن العديد من الناس يُقتلون في هذه الأيام ..

(تخرجان .)

شورا : آه ، اسوف تثير الشيطان إن أصيب حبيبها أندريوشا بضربة ما !

جلافيرا : أية فائدة ترجين من إغاظتها على هذا الشكل ؟ إشربي قهـــوتك بسرعة ، فيجب عليَّ تنظيف المكان . (تخرج ، حاملة السماور .)

(تجلس شورا على المقعد وتستند بظهرها إليه ، وقد أغلقت عينيها ، وشبكت يديها خلف رأسها الأحمر .)

زفونتسوف (يهبط الدرج على مهلته وقد لبس خفه ، يتلصص حذراً ويعانق شورا من الخلف) : بم كنت تحلمين ، أيها الزنجبيل ؟

شورا (من غير أن تفتح عينيها أو تتحرك) : لا تلمسني .

زفونتسوف : ولم لا ؟ أنت تحبين هذا ، أليس كذلك ؟ قولي نعم . أتحبينه ؟

شورا : كلا .

زفونتسوف : ولم لا ؟

شورا : دعك من هذا . أنت تدعي ذلك فقط . وأنت لا تهواني .

زفونتسوف : ولكنك تريدينني على حبك ، أليس كذلك ؟

(تظهر فارفارا على السلم .)

شورا : إذا ما اكتشفت فارفارا ...

زفونتسوف : هس ! (يتحرك مبتعداً ، ويتحدث بلهجة إرشاديـة تعليمية) : هِمْ .. نعم .. أنت .. يجب أن تحسني قيـاد نفسك .. يجب أن تدرسي .

فارفارا : لهي تفضل أن تكون وقحة فظة ، وأن تلهو بنفخ كرات من

الصابون مع أنطونينا .

شورا : حسناً ، ولم لا أفعل ؟ إنني أعشق نفخ الصابون . أنتِ لا تحسدين الصابون، َما ؟

فارفارا : لآسف من أجلك ، وهذا كل شيء . لست أدري ، في الحقيقة ، كيف ستعيشين . لقد طردتِ نهائياً من المدرسة العالية .

شورا : ليس هذا صحيحاً .

فارفارا : وإن رفيقتك لنصف مجنونة .

زفونتسوف : إنها تريد دراسة الموسيقى .

فارفارا : َمنْ ؟

زفونتسوف : شورا .

شورا : ليس هذا صحيحاً . فأنا أبغض دراسة الموسيقى ، ولا أريـــد تعلمها أبداً .

فارفارا : من أين جئت بهذه المعلومات ؟

زفونتسوف : أفلم تخبريني ، ياشورا ، أنك تودين ذلك ؟

شورا (وهي خارجة) : كلا ، فأنا لم أتفوه بمثل هذا الحديث .

زفونتسوف : هِم ... غريب . لم يكن في قدرتي ، أنا نفسي ، أن أختلق ذلك . إنك لشديدة القسوة في معاملتها ...

فارفارا : وأنت كثير اللطف والتودّد .

زفونتسوف : إلى مَ ترمين بقولك « كثير اللطف والتودّد » ؟ أنت تعرفين ما هي خطتي .

فارفارا : لست مهتمة بخطتك، إنما يبدو لي أنك كثير اللطف والتودّد نوعاً ما.

زفونتسوف : أية حماقات تتسلط على رأسك ! ..

فارفارا : حماقات ، ما ؟

زفونتسوف : حسناً ، أفلا ترين ذلك بنفسك : أمناسبة هذه اللحظة لمشاهد الغيرة ، في مثل هذه الأوقات الخطيرة ؟

فارفارا : لماذا نزلت إلى هنا ؟

زفونتسوف : أنا ؟ هنا ... ثمة إعلان في الجريدة . وقد قدم حارس الغابة ، وهو يقول إن الفلاحين قد أحاطوا دباً .

فارفارا : إن دونات في المطهى ... ماذا يقول الاعلان ؟

زفونتسوف : لقد طفح الكيل ! كيف توجهين إليّ الحديث على هذا الغِرار ؟ من أنا ـ أأنا طفل صغير ؟ ألا لعنة الله على هذا كله ..

فارفارا : كفاك ، كفاك ، لا تَثُرْ ! أعتقد أن والدي قد جاء إلى الدار . وانظر إلى هذا المشهد الذي تبدو فيه !

(يهرع زفونتسوف إلى الطابق الثاني . وتخرج فارفارا لاستقبال أبيها . تسرع شورا إلى الهاتف . وهي ترتدي الآن صدرية دافئة من الصوف الأخضر ، وقبعة . يدخل بوليتشوف فيقطع عليها الطريق ، ويضمها إليه في سكون . يدلف الأب بافلين ، مرتدياً معطفاً بنفسجي اللون ، إلى الغرفة مقتفياً خطوات بوليتشوف .)

بوليتشوف (يجلس إلى الطاولة وقد أحاط خصر شورا بذراعه . بينا هي تسرح بأصابعها شعره النحاسي اللون ، المائل إلى البياض) : لقد تشوّه الكثيرون وتكسروا ، يا له من مشهد رهيب ! ..

الأب بافلين : كيف حالك ، ياشورا ـ تتفتّحين وتزهرين ، على ما أرى ؟ أغفري لي أني لم أحييك حينما دخلت ..

شورا : كان من واجبي أنا أن أفعل ذلك ، أيها الأب بافلين . لكن

والدي أمسك بي واحتضنني كالدب ..

بوليتشوف : كفى ! أصغي ، ياشوركا ! ماذا يتوجب على هؤلاء الناس أن يفعلوا الآن ؟ لدينا كثرة من بشر لافائدة ترجى منهم ، كما كانت الحال قبل الحرب . ما كان يجب أن نتدخل في هذه الحرب ..

الأب بافلين (وهو يصعد زفرة) : وأسباب ذلك السياسة العليا ..

بوليتشوف : لقد آلت السياسة أيضاً إلى خاتمة جد سيئة يوم حاربنا اليابانيين ، وقد أسأنا إلى أنفسنا أمام العالم أجمع .

الأب بافلين : ولكن الحرب ، يومذاك ، لم تك تسبب الدمار فحسب ، بل كانت تغني المرء أيضاً ـ إن بالتجربة أو بالـ ..

بوليتشوف : بعض الناس يقاتلون ، بينا البعض الآخر يسلبون وينهبون ..

الأب بافلين : وخلاف هذا ، ليس شيء في الحيـاة يحدث بدون إرادة الله ـ فأي مغزىً نأمل من غمغماتنا ؟

بوليتشوف : والآن ، أنظر إليّ ، يا بافلين سافيلييف ، كُفّ عن هـــذا التبشير .. شوركا ـ أكنت ذاهبة تتزحلقين على الثلج ؟

شورا : نعم ، وأنا في انتظار أنطونينا .

بوليتشوف : حسناً !.. إذا بقيت هنا ، فسوف أناديك بعيد خمس دقائق .

(تخرج شورا راكضة .)

الأب بافلين : لكم كبرت هذه الصبية !..

بوليتشوف : نعم ، إنها بديعة التكوين ، خفيفة الحركة رشيقتها ، لكن وجهها يخيّب الأمل بعض الشيء . فقد كانت أمها قبيحة . كانت ذكية ثاقبة الفكر كالشيطان ، إلا أنها قبيحة .

الأب بافلين : إن وجه ألكسندرا ييجوروفنا .. غير مألوف .. و .. لايخلو من

فتنته الخاصة . من أين كانت أمها ؟

بوليتشوف : كانت سيبيرية الأصل . أنت تتحدث عن السياسة العليا .. وإرادة الله .. وإلى آخر ما هنالك .. حسناً ، وما رأيك بمجلس الدوما .. من أين جاءنا هذا ؟

الأب بافلين : إن مجلس الدوما .. حسناً ، إنه مثلما تقول .. إنقاص ذاتي للسلطة ... وكثير من الناس ينظرون إليه على كونه غلطة مميتة مهلكة ، إنما لا يليق بأحد خدام الكنيسة المقدسة أن يحكم في مثل هذه الأمور . وذلك بمقدار ما يقع على عاتق اكليروس هذه الأيام أن يضرموا روح الثبات والعزم .. وأن يعظموا حب العرش والأرض الأم ..

بوليتشوف : لقد أضرمتَ الروح ودفعت بقدمك فيها !

الأب بافلين : أنت تعلم أني أقنعت كبير كهنة هيكل الاله حيث أخدم بأن يوسع جوقة المرتلين والمنشدين ، وكذلك تحدثت إلى الجنرال بيتلينغ في قضية تبرّع لصنع ناقوس للكنيسة الجديدة التي تشيَّد على مجد شفيعك القديس ييجور الطاهر ..

بوليتشوف : ولم يعطك شيئاً من أجل الناقوس ، فيما أعتقد ؟

الأب بافلين : كلا ، لقد رفض ، ولم يكتف بذلك ، بل روى نكتة غير مستحبة ، فقال : « أنا لا أستطيع أن أطيق النحاس ، حتى إذا كان على صدر الجنود » . والآن ، ما قولك في الاكتتاب بشيء من المال من أجل الناقوس ، نظراً لانحراف صحتك ؟

بوليتشوف (وهو ينهض) : إن رنين الناقوس لا يشفي مرضاً .

الأب بافلين : من يدري ؟ فالعلم لم يكتشف بعد الأسباب المؤدية إلى المرض . لقد سمعت أنهم يشفون الأمراض بواسطة الموسيقى في أحد المصحات في الخارج . وكان ثمة إطفائي عندنا يناول المريض

الأسرار المقدسة بالعزف على البوق ..

بوليتشوف (ضاحكاً) : أي صنف من الأبواق ؟

الأب بافلين : بوق نحاسي . ويقولون إنه بوق كبير تماماً .

بوليتشوف : حسناً ، بالطبع ، مادام البوق كبيراً .. هل كان يشفي الناس ؟

الأب بافلين : يقولون إنه كان يشفيهم . كل شيء ممكن ، ياعـــزيزي ييجور فاسيليفيتش ! كل شيء ممكن ! إننا نحيا بين العجائب ، في جو دجيّ من عجائب غامضة لا حصر لها ولا تعداد . ونحن نؤمن أننا نرى النور ، وهذا النور نفسه ينبثق من عقلنا ، لكنه إنما يبدو نوراً لنظرنا الفيزيائي فحسب ، في حين قد تكون روحنا أشدّ حلكة وظلامة بسبب من عقلنا ، إن لم تكن خامدة مطفئة تمامـــاً .

بوليتشوف (وهو يتنهد) : آيْ ، ما أكثر ما تعرف من كلمات !..

الأب بافلين (بهياج متزايد) : خذ ، مثلاً ، بروكوفي الطاهر ، بأية غبطة عاش ذلك الرجل ، هو الذي يسميه الجهلة أحمق .

بوليتشوف : آه ، عدنا إلى التبشير ثانية ! الوداع إذن ، فأنا تعب منهوك القوى!

الأب بافلين : مع أصدق تمنياتي لك بالصحة الجيدة . لسوف أصلي إلى الله من أجلك ... (يخرج)

بوليتشوف (يلمس جنبه الأيمن . ثم يخطو في اتجاه المتكأ ، وهـو يزمجر) : ذلك الخنزير .. لقـــد سمن على حساب دم المسيح وجسده .. جلافيرا ! هيه !

(تدخل فارفارا)

فارفارا : ما بالك ؟

بوليتشوف : لا شيء . كنت أنادي جلافيرا فقط . آه . ياعزيزتي ، أفلا تلوحين أنيقة ؟ إلى أين أنت ذاهبة ؟

فارفارا : إلى حفلة خيرية يرصد ريعها لمساعدة الجنود الناقهين .

بوليتشوف : وتضعين النظارات على أنفك أيضاً ؟ لست أعتقد أن عينيك في حاجة إليها ، إنما تضعينها كي تلوحي فيها سيدة عصرية .

فارفارا : يجب أن تحادث ألكسندرا ، يا أبت ، فسلوكها ممقوت لا يحتمل . إنها تصبح سمجة لا تطاق في الحقيقة .

(تخرج فارفارا .)

بوليتشوف : يا لكم من مجموعة رائعة ، أنتم جميعاً ! هيا ! (يهمهم بينه وبين نفسه) لا تطاق . انتظروا حتى تتحسن صحتي ، فسأريكم أي شيء يحتمل ويطاق !

(تدخل جلافيرا .)

جلافيرا : هل ناديتني ؟

بوليتشوف : نعم . آه ، ياجلافا ، ما أجملك ! ملائمة ! ووقع رنينك كرنين الناقوس ! أما فارفارا ــ فليست أكثر من فزّاعة عادية !

جلافيرا (ترنو إلى السلّم) : إنها تصلح لذلك . لو كانت جميلة المنظر لما ترددت في جرّها إلى فراشك هي الأخرى .

بوليتشوف : ماذا ؟ ابنتي أنا ؟ فكري بما تخرقين ، يا حمقاء !

جلافيرا : إنني أعرف ما أقول ! أنت تحتضن شورا وتضغطها إليك وكأنها غريبة عنك . مثل أحد الجنود تماماً !

بوليتشوف (معقود اللسان) : هل جننت ، يا جلافيرا ؟ أنت لا تغارين من ابنتي ، أليس كذلك ؟ إياك والتجاسر على الظن بشورا هكذا .

مثل أحد الجنود !.. وكأنها غريبة !.. هل صدف ووقعت بين يدي أحد الجنود ؟ إيه ؟

جلافيرا : ليس هذا بالمكان المناسب .. ولا هو الوقت الملائم ، لمثل هذا الحديث . فيمَ دعوتني ؟

بوليتشوف : أرسلي دونات إليَّ . مهلاً لم ناوليني يدك . إنك تحبينني ؟ ما ؟ هل أنت مريضة مثلي ؟

جلافيرا (تطوق عنقه بذراعيها) : آه ، إنك تحطم قلبي .. لا تمرض بعد الآن . لا تمرض ! (تنزع نفسها منه ، ثم تولي خارجة . يبتسم بوليتشوف ، رغم التقطيبة العبوس التي تعلو حاجبيه . ويرفع بشفتيه ، ثم يهز رأسه ، ويضطجع على المتكأ .)

(يدخل دونات)

دونات : آمل أنك تتمتع بصحة جيدة ، يا ييجور فاسيليفيتش !

بوليتشوف : شكراً . ماوراءك من أخبار ؟

دونات : أخبار طيبة : لقد جاءوا بالدببة .

بوليتشوف (يتنهد) : آه ، هذه .. هذه قضية غيرة ، لا قضية فرح وسرور . فالموت لا يسليني في هذه الأيام . هل قطعوا الأشجار ؟

دونات : ليس بنشاط زائد . فلم نستطع الحصول على أيد كافية ...

(تدخل كسينيا ، متزينة بأبهى حللها ، وقد حلّيت أصابعها بالخواتم .)

بوليتشوف : ما الأمر ؟

كسينيا : لا شيء . يجب ألا تسمح لقضية الدب هذه بأغرائك ، ياييجور ، فحالك لا تسمح لك بالصيد .

بوليتشوف : انتظري لحظة ! أنت تقول إنه ليس ثمة أيد كافية ؟

دونات : لم يبق غير الشيوخ والأطفال . لقد منحوا الأمير خمسين أسير حرب ، ولكنهم لا يجيدون العمل.

بوليتشوف : أراهن أنهم يجيدون العمل مع النساء ، مع ذلك .

دونات : نعم ، فهناك بعض هذه المشاكل تحدث بين آن وآن .

بوليتشوف : نعم ... فالنساء جائعات هذه الأيام .

كسينيا : لقد تناهى إليّ أن القرى بأجمعها غارقة في موجة من الفحش والدعارة الآن ..

دونات : ولم تطلقين عليها لقب فحش ودعارة ، يا أكسينيا ياكوفليفنا؟ فالرجال قد قتلوا والأطفال ينبغي أن يولدوا ، أليس كذلك ؟ ايلوح أن أولئك الذين ارتكبوا فعل القتل يجب أن ينجبوا أطفالاً جدداً .

بوليتشوف : ليلوح هذا .

كسينيا : تفو ، ما صنف أولئك الأطفال الذين تنجبهم النساء من أسرى الحرب ؟ بالطبع ، رغم أن الرجل قد يكون شاباً قوياً ممتلىء الصحة ...

بوليتشوف : وتكون المرأة غبية حمقاء ـ فهو لا يريد أطفالاً منها .

كسينيا : إن نساءنا ذكيات ثاقبات الفكر . القضية هي أن جميع الرجال الأقوياء قد سيقوا إلى الحرب ، ولم يتخلّف في البيوت غير ... النواب !

بوليتشوف : لقد هلك عدد مريع من القوم ..

كسينيا : حسناً ، فستكون البقية أصلح بكثير إذن .

بوليتشوف : ذلك الصنف الغبي الأحمق نفسه ، إذا أردت !

دونات : القياصرة لا يشبعون شعبهم كفاية.

بوليتشوف : ماذا قلت؟

دونات : لقد قلت إن القياصرة لا يشبعون شعبهم كفاية . ليس لدينا ما يكفي لاطعام أنفسنا ، ومع ذلك نريد أن نغزو الأقوام الآخرين !

بوليتشوف : هذا صحيح . هذا صحيح تماماً !

دونات : ليس ثمة طريقة أخرى لايضاح معنى قتال هذا البطل . وهـذا هو السبب في أننا نتلقّاه على أعناقنا الآن ، لشدة طمعنا وشرهنا.

بوليتشوف : إن ماقلت صحيح ، يا دونات ! خذ ياكوف مثلاً – ابني في العماد – فهو يقول هذا الشيء ذاته : إن الشراهة والطمع يتربعان في أعماق كل شرير . كيف يعيش إذن؟

دونات : لا ترع ، فعيشته حسنة . فهو شاب ذكي .

كسينيا : هه ! ذكي ؟ تماماً ! إنه وقح سليط ، هذا ما ينطبق عليه ، فهو غير ذكي على الاطلاق .

دونات : إن ذكاءه يجعل منه وقحاً قليل الحياء ، يا أكسينيا يا كوفيلفنا . لقد قبض على عشرة أو ما قارب من الفارين من الخدمة العسكرية ، يا ييجور فاسيليفيتش ، وأجبرهم على العمل ، وهم الآن يعملون بجد ونشاط وحمية كالنمل . ولو لم يفعل هذا لظلوا يسرقون وينهبون .

بوليتشوف : حسناً ، هـذا ... لو سمع موكروسوف عن هـذا ! ... فسوف يثير شجاراً .

دونات : إن موكروسوف ليعلم ذلك . ولقد سر منه بالأحرى . فذلك أسهل بالنسبة إليه .

بوليتشوف : حسناً ، كن حذراً الآن ...

(يهبط زفونتسوف السلّم .)

دونات : حسناً ، لقد كنت أقول ... ما الأمر بشأن الدب ؟...

بوليتشوف : الدب ـ إنه حظك السعيد .

زفونتسوف : لعلك تسمح لي باهداء الدب إلى الجنرال بيتلينغ ؟ أنت تدري أنه يفيد في ...

بوليتشوف : نعم ، أدري ، أدري . إمنحه إياه . أو قدّمه للمطران ، إذا شئت!

كسينيا (ضاحكة) : لأود أن أرى المطران وهو يطلق النار على الدب .

بوليتشوف : كفى ، إنني متعب . طاب يومك ، يا دونات . فالأمور تجـــري بصورة سيئة نوعاً ما ، أليس كذلك ، أيها الفتى العجوز ؟ الأمور تجري بصورة خاطئـة منـذ مرضي . (ينحني دونات في صمت ، ويخرج .) إبعثي لي شوركا ، يا أكسينيا . والآن ، يا أندريه ، ماذا تبغي ؟ أمتكدر أنت ، يارجل ؟

زفونتسوف : الأمر يتعلق بلابتيف .

بوليتشوف : حسناً ؟

زفونتسوف : سمعت أنه يختلط بـ .. مشبوهين سياسيين ، وقد خطب في جمع من الفلاحين عدة مرات في سوق كوبوسوفو ، مهاجماً الحكومة .

بوليتشوف : هراء ! أية أسواق هنالك في هذه الأيام ؟ وأي فلاحين ؟ وفيم تظلّ متذمراً من ياكوف !

زفونتسوف : انه كأحد أفراد الأسرة ، رغم كل شيء .

(تدلف شورا راكضة .)

بوليتشوف : كأحد الأفراد !... أنت لا تراه فرداً من العائلة . ولذا فهو يرفض حتى القدوم لتناول طعام الغداء معنا أيام الآحاد بشكل عام .

عني الآن ، يا أندريه ، فستخبرني بهذه الأمور فيما بعد .

(يخرج زفونتسوف .)

شورا : أكان يحدثك عن ياكوف ؟

بوليتشوف : ليس هذا من شأنك . إجلسي هنا . فالجميع يتذمرون منك ، أنت أيضاً .

شورا : من هم الجميع ؟

بوليتشوف : أكسينيا ، فارفارا ...

شورا : أوه ، هؤلاء ليسوا الجميع على أية حال .

بوليتشوف : إني أتحدث جاداً ، أيتها الصبية شورا .

شورا : كلا . فأنت لا تتحدث هكذا عندما تكون جاداً .

بوليتشوف : أنت كثيرة الوقاحة والفظاظة في معاملتهم جميعاً ، وأنت لا تعملين شيئاً ...

شورا : حسناً ، إذا كنت لا أعمل شيئاً ، فمن أين جاءت وقاحتي وفظاظتي ؟

بوليتشوف : أنت لا تسمعين لانسان .

شورا : إنني أسمع لكل إنسان . وقد مللت السماع لهم ، أيها الزنجبيل .

بوليتشوف : أنت الزنجبيـــل ـ فأنت زنجبيلية اللون أكثر مني . وأنت لا تكلمينني بلياقة أيضاً ! من واجبي أن أوبخك بشدة ، بيد أني لا أريـد ذلك . (. [illegible])

شورا : إذا كنت لا تريد ذلك ، فلا حاجة بك إليه إذن .

بوليتشوف : لأحب هذا ! إذا كنت لا تريد [illegible] فلا حاجة بك إليه . في الحقيقة ! [illegible] الحياة شبيهة تماماً [illegible] الناس [illegible] كذلك [illegible] إنما لا يمكن تحقيق ذلك [illegible]

شورا : من يمنعك ؟

بوليتشوف : الجميع ... الجميع يمنعوني . لكن هذا أكثر من أن تفهميه .

شورا : حسناً ، علّمني إذن ، وهكذا أفهم ، بحيث لا يمنعوني .

بوليتشوف : هذا شيء لا يمكن تلقينه ! أهذه أنت أيضاً ، يا أكسينيا ؟ فيم تجوالك من فوق إلى تحت ؟ عمّ تفتشين ؟

كسينيا : لقد قدم الطبيب . وباشكين ينتظر مقابلتك . هلاّ أرخيتِ قميصك ، يا ألكسندرا ؟ يا لها من طريقة للجلوس !

بوليتشوف (ينهض) : حسناً ، أدخلي الطبيب . فالاضطجاع يزعجني ، إنه مؤلم بالنسبة إلي ، آخ ! أركضي خارجاً ، يا شوركا ! إنتبهي كيلا تلوي عقبك .

الطبيب : أسعدت صباحاً ! كيف حالك اليوم ؟

بوليتشوف : على أسوإ ما يكون ، إنك تفشل في معالجتي ، يانيفون جريجوروفيتش .

الطبيب : حسناً ، حسناً ، تعال الآن ، دعني ألقِ عليك نظرة .

بوليتشوف (خارجاً مع الطبيب) : صف لي آمن الأدوية التي تعرفها وأثمنها ؛ لا بدّ لي من التحسن . فاذا شفيتني ، فلسوف أشيد مستشفى وأجعلك مديراً له ، وإذ ذاك تستطيع أن تفعل ما يحلو لك ...

(يخرجان .)

(يدخل باشكين .)

كسينيا : ماذا قال الطبيب ؟

باشكين : لقد قال إنه السرطان ، سرطان الكبد .

كسينيا : خلّصنا ، يا الله ! هذا ما خطر في بالهم !

باشكين : وقد قال إنه داء خطر .

كسينيا : أوه ، سيقول ذلك ، من دون ريب . كل إنسان يعتقد أن عمله أصعب الأعمال وأقساها .

باشكين : تصوري الوقوع في المرض في مثل هذا الوقت ! إن الأموال لتساقط في كل مكان وكأنها تهوي في جيب ممزّق ؛ كان المتسولون يربحون الآلاف البارحة ، وها هو ذا الآونة ...

كسينيا : هذا صحيح ! كثيرون يصبحون أغنياء ، أغنياء جداً ...

باشكين : إن ذلك الطويل دوستيجاييف يزداد نمواً ، وهو يتجول هنا وهنالك مفكوك الأزرار ، ولا يتحدث إلا بالآلاف . أما إذا سألتني عن ييجور فاسيليفيتش - فيبدو أن سحابة تحوّم نوعاً ما في فكره . لقد قال قبل أيام : « إنني أعيش ، وأخطىء الشيء الحقيقي طوال الوقت . » ترى ، ماذا كان يقصد ؟

كسينيا : أوه ، لقد لاحظت ، أنا أيضاً ، تلك الأقوال التي يثرثر بها - ليست هي بالأقوال الجيدة .

باشكين : ولقد بدأ حياته على أكتاف دراهمك ودراهم أختك . كان يجب أن يزيد ذلك المال .

كسينيا : لقد أخطأت ، يا موكي ، وقد عرفت ذلك منذ زمن بعيد - نعم ، لقد أخطأت . لقد تزوجت مساعداً في دكان والدي - ولكنني لم أختر الأفضل . لو كنت تزوجتك أنت - ما أنعم الحياة التي كنا قد عشناها معاً إذن ! بينا هو ... يا إلهي ! الأمور التي يقدم عليها ! والأمور التي لا بدّ لي أن أتحملها من قبله ! ولقد جاء بابنة زنى إلى بيتي ، وحملني عبء حياتها ! وذلك الطفل الذي التقطه - تلك

الحزمة من الشر والسوء ! أنا خائفة ... كي بتروفيتش خائفة أن يدبا حوالي ويخدعاني، ... فارا ، و... مني مستعطية فقيرة ...

باشكين : يجب ألا أستغرب هذا ... إنها الحرب . وليس في الحروب خجل أو شفقة ...

كسينيا : أنت خادم قديم لعائلتنا ، وقد أوقفك والدي على قدميك ـ فكر في أمري ...

باشكين : هذا ما أفكر فيه ... (يظهر زفونتسوف) ...

زفونتسوف : ... هل ذهب الطبيب ؟ ...

كسينيا : ... لم ... هنا ... فيليمبا ...

زفونتسوف : حسناً ... يا ... كي بتروفيتش ... ماذا جرى بشأن الثوب ؟

باشكين : لقد ... لا ... احتلامه ...

زفونتسوف : ... يجب أن ندفع له كي نقنعه ... ؟

باشكين : حوالي خمسة آلاف ـ لا أقل من ذلك ...

كسينيا : ... وهو شيخ عجوز أيضاً ...

زفونتسوف : ويجب أن يسلّم إليه بواسطة ...

باشكين : نعم ... على الطريقة المعتادة ...

كسينيا : ... خمسة آلاف ... ؟

زفونتسوف : ... خسرت أقيمة المال هذه الأيام ...

كسينيا : نعم ... يكون المال في جيب شخص آخر ...

زفونتسوف : ... وافق عملي ...

باشكين : ... لا أعرفه ... قد وافق أم لا ..

الطبيب (يخرج في هذه اللحظة ويمسك زفونتسوف من ذراعه) : حسناً ، إن القضية كما يلي ...

كسينيا : أوه ، قل لنا شيئاً يبعث السرور فينا ...

الطبيب : ينبغي المريض أن يلزم فراشه قدر المستطاع . فالأعمال ، والتهيجات، والضجيج ، كل هذا من الأمور التي تسيء إليه. يجب أن يعيش في جوٍ من الأمن والهدوء ... وإذ ذاك ... (يهمس بشيء ما إلى زفونتسوف .)

كسينيا : لماذا لا تخبرني ؟ إنني امرأته .

الطبيب : هنالك أمور يستحسن جداً ألا نحدث النساء عنها . (يهمس إلى زفونتسوف من جديد .) سنهيء ذلك من أجل هذا المساء ، إذن .

كسينيا : ماذا ستهيئان ؟

الطبيب : استشارة عدة أطباء آخرين .

كسينيا : يا للسموات !

الطبيب : أوه ، ليس في ذلك شيء رهيب . حسناً ، وداعاً . (يخرج .)

كسينيا : يا له من شاب عبوس ... ولقد تناول خمسة روبلات أجراً لخمس دقائق . ستون روبلاً في الساعة ـ ما رأيك بهذا ؟

زفونتسوف : يقول إن الأمر يستوجب عملية .

كسينيا : ماذا ، أن يقطعه ؟ لا شيء من هذا القبيل ! لن أسمح لانسان أن يقطعه ...

زفونتسوف : أعيريني نظرك ـ تلك غباوة صريحة واضحة. الجراحة والعلم ...

كسينيا : تفو ! لست أهتم بعلمك البتة . وهكذا ! إنك فظ قليل الأدب

تجاهي ، أنت أيضاً .

زفونتسوف : أنا لا أتحدث عن الذوق واللياقة الآن ـ إنني أتحدث عن الأعماق الدكناء للجهالة التي ...

كسينيا : إنك لست بنيّر مطلقاً ، أنت الآخر !

(يطوّح زفونتسوف بذراعيه في غيظ ، ثم يخطو مبتعداً . وفي تلك اللحظة ، تندفع جلافيرا إلى وسط الغرفة .)

كسينيا : إلى أين تنطلقين ؟

جلافيرا : لقد قرع جرس غرفة النوم !

(تتبعها كسينيا إلى غرفة نوم بوليتشوف .)

زفونتسوف : لقد وقع عمي مريضاً في وقت غير ملائم .

باشكين : نعم . وذلك يجعل الأمور مقيتة . في مثل هـــذه الأوقات يتصيد الأذكياء المال في الهواء ، كالمشعوذين .

زفونتسوف : هِمْ ، بلى ! وبالاضافة إلى هذا فثمة ثورة تقرع الأبواب .

باشكين : هذا ما لا أوافق عليه . لقد قامت ثورة عام ١٩٠٥ . وذلك لم يُجْدِ شيئاً .

زفونتسوف : عام ١٩٠٥ حدث عصيان ـ لا ثورة . في ذلك الوقت كان العمال والفلاحون في بيوتهم ـ أما الآن ، فهم جميعاً في الجبهة . وستقوم الثورة، هذه المرة ، ضدّ الضباط ، والحكام، والوزراء .

باشكين : إذا كانت الحال ما ذكرت ، فليباركها الله ويتعهدها برعايته ! فالضباط أكثر شراً من القرّاد . إذا تملكوا جلدك مرة ، فلن تستطيع انتزاعهم منه ...

زفونتسوف : ومن الواضح أن القيصر لا يصلح للحكم .

باشكين : يتردد مثل هذا القول بين التجار أيضاً . يقولون إن موجيكاً أو ما شابه يحوم حول القيصرة .

(تظهر فارفارا على السلم ، وتقف مرهفة أذنيها .)

زفونتسوف : نعم ، إنه جريجوري راسبوتين .

باشكين : على كل حال فأنا لا أومن بالسحر.

زفونتسوف : أفلا تؤمن بالعشاق أيضاً ؟

باشكين : تلك تبدو حكاية ملفقة بالنسبة إليّ . فلديها المئات من الجنرالات تستطيع الانتقاء من بينهم .

فارفارا : ماهذه النفايات التي تثرثرون بها ؟

باشكين : الجميع يقولون هـــذا ، يا فارفارا بيجوروفنا . أما من جهتي أنا ، فأعتقد أننا عاجزون عن العمل بدون قيصر .

زفونتسوف : نحن في حاجة إلى قيصر - ليس في بتروجراد - بل في رؤوسنا. (إلى فارفارا) هل انتهت المسرحية ؟

فارفارا : كلا ، بل أجّلت. لقد جاء أحد المفتشين ، فثمة دفعة جديدةمن الجرحي والمصابين ، تبلغ الخمسمائة تقريباً ، تنتظرهذه الليلة ،ولا يوجد لهم مكان كاف .

(تدخل جلافيرا .)

جلافيرا : إنه يسأل عنك ، يا موكي بتروفيتش .

(يترك باشكين قبعته على الطاولة ويخرج .)

فارفارا : كيف تثق به وتأتمنه ؟ أنت تدري أنه يتجسس علينا لحساب أمنا . وقد ظل يلبس هذة القبعة طيلة السنوات العشر الماضية ، ذلك البخيل القابض اليد ! ذلك كله دنس وقذارة ! لست أفهم فيمَ

تصاحب هذا اللص و ...

زفونتسوف : آه ، كفاكِ .. إنما أبغي استدانة المال منه كي أرشو بيتلينغ ..

فارفارا : لكنني أخبرتك أن ليزا دوستيجابيفنا ستدبر كل هـذا بواسطة جان ! وسيكون ذلك رخيصاً ...

زفونتسوف : لسوف تخدعك ليزافيتا .

كسينيا (من غرفة نوم زوجها) : تعالوا وارغموه على الاضطجاع ! إنه يتـــابع التجوال في الغرفة ، والصياح بموكي ... يا إلهي ارحمني !

زفونتسوف : إذهبي إليه ، يا فاريا ...

بوليتشوف (في منامته وخفيّه المكسوين باللباد) : حسناً ، وماذا أيضاً ؟ هذه الحرب المشؤومة !

باشكين (يتبعه) : من ينكر ذلك ؟

بوليتشوف : تحمل الشؤم لمن ؟

باشكين : لنا نحن .

بوليتشوف : ومن تقصد بـ ... نحن ؟ أنت تقول إن الناس يجمعون الملايين من هذه الحرب ؟ حسناً ؟

باشكين : كنت أعني أنها تحمل الشؤم للشعب ...

بوليتشوف : إنما الشعب الموجيك ، وسواء لديه أعاش أم مات ؟ هذا هو الواقع الذي تتحدث عنه حقيقتك !

كسينيا : لا تهتج الآن ، واهدأ بالاً . فالهياج يسيء إليك ...

باشكين : ماذا تعني ؟ أي نوع من الحقيقة تسمي ذلك ؟

بوليتشوف : الشيء الحقيقي الصادق . هذه هي الحقيقة . وأقول بصراحة إن عملي هو جمع المال ، أما عمل الموجيك ـ فزرع الحبوب ، وشراء

البضائع والحاجيات . لأودّ أن أعرف أية حقيقة أخرى هنالك غير هذه ؟

باشكين : هذه هي الحقيقة طبعاً ، إنما ...

بوليتشوف : حسناً ، ماذا تقصد بـ « إنما » ؟ فيمَ تفكر عندما تسرقني؟

باشكين : كيف تهينني على هذا الغرار ؟

كسينيا : فيمَ تفكرين ، يا فاريا ؟ حدثيه ، هلا فعلت ؟ لقد أخبروه أن يضطجع في فراشه .

بوليتشوف : أفي الشعب أنت تفكر ؟

باشكين : تهينني وتحقرني أمام الجميع ! لقد سرقتك في الحقيقة ! هذا يتطلب برهاناً !

بوليتشوف : ليس هنالك شيء يُبرهن عليه . الجميع يعرفون أن السرقة عمل دنيء حقير . وليس من مبرر لاهانتك . فالاهانة لا تجعل منك إنساناً أفضل ، بل تزيدك سوءاً ليس غير . لست أنت الذي تسرق، بل الروبل يفعل ذلك . إنه اللص الأعظم ...

باشكين : لا يستطيع أن يقول هذا القول سوى يا كوف لابتيف .

بوليتشوف : هذا ما يقوله بالضبط . حسناً ، في مقدورك الذهاب الآن . إن بيتلينغ لن يحصل على أية رشوة . لقد منحناه الكفاية ، منحناه ما يكفي ثمناً لنعشه وورقة الدفن ، ذلك الشيطان العجوز . (يخرج باشكين .) ماذا تفعلون هنا ؟ ماذا تنتظرون ؟

فارفارا : لسنا ننتظر شيئاً ...

بوليتشوف : هِمْ - لستم تنتظرون شيئاً ... أتريدون مني تصديق هذا؟حسناً، إذا كنتم لا تنتظرون شيئاً ، فهيا إلى أعمالكم . أفليس لديكم ما

تعملون ؟ أكسينيا ، مري أحدهم بتهوية غرفتي . إنها خانقة الجو ـ عابقة برائحة الأدوية الحادة . نعم ، وقولي لجلافيرا أن تحمل لي بعض الكفاس المصنوع من التوت البري .

كسينيا : يجب ألا تشرب الكفاس .

بوليتشوف : هيا ، هيا من هنا ! إنني أدري ما يجب أن أتناول أو لا أتناول .

كسينيا (وهي خارجة) : لو كنت تدري فقط ...

(الجميع يغادرون الغرفة .)

بوليتشوف (يدور حوالي الطاولة ، مستنداً إليها بيده الواحدة . يرنو إلى المرآة، ويقول بأعلى صوته) : إن الأمور في حالة سيئة ، يا ييجور . وذلك البوز لا يبدو بوزك أيضاً !

جلافيرا (تدخل حاملة قدحاً من الحليب على صينية) : إليك قليلاً من الحليب .

بوليتشوف : أعطيه للقطة . وائتيني ببعض الكفاس ـ الكفاس المصنوع من التوت البري .

جلافيرا : قالوا لي ألا أحمل إليك كفاساً .

بوليتشوف : لا تهتمي بما يقولون لك ـ هيا ائتيني به . مهلاً ! ماذا تحسبين ـ هل سأموت ؟

جلافيرا : هذا غير معقول .

بوليتشوف : لماذا ؟

جلافيرا : لا أصدق ذلك !

بوليتشوف : لا تصدقين ذلك ؟ حسناً ، ياعزيزتي ، إن الأشياء تلوح رديئة لعيني ! رديئة جداً . أنا أدري .

جلافيرا : لا أصدق ذلك .

بوليتشوف : شموس ، هذه حقيقتك . إحملي لي الكفاس إذن . وسأشتف قطرة من فودكا البرتقال ... فذلك يفيدني . (يتجه نحو الخزانة.) لقد أقفلوها ، حلّت عليهم اللعنة . ذلك الخنزير القذر ، إنه يراقبني على الدوام ، حتى ليخيل إليك أنني سجين ...

(ستار)



الفَصْلُ الثّاني

(غرفة استقبال آل بوليتشوف . زفونتسوف وتياتين يجلسان في إحدى الزوايا إلى طاولة صغيرة مدورة ، وعلى الطاولة تنتصب قنينة من الخمرة .)

زفونتسوف (يشعل لفافة من التبغ) : أفهمتني ؟

تياتين : إنني أكره ذلك ، يا أندريه ، بصراحة ...

زفونتسوف : ولكن ... ولكنك تحبّ المال ، أليس كذلك ؟

تياتين : يؤسفني أن أجيب بنعم .

زفونتسوف : من الذي تأسف من أجله ؟

تياتين : من أجل نفسي ، بالطبع .

زفونتسوف : إنها لا تستحق ذلك .

تياتين : لكنك تعرف ، مع ذلك ، أنني الصديق الوحيد لنفسي .

زفونتسوف : يحسن أن تقلّل من فلسفتك ، في حين تكثر من التفكير .

تياتين : إنني أفكر . إنها شيء صغير فاسد ؛ ولن يكون هذا العمل سهلاً معها .

زفونتسوف : تستطيع الحصول على الطلاق .

تياتين : فتحتفظ هي بالمال ...

زفونتسوف : سنعمل على أن تحصل عليه . أما شورا ، فلسوف أروّضها بنفسي .

تياتين : بشرفي إني ...

زفونتسوف : سأعمل على أن يسرعوا في تزويجها ، وهكذا يزداد مهرها ويضخم .

تياتين : هذه فكرة رائعة وربي ! وماذا سيكون المهر ؟

زفونتسوف : خمســـون .

تياتين : خمسون ألفاً ؟

زفونتسوف : كلا . خمسون زراً .

تياتين : أهذا صحيح ؟

زفونتسوف : لكنك ستكتب لي « وصلاً صغيراً » بقيمة عشرة .

تياتين : عشرة آلاف ؟

زفونتسوف : كلا . روبلات ! حمار !

تياتين : لكن هذا كث ... ثير ...

زفونتسوف : فلنقفل الموضوع ، إذن .

تياتين : هل أنت جادّ بهذه الأمور كلها ؟

زفونتسوف : ليس سوى الحمقى لا يكونون جادين في موضوع المال .

تياتين (يضحك في سره) : ألا فلتحلّ اللعنة على ذلك كله .. إنها فكرة رائعة .

(يدخل دوستيجاييف .)

زفونتسوف : ما أشد سروري إذ أراك قادراً على استيعاب شيء ما ! إن مثقفاً بروليتارياً مثلك لا يستطيع في هذه الأيام المتوحشة ...

تياتين : نعم ، آه نعم ، بالطبع . حسناً ، يجب أن أسرع إلى المحكمة الآن .

دوستيجاييف: ما الذي يقلقك ، يا ستيباشا ؟
زفنتسوف : نحن ... كنا نتحدث عن راسبوتين .
دوستيجاييف : يا له من قضاء ، ما ؟ موجيك سيبيري عادي - ويلعب « الداما » مع المطارنة والوزراء . لابدّ أن مئات الألوف من الروبلات قد تناثرت بين يديه . لم يقبل قط رشوة تقل قيمتها عن عشرة الآف! لقد استقيت هذه الأخبار من ينابيع يوثق بها ويركن إليها - هو لا يقبلها أبداً ، إن كانت تنقص كوبيكاً واحداً ! مـــاذا تشربان ؟ بورجوندي ؟ إنهـا خمرة ثقيلة ، لا تشرب إلا في فترة الغداء ، أيها الغبيان !
زفونتسوف : كيف عثرت على عمي ؟
دوستيجاييف: عثرت عليه بسهولة تامة ، إذ لم يكن مختبئاً . هـلاّ جئتني بقدح ، يا ستيباشا ! (تياتين يخرج على مهلته .) إن بوليتشوف - ولأخبرك صراحة - يلوح في حال سيئة . إن حالته خطرة ...
زفونتسوف : يخيل إلي ، أنا الآخر ، أن ...
دوستيجاييف : نعم ، نعم . بالضبط . ثم هو يخشى الموت ، وهو هكذا واثق تماماً أنه سيموت . يجب أن تظلّ ذا كراً هذا الأمر . لا تستطيع أن تكون كسولاً في مثل هـذه الأيام - تثاءب ويداك في جيبك . ذلك لن ينفع شيئاً . إن الخنازير تهاجم سياج الدولة في كل مكان، أما أن الثورة ستشتعل فأمرٌ قد أصبح واضحاً حتى لدى الحاكم المحلي ...
تياتين (يدخل حاملاً قدحاً فارغاً) : لقد نهض بيجور فاسيليفيتش ، وهو في غرفة الطعام .

دوستيجاييف : (يتناول القدح) : شكراً ، يا ستيباشا . تقول إنه خرج ؟حسناً، فلنذهب إلى هناك إذن .

زفونتسوف : يبدو أن أصحاب المصانع يعرفون ما ينبغي لهم أن يفعلوا ...

(فارفارا وإيليزافيتا تدخلان .)

دوستيجاييف : أتعني أولئك الذين في موسكو ؟ وتراهن أنهم يعرفون .

إيليزافيتا : يجلسون ههنا يعاقرون الخمرة مثل جماعة من عصافير الدوري ، بينا يقبع بوايتشوف هنالك يجأر بشيء فظيع ويخور !

دوستيجاييف : لماذا تزدهر أميركا ؟ لأن أصحاب الأعمال هناك يقبضون بأنفسهم على ناصية الحكم ...

فارفارا : إن تابع بيتلينغ المدعو جان ، يؤمن أن طباخي أميركا يتبضّعون على دراجات نارية .

دوستيجاييف : هذا محتمل رغم أن تلك أكاذيب خالصة فيما يبدو . وأنت ، يا فاريوشا ، إنك تحومين حول العسكريين كعادتك ، على ما أعتقد؟ هل تريدين عملاً لدى أحد الزعماء ؟

فارفارا : آه ، إنها قصة قديمة ! بماذا تحلم ، يا تياتين ؟

تياتين : أوه ، أبداً ، لاشيء عظيم ...

إيليزافيتا (أمام المرآة) : لقد روى لي جان نهار البارحة نكتة غريبة ! ولقد كانت رائعة !

دوستيجاييف : حسناً ، تعالي ، قصّيها علينا .

إيليزافيتا : لا أستطيع ذلك أمام الرجال .

دوستيجاييف: لابدّ أنها رائعة !

(فارفارا تهمس بشيء في أذن إيليزافيتا .)

إيليزافيتا : حسناً ، يازوجي ! أمزمع أنت على البقاء ههنا حتى تفرغ الزجاجة؟

دوستيجاييف: لست أعترض سبيل أحد ، أليس كذلك ؟

إيليزافيتا (إلى تياتين) : أنت تعرف ، يا سيتوبوشكا ، ما يقول المزمور : «مبارك هو الانسان الذي لا يسير على طريق الضلال ، ولا يقف في طريق الخطأة ! » .

تياتين : نعم ، يلوح لي أني أتذكر شيئاً مثل هذا ...

إيليزافيتا (تمسك به من ذراعه) : حسناً ، سائر هؤلاء الذين هنا خطاة شريرون ، وأنت شاب لطيف خُلقت لضوء القمر ، والحب ، وإلى آخر ما هنالك . ألست كذلك ؟

(تقوده بعيداً .)

دوستيجاييف: يا للمرأة من ثرثارة كثيرة اللغو !

فارفارا : لقد أرسلت والدتي وباشكين في طلب العمة ميلانيا ، يا فاسيلي ييفيموفيتش .

دوستيجاييف: الراهبة ؟ أو ـ و ـ د ، تلك لعبة كبيرة ! إنها ستقف ضدّ إرادة دوستيجاييف ورفونتسوف . لسوف تفعل . إنها تهدف إلى لوحة يكتب عليها « كسينيا بوليتشوفا ودوستيجاييف » .

رفونتسوف : قد تسحب حصتها من المشروع .

دوستيجاييف: كم تبلغ حصة ميلانيا من المال ؟ سبعون ألفاً ؟

زفونتسوف : تسعون .

دوستيجاييف: ذلك مبلغ محترم ! وهل هو من مالها الخاص أو من مال الدير ؟

فارفارا : كيف يمكنك اكتشاف ذلك ؟

دوستيجاييف: أوه ، تستطيع ذلك بشكل تأكيد . تستطيع اكتشاف كل ذلك

فالالمانيون مثلاً لا يعرفون عدد جنودنا في الميدان فحسب ، بل حتى عدد القمل في جسد كل واحد منهم .

فارفارا : أفلا تستطيع التحدث عن شيء جدي بدلاً من هذا الحديث ؟...

دوستيجاييف: يا عزيزتي فاريوشا ، لست تستطيعين أن تتاجري أو تخوضي غمار الحرب إلا إذا كنت تعرفين كيف تحصين ما في جيبك من مال. نستطيع اكتشاف قصة أموال ميلانيا بهذة الطريقة : هنالك سيدة تدعى سيكلاتيا بولوبويارنيوفا ، وقد ساعدت المحترم نيكاندر على متابعة صلواته الليلية ، ونيكاندر يعرف كل ما يجب معرفته عن أموال الجميع . وبالاضافة ، هنالك رجل في المجمع المقدس ـ وسوف لاننساه أيضاً . فيجب أن تكلمي بولوبويارنيوفا تلك ، يا فاريوشا ، فاذا اكتشفت أن المال يخص الدير ـ حسناً ، تستطيعين تخمين ذلك بنفسك ! أين تسللت زوجتي العزيزة، يا ترى ؟

جلافيرا (على الباب) : أرسلوني لأدعوكم إلى غرفة الطعام .

دوستيجاييف: سنكون هنالك بعد ثوان . تعالوا بنا ، جميعاً .

فارفارا (تتظاهر بأن طرف ثوبها قد علق في ذراع المقعد) : أندريه ، هلا ساعدتني في تخليص هذا !... هل تصدقه ؟

زفونتسوف : وهل أبدو مجنوناً ؟

فارفارا : أوه ، يا له من لص غشاش ! لم تك خطتي المتعلقة بعمتي رديئة ، أليس كذلك ؟ وماذا عن نياتين ؟

زفونتسوف : لسوف أشركه في الأمر .

فارفارا : يجب الاسراع في هذا ...

زفونتسوف : لماذا ؟

فارفارا : لماذا ؟ لأنه يتوجب عليك الانتظار زمناً طويلاً بعد الجنـــازة . ووالدي قلبه ضعيف أيضـاً ... وبالاضافة ، فلدي أسباب أخرى. (يخرجان ، فيواجهان جلافيرا في الطريق . تـــلاحقهما بنظرة حقود ، ثم تشرع في تنظيف الأقداح إلخ ... عن الطـاولة الصغيرة . يدخل لابتيف .)

جلافيرا : انتشرت إشاعة نهار البارحة تقول إنك معتقل .

لابتيف : حقاً ؟ ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً ، بكل تأكيد .

جلافيرا : أنت دائم الدعابة والمزاح !

لابتيف : لا شيء أطعمه ـ وبالمقابل فثمة كثير من السخرية .

جلافيرا : اسوف تُدق عنقك ذات يوم من جراء دعاباتك وسخريتك .

لابتيف : إن الدعابة الجيدة تكسب كلمة طيبة ، أما الدعابة الرديئة فتقودك إلى مأزق .

جلافيرا : هذا هو يستمر . هل تعرف من هنالك بصحبة شورا ؟ تونكا دوستيجاييفنا .

لابتيف : بررر ـ لا تقولي !

جلافيرا : هل أنادي شورا إلى هنا ؟

لابتيف : تلك فكرة رائعة . كيف حال بوليتشوف ؟

جلافيرا (ساخطة) : ليس هو بوليتشوف بالنسبة إليك ـ إنه عرّابك .

لابتيف : لا تجني ، أيتها العمة جلاشا ؟

جلافيرا : إنه في حال سيئة .

لابتيف : هل هو في حال سيئة ؟ انتظري لحظة ! شركائي جياع ، أيتهـــا العمة جلاشا ، أفليس في وسعك أن تمنحيهم مدّين من الدقيق ، أو ربما كيساً كاملاً ؟

جلافيرا : أفتتوقع مني أن أسرق مستخدميّ من أجل خاطرك ؟

لابتيف : وكأنما هي المرة الأولى ! وعلى أية حال ، فقد أخطأت من قبل – وكان عبء الخطايا يقع على عاتقي . إن الشبان ساغبون ، يبغون شيئاً يسدّ الرمق ، وحق الاله . إذا اعتبرنا العمل الذي تقومين به في البيت ، ألفينا أن لك الحق فيه أكثر من مستخدميك .

جلافيرا : نعم ، لقد سمعت هذه الأقاصيص منك قبلاً . سيرسلون الطحين غداً صباحاً إلى دونات ، فتستطيع أخذ كيس من دونات .

(تخرج .)

لابتيف : شكراً !

(يجلس على المتكأ ، ويتثاءب حتى تنهمر الدموع من عينيه ، فيمسحها ويتطلع حواليه .)

كسينيا (تدخل وهي تجمجم) : يهربون كما تهرب الشياطين من البخور ...

لابتيف : كيف حالك ؟

كسينيا : أوه ! فيم جلوسك هنا ؟

لابتيف : هل يحسن بي أن أتجوّل خارجاً إذن ؟

كسينيا : إما ألا يوجد في مكان ، وإما ينبثق فجأة ! وكأنه يلعب الطميمة ! إن عراباك يضطجع مريضاً ، وأنت لا تهتم بالأمر ...

لابتيف : وماذا أفعل ؟ أأمرض ، أنا الآخر ؟

كسينيا : لقد جننتم جميعاً ، وها أنتم تحاولون جرّ الآخرين إلى الجنون . الحقيقة أن المرء لا يستطيع أن يفهم شيئاً من شيء ! هل سمعت أنهم يريدون وضع القيصر في قفص مثلما فعلوا بإميليان بوجاتشيف ؟ والآن ، أنت عالم – فقل لي ، أهم يكذبون أم ماذا ؟

لابتيف : كل شيء محتمل الوقوع ، كل شيء .

جلافيرا (تصيح من المسرح) : أكسينيا يا كوفليفنا ، تعالي لحظة .

كسينيا : حسناً ، ما العمل الآن ؟ لست أملك دقيقة راحـــة وسلام ... ساعدني ، يارب ! (تخرج .)

شورا (تدخل راكضة) : مرحباً !

لابتيف : شورا ، عزيزتي . إني راحل إلى موسكو ، ولست أملك كوبيكاً ـ ساعديني !

شورا : لدي ثلاثون روبلاً ...

لابتيف : أفلا تجعلينها خمسين ، أفلا تستطيعين ؟

شورا : سأتدبرها لك .

لابتيف : في قطار الليل ؟ هل تهيئين ذلك ؟

شورا : نعم . إسمع : هل ستنفجر ثورة ما ؟

لابتيف : كيف ، لقد انفجرت منذ الآن ! ألا تقرئين الصحف ؟

شورا : لا أستطيع فهمها .

لابتيف : حسناً ، سلي تياتين .

شورا : يا كوف ، أخبرني صراحة ، أي نوع من الشباب تياتين ذاك ؟

لابتيف : أحب ذلك ! لقد ظللت ترينه كل يوم قرابة ستة شهور .

شورا : هل هو شريف ؟

لابتيف : نعم ... إنه جيد .

شورا : لست تبدو شديد الثقة بما تقول ؟

لابتيف : أوه ، إنه شاب أحمق . من ذلك النوع البليد .

شورا : من أساء إليه ؟

لابتيف : لقد طردوه من الجامعة في عامه الثاني . وعمل عند ابن عمه كـكاتب حسابات ، وابن عمه ...

شورا : هل زفونتسوف لص غشاش ؟

لابتيف : بل هو ليبرالي ، من الحزب الدستوري الديمقراطي ، أما هم ، جميعاً ، فلصوص متمرسون غشاشون . أعطي المال إلى جلافيرا يداً بيد ، وهي ستعطيه لي .

شورا : وهل تساعدك جلافيرا وتياتين ؟

لابتيف : في أي عمل ؟

شورا : لا تكذب ، يا باشكا ! فأنت تفهم تماماً ! أريد المساعدة بدوري ، فهل تسمع ؟

لابتيف (مذهولاً) مابالك ، ياصبيّة ؟ أنتِ تمثّلين وكأنك أفقتِ اليوم فقط .

شورا (ساخطة) : إياك والتجرؤ على السخرية بي ! لأنتَ أحمق !

لابتيف : لربما أنا أحمق ، ومع ذلك أريد أن أفهم ...

شورا : إن فارفارا آتية !

لابتيف : أوه ، لست أريد رؤيتها .

شورا : تعال ، إذن ، أسرع !

لابتيف (يحوط كتفيها بذراعيه) : ماذا يعتمل في جوفك ؟

(يخرجان ، ويغلقان الباب خلفهما .)

فارفارا (وقد سمعت قرقعة القفل ، تسرع إلى الباب وتدير قبضته) : أهذه أنت ، يا جلافيرا ؟ (صمت .) أهنالك أحد ؟ ما أغرب ذلك ! ...

(تخرج مسرعة .)

(تظهر شورا ، وهي تشدّ دونات من يده .)

دونات : إلى أين تجرينني ، يا شورا ؟

شورا : قف ! قل لي الآن : هل يحترمون والدي في المدينة ؟

دونات : الأغنياء محترمون على الدوام . يالك من وحشة كاسرة !

شورا : أهم يحترمونه أم أنهم خائفون منه ليس غير ؟

دونات : إن لم يخافوه ، فلن يحترموه إذن !

شورا : ولماذا يحبونه ؟

دونات : هو ؟ حسناً — إن — يبدو أن سائقي العربات يحبونه ؛ فهو لا يساومهم أبداً ، ويدفع لهم الأجر الذي يطلبون . وسائق العربة ، من غير شك ، سيخبر فتى آخر ، حسناً — ومن ثم ...

شورا (تضرب الأرض بقدمها) : هل تسخر مني ؟

دونات : ولمَ أفعل ؟ إنني أخبرك الحقيقة .

شورا : لقد أضحيت سيىء الطبيعة . ولقد اختلفت تمام الاختلاف عن عهدي بكَ .

دونات : وكيف أضحي مختلفاً ! لقد فات الوقت من أجل ذلك .

شورا : لقد كنت تمتدح والدي أمامي .

دونات : وأنا لا أحط من قيمته الآن . إن لكل سمكةٍ طعماً خاصاً بها .

شورا : جميعكم كذابون .

دونات (يتنهد) : لا تغضبي ، لست تستطيعين أن تبرهني أي شيء إذا غضبت .

(تدخل جلافيرا .)

شورا : أخرج من هنا ! (يخرج دونات .) إسمعي ، يا جلافيرا ... أوه ، أحدهم قادم ! (تختبىء خلف الستائر .)

(يدخل ألكسي دوستيجاييف ، وهو شاب متصنع مغرور يرتدي

سروال ركوب الخيل ، وقميصاً سويدياً ذا أحزمـــة عديدة لا تحصى ، وشرائط وجيوب .)

ألكسي : لتزدادين حسناً وبهاء يوماً بعد يوم ، ياجلاشا .

جلافيرا (متهيجة) : إني سعيدة بسماع ذلك .

ألكسي : لكنني لست سعيداً . (يسد درب جلافيرا .) لست أحب شيئـاً جميلاً ما لم يكن ملكاً لي .

جلافيرا : دعني أمر ، من فضلك .

ألكسي : بكل تأكيد . (يتثاءب ويحملق في ساعته . تدخل أنطونينـــا ويتبعها تياتين بعد قليل .)

شورا (تخرج من خلف الستائر) : إنك تتراكض خلف الخدم أيضاً ، كما يبـــدو ؟

أنطونينا : لا فرق لديه حتى ولو كانت سمكة .

ألكسي : الخادمات لسن أسوأ من السيدات عندما يتعرَّين .

أنطونينا : أسمعتم هذا ! يتحدث كما لو كان يعيش في خمَّارة بدلاً من أن يكون في الميدان .

شورا : نعم . مازال كسولاً كعادته ، ولكنَّه شجاع اللسان .

ألكسي : إنني مقدام في الأفعال أيضاً .

أنطونينا : أوه ، يا للكذب ! إنه جبان ، وأي جبان ! إنه يرهب امرأة أبيـه بكل بساطة ، ولسوف تحمله على الزنا بها .

ألكسي : فيم اختلاق هذه الأقاصيص ؟ حمقاء !

أنطونينا : وهو شره أكول لدرجة مرعبة . وهل تعلمون أني أدفع لـــه روبلاً وعشرين كوبيكاً كل نهار لا يقول لي فيه شيئاً بذيئـاً !

وإنه يأخذ المبلغ !

ألكسي : هل تروق أنطونينا في عينيك ، يا تياتين ؟

تياتين : نعم ، كثيراً .

شورا : وأنا ؟

تياتين : في الحقيقة ...

شورا : نعم ، قل الحقيقة طبعاً !

تياتين : حسناً ، ليس كثيراً .

شورا : هكذا ؟ هذه هي الحقيقة ، ما ؟

تياتين : نعم .

أنطونينا : لا تصدقيه ، إنه يرجّع صدى إنسانٍ سواه ليس غير .

ألكسي : لأودّ أن تتزوج أنطونينا ، يا تياتين . لقد مللتها .

أنطونينا : أيها الحمار الأخرق . أخرج من هنا . أنتَ ، يامن تبدو كغسالة حبلى .

ألكسي (يلف خصرها بساعده) : وأية أرستقراطية تلوحين ؟ لا تأكلي حبوب عبّاد الشمس ، يا عزيزتي . تلك عادة سيئة (١) .

أنطونينا : دعني وشأني .

ألكسي : بكل سرور ! (يبدأ يرقص وإياها .)

شورا : لربما أنت لا تحبني مطلقاً ، يا تياتين ؟

تياتين : ولماذا تصرّين على معرفة ذلك ؟

شورا : يجب أن أعرف ، فذلك يبعث على الاهتمام .

ألكسي : لماذا تدور حول الموضوع ، ياتياتين ؟ إن الفتاة تحاول أن تحملك

---

(١) بالفرنسية في الاصل الروسي

على طلب يدها، أفيعمى عليك ذلك ؟ إن الفتيات بأجمعهن في عجلة من أمرهنّ، يبغين أن يصبحن أرامل الأبطـال. جراية طيبة، وهالة من التمجيد، ومعاش تقاعدي ...

أنطونينا : ويؤمن أنه ذكيٌّ.

ألكسي : حسناً، سأرحل خبياً الآن . هلاّ رافقتني إلى الصالة، ياتونكا ؟

أنطونينا : لست أريد !

ألكسي : أودّ إطلاعك على أمرٍ ما. تعالي، فالأمر جدّي.

أنطونينا : الأمر حماقة، على ما أعتقد.

(يخرج ألكسي وأنطونينا .)

شورا : أأنت رجل صادق، يا تياتين ؟

تياتين : كلا .

شورا : لماذا ؟

تياتين : لست أدفع .

شورا : إذا كنت تقول هذا فمعنى الأمر أنك صادق . قل لي الآن، دون أن تكف عن التفكير ــ هل نصحوك بالزواج مني ؟

تياتين (بعد فترة صمت، أشعل خلالها لفافة تبغ) : نعم .

شورا : وأنت تدرك أنها نصيحة سيئة ؟

تياتين : تمـاماً .

شورا : وهكذا فأنت... حسناً، لم أكن أتوقع هذا. حسبْتُ أنك...

تياتين : كان يجب أن تظني بي السوء .

شورا : كلا، فأنت ... رائع ! إنما ربما كنت خبيثاً داهية، إيه ؟ ولعلك تدعي الاستقامة كي تسخر مني ؟

تياثين : ذلك كثير بالنسبة إليّ . فأنت ذكية ، سريعة الغضب ، صلبة الرأي – نسخة طبق الأصل عن أبيك تماماً . وأنا أخافك، بشرفي . ثم إن الشعر الأحمر يتوّج رأسك مثل ييجور بوايتشوف . إنه يشبه شعلة رجال الاطفاء .

شورا : إنك رائع ، ياتياتين ! وإلا فأنت شاب داهية بصورة راعبة ...

تياتين : وإن وجهك لأخّاذ يلفت الأنظار ...

شورا : أنت تحاول، في حديثك هذا عن وجهي ، تلطيف الضربة التي كلتها لي ، أليس كذلك ؟ آه ، إنك داهية على كل حال !

تياتين : فكري ما تشائين . أما رأيي فيك فهو أنه مقدر لك أن تقترفي جريمة. بينما أنا – الذي اعتاد الحياة ومخالبه ظاهرة واضحة – فأنا، كما تعرفين ، أبدو كجروٍ مذنب .

شورا : مذنب بماذا ؟

تياتين : لست أدري . أن أكون جرواً ولا أملك أنياباً أعضّ بها ...

أنطونينا (تدخل) : لقد قرصني ذلك الأحمق أليوشكا قرصة مؤلمة في أذني . وأخذ جميع ما أملك من مال – وكأنه لصّ عادي . هل تدرين أنه سيشرب حتى الموت – هذا مؤكد . لسنا سوى فتاتين من بنات التجار لا نصلح لشيء . أفلا تجدين هذا باعثاً على السخرية ؟

شورا : تونيا ، إنسي كل السوء الذي تفوهتُ به عنه ، يا تونيا

أنطونينا : عن تياتين ؟ ماذا قلت عنه ؟ لست أذكر .

شورا : حسناً ، إنه يريد الزواج مني ...

أنطونينا : وأي سوء في هذا ؟

شورا : من أجل مالي .

أنطونينا : آه ، بلى ! تلك قذارة منك ، يا تياتين !

شورا : لمن المؤسف أنك لم تسمعي أجوبته على أسئلتي .

أنطونينا : إنكَ « فاروم » ؟ هل تتذكرين شوبرت ؟

تياتين : هل هي لشوبرت ؟

أنطونينا : إن فاروم ليرن وقعها أشبه بـ « أبو سعن » ، ذلك النوع المكتئب من الطيور القاطن في أفريقيا .

شورا : يا للأشياء التي تختلقينها !

أنطونينا : إنني أتعشق الأشياء الراعبة أكثر من أي شيء آخر . عندما يرتعب المرء ، فهو لا يضجر إذن . كنت أحب الجلوس في الظلمة ، منتظرة أي ثعبان ضخم يزحف إليّ ...

تياتين (مقهقهاً) : تعنين ذلك الثعبان الموجود في حديقة عدن !

أنطونينا : كلا ، بل أكثر منه رعباً وهولاً .

شورا : لتبعثين على التسلية كثيراً ! فأنت ، على الدوام ، تستنبطين شيئاً جديداً ، في حين يجمجم الآخرون على الدوام بالأشياء عينها : الحرب ، راسبوتين ، القيصرة والألمان ، أو الحرب أو الثورة .

أنطونينا : لسوف تكونين ممثلة أو راهبة .

شورا : راهبة ؟ يا للكلام الغث !

أنطونينا : مما لا ريب فيه أن الصيرورة راهبة أمر على غاية الصعوبة ـ فلا بدّ لك إذن من أن تلعبي ، على الدوام ، الدور نفسه .

شورا : أريد أن أصير لعوباً ، مثل نانا زولا .

تياتين : يارب ! ما هذا الذي تقولين ؟

شورا : أريد أن أفسد الناس ، فآخذ بثأري وأنتقم

نياتين : من ؟ ولماذا ؟

شورا : لكوني حمراوية الشعر ، ولكون والدي مريضاً . . ومن أجل كل شيء ! انتظر ، حتى تنفجر الثـــورة ... واسوف أريك ! لسوف ترى !

أنطونينا : هل تصدقين قصة الثورة ؟

شورا : نعم ، أصدق ! أصدق !

تياتين : نعم ، لسوف تشتعل ثورة . .

(تدخل جلافيرا .)

جلافيرا : لقد جاءت الأم ميلانيــا ، يا شورا ، ويريد بيجور فاسيليفيتش التحدث إليها ههنا .

شورا : هه ـ العمة ميلانيا ! تعالوا إلى غرفتي ، أيها الأطفال ! هل تعتبر زفونتسوف كثيراً ، ياتياتين ؟

تياتين : إنه ـ ابن عمي .

شورا : ليس هذا بجواب .

تياتين : يبدو لي أن الأقرباء نادراً ما يقدرون بعضهم بعضاً بصورة عامة .

شورا : هذا هو الجواب المضبوط .

أنطونينا : كفاكما تثرثران عن أشياء مضجرة مملة .

شورا : إنك هزأة بشكل مخيف ، يا تياتين .

تياتين : حسناً ، وماذا أستطيع أن أفعل لذلك ؟

شورا : وأنت تلبس ثيابك على طريقة مضحكة أيضاً .

(يخرجون . تفتح جلافيرا باباً مختفياً خلف ستارة كثيفة ثقيلة ، ويظهر بوليتشوف في اللحظة ذاتها على العتبة التي خرج منها

الشبان . تدخل الراهبة ميلانيا بخطوات بطيئة مهيبة ، تمسك عصاً في يدها . تقف جـــلافيرا محنية الرأس ، وهي تردّ الستارة إلى الخلف .)

الراهبة ميلانيا : أفما برحتِ تتسكعين في هذه النواحي ، أيتهـا الخاطئة ؟ أفـلم يطرحوك خارجاً بعد ؟ حسناً ، لسوف يفعلون بالتأكيد .

بوليتشوف : وإذ ذاك تقتادينها إلى الدير ، وتجعلين منهـــا راهبة ـ فهي تملك الكثير من المال .

الراهبة ميلانيا: آه ـ أنت ، أنت ، ههنا ؟ أواه يا ييجور ، لشد ما تبدو ضعيفاً ! ألا فليتغمدك الله برحمته !

بوليتشوف : أغلقي الباب ، يا جلافيرا ، واخبريهم ألا يجيئوا يبحثون ههنا . إجلسي ، يا صاحبة القداسة ! عن أي عمل سوف نتحدث الآن ؟

الراهبة ميلانيا: لم يفدك الأطباء كثيراً ، ما ؟ أنت ترى : إن الله يمنع يـــده ليوم واحد ، لسنة ، لجيل ...

بوليتشوف : لسوف نتحدث عن الله فيما بعد ـ فلنبحث في الأعمــال أولاً . أنا أعرف أنك جئت تتحدثين عن مالك .

الراهبة ميلانيا : المال ليس مالي ، لكنه يخصّ الدير .

بوليتشوف : ذلك سواء ، الدير ، الغيْر ، الطير ... فيم يقلق المال أفكارك ؟ أخائفة أنت أن أموت فيضيع عليك ؟

الراهبة ميلانيا: لا يمكن أن يضيع ، بيْدَ أني لا أريده على الوقوع في أيد غريبة .

بوليتشوف : أنت ترغبين في سحبه من الأعمال إذن ؟ ذلك سواء بالنسبة إليَّ ـ خذيه إذا كانت تلك رغبتك . لكن احذري ـ ستخسرين بذلك . فالويلات تتوالد هذه الأيام وتنمو مثل القمل المعشش في الجنود .

أما أنا فلن أموت ـ فأنا لست مريضاً كما يتصورون .

الراهبة ميلانيا: لست تدري اليوم أو الساعة التي يجيء الموت فيها ! هل كتبتَ وصيتك ؟

بوليتشوف : كلا !

الراهبة ميلانيا: لقد حان الوقت ! اكتبها. فلنفترض أن الله قد دعاك بصورة مباغتة؟

بوليتشوف : وماذا يروم مني ؟

الراهبة ميلانيا: كفَّ عن وقاحتك هذه ! ليس يعنيني الأصغاء إليها ، كما تعلم ـ وإن مركزي المقدس لا يسمح ...

بوليتشوف : آه ، تناسي ذلك ، يا مالاشا ! فنحن خبيران بما يعتلج في باطننا. تستطيعين سحب المال إذا كانت تلك بغيتك ـ فبوليتشوف يملك الكثير منه .

الراهبة ميلانيا: لست أبغي سحب رأس مالي من الأعمال ، لكني أريد السندات أن تتحول إلى اسم أكسينيا . وهذا ما دفعني للقدوم إليك .

بوليتشوف : فهمت . حسناً ، هذا هو غرضك . لكن ، إذا متُّ أنا ، فسيخدع زفونتسوف أكسينيا . وستساعده فارفارا على ذلك...

الراهبة ميلانيا: هذا ما تقول إذن ؟ ذلك أمر جديد بالنسبة إليك . وليس ثمة ضغينة في صوتك أيضاً .

بوليتشوف : كلا ، فلقد اتخذت ضغينتي اتجاهاً آخر الآن . حسناً ، فلنتحدث عن الله ، والمسيح ، والروح .

عندما تزجّي الفتوة في النهب والخطيئة ،

يسعى المرء ، في الشيخوخة ، إلى إنقاذ روحه .

الراهبة ميلانيا: حسناً إذن ، تكلّم .

بوليتشوف : خذي نفسك مثالاً ، أنت تخدمين الله ليلاً ونهاراً . مثلما جلافيرا ، مثلاً ، تخدمني ...

الراهبة ميلانيا: لا تكفر ، يا رجل ! هل فقدت صوابك ؟ كيف تخدمك جلافيرا ليلاً ؟

بوليتشوف : هل أخبرك ؟

الراهبة ميلانيا: لا تكفر ، أقول لك ! روّىء في الأمر جيداً !

بوليتشوف : لا تعوي ! فأنا أتكلم صراحة ، وأقول كلمات إنسانية ، لا صلوات رسمية . لقد أخبرت جلافيرا أنها ستطرد عما قريب ، فأنت تعتقدين إذن أن الموت سيطوي عمري سريعاً . لكن ، فيم ذاك ؟ إن فاسكا دوستيجابيف يكبرني بتسع سنين وهو أكثر اعوجاجاً مني ، لكنه يتمتع بصحة جيدة وسيعيش زمناً طويلاً بَعْدُ . وزوجته امرأة محظوظة حتى الدرجة القصوى . إنني خاطىء بكل تأكيد ، وقد غششت الناس ، و — على العموم — فأنا خاطىء على كل حال . ولكننا جميعاً نغش بعضنا بعضاً . هكذا هي الحياة ، وأنت لا تستطيعين شيئاً حيالها .

الراهبة ميلانيا: لا أمامي ولا أمام الناس يجب أن تندم وتتوب ، بل أمام الله ! الناس لن يغفروا لك ، لكن الله غفور رحيم . وأنت تعرف كيف أخطأ اللصوص في الأيام الغابرة . ولكنهم عندما كانوا يرجعون لله ما هو لله فقد كانوا يخلصون !

بوليتشوف : طبعاً ، فالمرء إذا سرق وأعطى الكنيسة شيئاً ، فلن يكون لصاً وقتذاك ، بل رجلاً شريفاً .

الراهبة ميلانيا: يجب ... و ... و ... و ... ! إذا ما زالت تكفر فلن أسمع لك ! أنت

لست أحمق ، يجب أن تفهم ـ فالشيطان لن يجربك ، إذا لم يسمح له الله بذلك .

بوليتشوف : حسناً ، شكراً على هذا .

الراهبةميلانيا: ما معنى هذا .

بوليتشوف : لقد طمأنت بالي . فالأمر إذن على هذا الغرار ـ الله يمنح الشيطان يداً حرة في إغوائنا ، وهذا يعني أن الله شريك الشيطان وشريكي في الاثم ...

الراهبة ميلانيا (تنهض) : مثل هذه الكلمات ... مثل كلماتك هذه ... لو أطلعت عليها المحترم نيكاندر ...

بوليتشوف : لمَ ، أية خطيئة فيها !

الراهبةميلانيا: أيها الهرطوقي ! يا للأفكار المنصبة في رأسك المريض ! أنت تفهم بشكل تأكيد أن الله إذا ما سمح للشيطان بتجربتك ـ فهذا يعني أن الله قد هجرك !

بوليتشوف : هجرني ، هل يفعل ؟ لكن لماذا ؟ ألأنني كنت مولعاً بالمال وما أزال مغرماً بالنساء ، ولأني تزوجت أختك الحمقاء تلك من أجل مالها ، وكنت كذلك عشيقك ! ألهذا قد هجرني ؟ . . أنتِ ، أيتها الغرابة الكبيرة الشدقين ، تقفين وتنعبين ، وليس في رأسك أثر من شعور أو إدراك !

الراهبة ميلانيا (معقوده اللسان) : لماذا فقدت عقلك، يابيجور ؟ ارحمنا يا الله ...

بوليتشوف : تصلّين ليل نهار تحت أجراس الدير ، ولمن تصلّين ـ أنت لا تملكين أوهى فكرة عن ذلك !

الراهبةميلانيا: بيجور ! أنت تخطو إلى أعماق الجحيم باستقامـــة ! إلى شدقيّ

جهنم ... في مثل هذه الأيام .. جميع الأشياء تتدهور إلى الخراب ... والعرش الملكي يهتز ويترجح تحت وقع قوى الشر... إنه يوم المسيح الدجّال ... ولربما كان يوم الدينونة قاب قوسين منا ...

بوليتشوف : اقد تذكرته الآن بالضبط ، أليس كذلك ؟ يوم الدينونة ! المجيء الثاني المسيح ! آه أنت ـ أنت ، يا غرابة ! ترفرفين ههنا وتنعبين! هيا الآن ، إليك عني ، وامضي إلى كهفك واعشقي فتيات جوقتك! وعوضاً عن المال ، ستحصلين مني على هذا ـ انظري ! (يمدلها لسانه)

الراهبة ميلانيا (مصعوقة ، وتتهاوى في مقعد قريب) : آه ، يا للنذل !

بوليتشوف : جلافيرا عاهرة زانية ، أليس كذلك ؟ وأنت ؟ ما أنت ؟ إيه ؟

الراهبة ميلانيا: كذاب ... أنت ، يا كذاب ! (تثب على قدميها .) أيها الغشّاش! لسوف تنفلق سريعاً ! أيها الحشرة !

بوليتشوف : إليك عني ! ابعدي عن درب الخطيئة !

الراهبة ميلانيا: لئيم ... شيطان ... (تخرج .)

بوليتشوف (وحيداً ، يحك جنبه الأيمن ويصيح مزمجراً) : جلافيرا ! هيه !

(تدخل كسينيا .)

كسينيا : ما الأمر ؟ أين ميلانيا ؟

بوليتشوف : لقد طارت بعيداً .

كسينيا : هل تشاجرت معها من جديد ؟

بوليتشوف : أتنوين الاقامة هنا طويلاً ؟

كسينيا : ييجور ، هلا تركت لي فرصة للتفوه بكلمة واحدة . اقدامتنعت عن الحديث معي تماماً في المدة الأخيرة ، وكأنني قطعة من الأثاث.

حسناً ، لماذا تحملق فيَّ على هذا المنوال ؟

بوليتشوف : تابعي ، تابعي حديثك !

كسينيا : ما هذا الذي يجري في هذه الدار ؟ أنهاية العالم أم ماذا ؟ لقد حوّل سلفك ذاك غرفته إلى مقصف حقيقي ، وثمة أناس يتحلّقون ويتحدثون طوال ساعات مديدة. ولقد شربوا البارحة سبع زجاجات من الخمر الأحمر ، هذا عدا الفودكا ... ويشكو البواب اسماعيل أن الشرطة لم تترك له فرصة للراحة والهدوء - تظل تستوضحه من جاء منزلنا . وهنالك هم يقبعون ويتحدثون عن القيصر ووزرائه. ويتكرر هذا في كل يوم - مقصف حقيقي. فيم تمدّ عنقك إلى العالي ؟

بوليتشوف : تابعي ، تابعي ! عندما كنت شاباً ، كنت أعشق الجلوس في مقصف ، بينما الموسيقى تصدح بأنغامها .

كسينيا : فيمَ جاءت مالاشا ؟

بوليتشوف : لست تجيدين الكذب ، يا أكسينيا ! إنك أغبى من ذلك بكثير.

كسينيا : ماذا قلت كذباً ؟ ومتى ؟

بوليتشوف : هذه اللحظة بالذات ، لقد جاءت ميلانيا إلى هنا بالاتفاق معك كي تتحدث عن مالها .

كسينيا : لم أتفق مع أحد - عما تتحدث ؟

بوليتشوف : أوه - حسناً . إخرسي ، إذن !

(يدخل دوستيجاييف وزفونتسوف والأب بافلين ، وقد بدا الاضطراب في ملامحهم .)

دوستيجاييف: هلاّ أصغيت إلى الأخبار التي حملها الأب بافلين من موسكو ، يا بيجور ...

كسينيا : ينبغي لك أن تذهب وتستلقي في فراشك ، يا بيجور !

بوليتشوف : إنني مصغٍ إليك ، أيها الأب بافلين .

الأب بافلين : في جعبتي قليل من الأخبار الطيبة تستحق أن تروى، وفي اعتقادي أن الطيب منها سيء جداً أيضاً ، لأن أحداً لم يستطع حتى الآن أن يفكر في شيء أفضل من الحياة التي كنا نعيشها قبل الحرب .

دوستيجاييف: كلا ، كلا ، آمل أن تغير الموضوع . كلا!

(زفونتسوف يهمس شيئاً في أذن حماته .)

كسينيا : أهي تبكي ؟

دوستيجاييف: من يبكي ؟

كسينيا : الراهبة .

دوستيجاييف: ما بالها ؟ ما خطبها ؟

بوليتشوف : أسرع وانظر ماذا يرعبها ويجفلها. وأنت، أيها الأب ، استرح هنا وهات ما عندك من أخبار .

(يخرج زفونتسوف وكسينيا ودوستيجاييف .)

دوستيجاييف (خارجاً) : ترى،أي حزن يمكن أن ينزل بساحة ميلانيا فيجعلها تبكي !

الأب بافلين : ثمة اضطراب عظيم يسود موسكو . حتى الذين نضجت أفكارهم يؤكدون أن القيصر يجب أن يُخلع عن العرش ، وذلك لعجزه وعدم كفايته ومقدرته .

بوليتشوف : لقد كان صادقاً طيلة السنوات العشرين المنصرمة .

الأب بافلين : إن القوة البشرية تتلاشى على كر الزمن .

بوليتشوف : يوم احتفل آل رومانوف بعيدهم الثلثمائي عام ١٩١٣ ، صافحني نيقولاس . ولقد ابتهجت الأمة بأسرها في ذلك الحين . كوستر وما

بأسرها .

الأب بافلين : نعم ، لقد حدث هذا . تلك حقيقة واقعة ... لقد ابتهج الشعب.

بوليتشوف : وماذا حدث بعدئذ ؟ لقد حصلنا على الدوما أيضاً ... كلا ، ليس هو القيصر ـ بل ثمة شيء آخر في الأساس ...

الأب بافلين : إنه الأساس حقاً ـ الحكم المطلق .

بوليتشوف : كل فرد يحفظ نفسه ـ بقوته الخاصة ... نعم ، لكن أين هي،هذه القوة ؟ ما أن حدثت الحرب ، حتى لم نجد شيئاً منها .

الأب بافلين : لقد كان الدوما مسؤولاً عن تقويض قوانا .

إيليزافيتا (على الباب) : أتعرّفه ، أيها الأب بافلين ؟

الأب بافلين : أي سؤال هذا الذي تطرحين ؟

إيليزافيتا : أين هو زوجي ؟

الأب بافلين : كان هنا .

إيليزافيتا : لكم تبدو قاسياً هذا النهار ، أيها الأب بافلين !

(تختفي .)

بوليتشوف : أبتاه ...

الأب بافلين : ماذا كنت توشك أن تقول ؟

بوليتشوف : جميعنا آباء ، الله أب ، والقيصر أب ، وأنت أب ، وأنا اب . ومع ذلك فجميعنا ضعفاء لا نملك ثمالة من قوة ، وجميعنا نحيا لنموت . لست أتحدّث عن نفسي ، وإنما أتحدث عن الحرب ، عن الميتة الكبرى . ذلك يشبه ملعب سيرك أفلت نمراً متوحشاً على الناس .

الأب بافلين : أفرخ روعك ، يا بيجور فاسيليفيتش ...

بوليتشوف : وعماذا أفرخ روعي ؟ ومن يهدىء ثائرتي ؟ كيف ؟ حسناً ، أفرخ لي روعي إذن ... يا أبتاه ! أرني قوتك !

الأب بافلين : إقرأ الكتاب المقدّس . إقرأ العهد القديم – كتاب يشوع ، فتذكره كثير الفائدة ... إن الحرب مشروعة...

بوليتشوف : دعك منها . أي صنف من الشرعية هذه ؟ ذلك تلفيق حكايات ليس غير . فأنت لا تقوى على إيقاف حركة الشمس . أنت تكذب ...

الأب بافلين : التمرد على الله خطيئة مميتة . يجب أن نرضخ بتواضع ووداعة وبقلب تائب للدينونة المفروضة علينا بسبب حياتنا الخاطئة .

بوليتشوف : وهل رضخت أنت وأذعنت لما أهانك أنكسي جو بين الشيخ ؟ كلا ، بل لقد قدمته المحكمة ، وطلبت إلى زفونتسوف أن يكون محاميك ، وقد شدّ المطران أزرك ، أليس كذلك ؟ وأنا – أمام أية محكمة أشكو علتي ودائي ؟ وأشكو اقتراب الموت مني قبل أن يحين أجلي ؟ وهل تستسلم الموت في إذعان وتواضع ؟ بوداعة وبروح هادئة ؟ إيه ؟ كلا ، بل لسوف تزجر وتزعق أيضاً .

الأب بافلين : دعوتي تمنعني عن الاصغاء إلى مثل هذا اللغو ، فمثل هذه الثرثرة . .

بوليتشوف : دع عنك هذا ، يا بافلين ! أنت إنسان . وليس قفطانك غير صباغ واقٍ – أما تحت القفطان فأنت إنسان مثلي . وبالمناسبة ، يقول الطبيب إن قلبك سيء ، فهو مصاب بالاستحالة الشحمية ...

الاب بافلين : إلى مَ يقود هـــذا الحديث ؟ فكّر ، وابتَلِ بالخوف ! لقد ثبت منذ القدم ...

بوليتشوف : ثبت ، نعم ، لكن ليس بمتانة ورسوخ على مايظهر .

الأب بافلين : لقد كان تولستوي هرطوقياً ، ولقـد حرمته الكنيسة ولعنته بسببٍ من كفره وجحوده ، فهرب من الموت إلى أعماق الغابات ، مثله مثل وحش مفترس...

(تدخل كسينيا .)

كسينيا : ييجور فاسيليفيتش ، لقد قدم موكي ، وهو يقول إن الشرطة قد اعتقلت ياكوف الليلة الفائتة ، وهكـذا هو يريد أن يعرف ...

بوليتشوف : حسناً، شكراً أيها الأب بافلين... على موعظتك ! لسوف أزعجك في وقت آخر ، على ما أعتقد . نادي باشكين إلى هنا ، يا كسينيا. واخبري جلافيرا أن باستطاعتها إحضار ثريدي . نعم، مـع الفودكا البرتقالية .

كسينيا : الفودكا محظورة عليك ... فلا يجب أن تتناولها ...

بوليتشوف : أستطيع تناول ـ كل شيء ! هيا ، اذهبي .

(تخرج كسينيا والأب بافلين . بوليتشوف يصعّد النظر فيما يحتفُّ به ، يهمهم ويدمدم .)

الأب ... بافلين ... مودلين ... يجب أن تعتاد التدخين، ياييجور. فالأمور تصبح أخف وطأة عندما يلفك الدخان ويغمرك، إن الأشياء ليست على شيء كثير من الوضوح .

(يدخل باشكين .)

بوليتشوف : حسناً ، يا موكي ؟

باشكين : كيف هي صحتك ، يايبجور فاسيليفيتش ؟

بوليتشوف : تزداد تحسُّناً على مرّ الوقت . إذن ، لقد اعتقل يا كوف ؟

باشكين : نعم ، الليلة الفائتة . يالها من فضيحة !

بوليتشوف : هل اعتقل لوحده ؟

باشكين : يقال إنهم اعتقلوا معه ساعاتياً فتيّ ؛ وكاليكوفا ، المعلمة التي كانت تدرس ألكسندرا ييجوروفنا ؛ وبيريخونوف الوقّاد ، الذي اشتهر بأنه متمرد لا يهاب . يبلغون العشرة عدداً ، حسب ما يقولون .

بوليتشوف : وجميعهم من جماعة « فليسقط القيصر » ؟

باشكين : بعضهم يبغون هذا الشيء ، وبعضهم الآخر يبغي شيئاً آخر ؛ بعضهم ضد القيصر ، وبعضهم الآخر ضد الأغنياء ويريدون العمّال أن يتسلموا دفة الدولة ...

بوليتشوف : هراء .

باشكين : من دون ريب .

بوليتشوف : لسوف يبيعون الدولة بقطرة من خمرة .

باشكين : هذا ما لا شك فيه .

بوليتشوف : نعم ... ولنفترض أنهم لم يفعلوا !

باشكين : وماذا يفعلون من غير أرباب العمل ؟

بوليتشوف : أنت على حق . لن يستطيعوا المضيّ من دونك ودون فاسكا دوستيجاييف .

باشكين : وأنت رب عمل بدورك ...

بوليتشوف : طبعاً ! هكذا أنا . وماذا كانوا يغنون ؟

باشكين (متنهداً) : « نحن نرفض العالم القديم ... »

بوليتشوف : ثم ماذا ؟

باشكين : « وننفض غباره عن أقدامنا ... »

بوليتشوف : ايرنّ وقع هذه الكلمات أشبه بالصلاة ...

باشكين : أي نوع من الصلوات هذا ؟ هم يقولون : نحن نكره القيصر ، والقصر .

بوليتشوف : آها ، هكذا ؟ هِمْ ـ م ، نعم ... يالشياطين الجحيم ! (يفكر برهة .) حسناً ، وماذا تريد ؟

(تحمل جلافيرا بعض الثريد والفودكا .)

باشكين : أنا ؟ أوه ، لا شيء .

بوليتشوف : وفيم كان مجيئك ، إذن ؟

باشكين : لأستوضح عمن أضع مكان ياكوف .

بوليتشوف : سيرجي بوتابوف .

باشكين : لقد اكتسب المفاهيم نفسها أيضاً ـ فهو لا يريد إلهاً ولا قيصراً ..

بوليتشوف : أوه ، أهو من هذا الصنف أيضاً ؟

باشكين : هل لي أن أقترح ـ موكروسوف ! فهو توّاق إلى العمل لحسابك . وهو رجل مثقف ويعرف كيف يصرّف الأعمال .

جلافيرا : لقد برد ثريدك .

بوليتشوف : شرطي ؟ لص ؟ ما عساه يبغي ؟

باشكين : لقد أضحى عمل الشرطة عملاً خطيراً ، مما جعل الكثيرين ينسحبون منها .

بوليتشوف : أصحيح هذا . خطير ؟ أليس كذلك ؟ ينسحبون منها كالجرذان ..

حسناً ، إبعث لي بوتابوف إلى هنا غداً صباحاً . تستطيع الانصراف ... جلاكا ، هل جاء عازف البوق ؟

جلافيرا : إنه قابع في المطبخ .

بوليتشوف : تستطيعين إدخاله بعدما أتناول ثريدي . لماذا يسود الهدوء الدار بأسرها ؟

جلافيرا : لأنهم ، جميعاً ، في الطابق العلوي .

بوليتشوف (يجرع قليلاً من الفودكا) : حسناً ، حسناً جداً ، لماذا تبدين مكتئبة هكذا ؟

جلافيرا : لا تشرب لا تؤذِ نفسك ، لا تمرض ! أترك كل شيء وابتعد عنهم . لسوف يلتهمونك حياً - كالديدان - لسوف يجتثون حياتك منك... فلنذهب ... إلى سيبيريا ...

بوليتشوف : نذهب ... ذلك يوجع ...

جلافيرا : سنذهب إلى سيبيريا ، وسأشتغل ... ما الذي يربطك إلى هذه البقعة ؟ ولماذا ؟ ليس من يعنى بك - بل هم ينتظرون موتك بالضبط ...

بوليتشوف : كفى ، ياجلاكا ... لا تزعجيني ... فأنا أعرف جميع هذه الأشياء ... وأرى كل شيء ... وأدري أنك ... أنت وشوركا... كل ما حصلتُ عليه من الحياة ، بينما حصل الباقون عليَّ ... إنما لربما ستتحسن حالي ... حسناً ، دعي عازف البوق يدخل .

جلافيرا : أنه ثريدك أولاً .

بوليتشوف : آه ، أخذ الشيطان هذا الثريد ! نادي شوركا إليَّ ...

(إذ يبقى بوليتشوف وحيداً ، يجرع الكأس تلو الكأس من الفودكا بشره ونهم ، يدخل عازف البوق . وهو ذو وجه مجوني شاحب ، وملامح تدعو إلى الشفقة ، وبوق ضخم موضوع في كيس معلق على كتفه .)

عازف البوق : أتمنى لسعادتك الصحة الجيدة .

بوليتشوف (مذهولاً) : كيف حالك ؟ إجاس. (يصيح) جلاكا ! أغلقي الباب ! وهكذا ، فهذا أنت ...

عازف البوق : نعم، ياصاحب السعادة .

بوليتشوف : حسناً ، أنت لا تستحق أن ينظر المرء إليك ! قل لنا ، كيف تشفي الناس ؟

عازف البوق : دوائي ، ياصاحب السعادة ، بسيط كل البساطة ، غير أن الناس قد اعتادوا إثقال أنفسهم بأدوية مستحضرة عند الصيادلة . ويأبون تصديقي ، ولذا فاني أطلب دائماً أن أقبض أجري سلفاً .

بوليتشوف : ليست تلك بالفكرة السيئة ، وربي . لكن ، هل تشفي الناس ؟

عازف البوق : لقد شفيت المئات .

بوليتشوف : يبدو أنك لم تصبح غنياً بعد ، على أية حال .

عازف البوق : ليس من يصبح غنياً بين الذين يصنعون الأعمال الحسنة.

بوليتشوف : آها ، أصغوا إليه الآن ! وما نوع المرض الذي تشفي ؟

عازف البوق : جميع الأمراض مأتاها واحد ـ هواء فاسد في البطن ، ولهذا كان دوائي يصلح للجميع ...

بوليتشوف (ضاحكاً) : مرحى ! حسناً ، والآن ، أرنا كيف يعمل

بوقك هذا ...

عازف البوق : أنستطيع أن تدفع روبلاً ؟

بوليتشوف : روبل ؟ لأجرؤ على القول إنه يمكنني العثور على واحد. جلاكا، أتحملين روبلاً ؟ إليك . ذلك رخيص .

عازف البوق : هذا للبداية فقط . (يفك الكيس ويستخرج منه بوقاً نحاسياً .)

(تدخل شورا راكضة .)

بوليتشوف : أنظري إلى هذه الآلة ، ياشوركا ـ ماريك فيها دواء شافياً ؟ حسناً ، هلا نفخت فيها ، ياهذا .

(ينظّف العازف حلقومه ، وينفخ نفخة ـ غير قوية ولا عالية ، ثم يسعل .)

بوليتشوف . أهذا كل شيء ؟

عازف البوق : أربع مرات في اليوم لمدة خمس دقائق ـ ويتم كل شيء ؟

بوليتشوف : وينفجر العليل شظايا متناثرة ؟ ـ وتنسلّ أنت ؟

عازف البوق : أبداً ! لقد شفيت المئات .

بوليتشوف : هيا ، تابع . حسناً ، قل لي الآن الحقيقة : ماذا تحسب نفسك ، غبياً أم محتالاً ؟

عازف البوق (يتنهد) : إذن ، أنت الآخر ترفض تصديقي ، مثلك مثل الجميع .

بوليتشوف (ضاحكاً) : لا تبعد البوق عنك بعد . أخبرني صراحة ، أأنت غبي أم محتال ؟ سأعطيك مالاً .

شورا : لا تغظه ، يا أبتاه !

بوليتشوف : لن أغيظه ، ياشوركا . ما اسمك ، أيها الطبيب ؟

عازف البوق : جبرائيل يوفيگوف ..

بوليتشوف : جبرائيل ؟ (يضحك ملء شدقيه .) أوه ، امن الله هذا كله !..
أأنت واثق من أنه جبرائيل ؟

عازف البوق : إنه اسم عادي ... لم يدهش أحداً من قبل أبداً .

بوليتشوف : حسناً ... من أنت : أأحمق أم مكّار ؟

عازف البوق : أتمنحني ستة عشر روبلاً ؟

بوليتشوف : جلاكا – هاتي المال إليّ ! إنه في غرفة النوم ... لمَ ستة عشر ، ياجبرائيل ؟

عازف البوق : لقد أخطأت ! كان يجب أن أطلب أكثر من ذلك .

بوليتشوف : إذن ، فأنت أبله ؟

عازف البوق : كلا لست بأحمق .

بوليتشوف : محتال إذن ؟

عازف البوق : ولست بمحتال أيضاً . أنت تعرف من تلقاء نفسك – لايستطيع المرء أن يعيش من دون أن يخدع الناس .

بوليتشوف : هذا صحيح ! ذلك ليس على شيء كثير من الروعة ، ياعزيزي .
ولكنه صحيح .

شورا : ولكن ، أليس خداع الناس مخجلاً ؟

عازف البوق : وما يدعوني إلى الخجل ، إذا كانوا يؤمنون به ؟

بوليتشوف (مهتاجاً) : وهذا صحيح ، أيضاً ! أتفهمين ، ياشوركا ؟ إنه على حق بكل معنى الكلمة ! إن ذلك الأب بافلين لن يعترف بهذا أبداً .
فهو لا يجسر !

عازف البوق : يجب أن تنفحني بمبلغ زائد لأنني أخبرتك بالحقيقة . وإن بوقي ،

وشرفي ، قد أفاد بعض الناس .

بوليتشوف : هذا صحيح - أعطيه خمسة وعشرين روبلاً ، ياجلاكا . أعطيه أكثر . أعطيه المبلغ كله (تعطيه جلافيرا المبلغ كله .)

عازف البوق : شكراً جزيلاً . . لعلك تريد تجربة البوق ؟ الشيطان وحده يعرف كيف يبوق ، ولكنه يبوق !

بوليتشوف : كلا ، شكراً . إيه ، جبرائيل ، جبرائيـــــل ! (يضحك .) والآن ، فلنر ، أرني كيف يشتغل ... تعال ، انفخ فيه ! أعلى !

(عازف البوق ينفخ بشدة نغماً أصم . جلافـــيرا ترنو إلى بوليتشوف بفزع . وشورا تضع إصبعها في أذنيهـا وتضحك .)

بوليتشوف : أنفخ بكل ما فيك من قوة !

(يهرع الزوجان دوستيجاييف والزوجان زفونتسوف وباشكين وكسينيا إلى الغرفة .)

فارفارا : ما هذا ، يا أبتاه ؟

كسينيا : ييجور ، ما هذا الذي تخترع الآن أيضاً ؟

زفونتسوف (إلى عازف البوق) : أأنت سكران ؟

بوليتشوف : لا تلمسوه ! لا تتجاسروا ! هذا صحيح. هلا حطمت طبلة آذانهم، ياجبرائيل ؟ هذا هو جبرائيل رئيس الملائكة ينفخ في البوق معلناً نهاية العالم !

كسينيا : آ .. آه ! لقد جن !

باشكين (إلى زفونتسوفا) : أنت ترين بنفسك !

شورا : أتسمع ، يا أبتاه ؟ يقولون إنك جننت ! هيا ، أيها العازف في البوق ، هيا !

بوليتشوف : كلا ، لا تذهب . أنفخ ، ياجبرائيل ، أنفخ ! إنه يوم القصاص ! نهاية العالم ! أنفخ في بوقك ، أنفخ ـ خ ـ خ !

(يستمر العزف بينما الستارة تسدل .)

(ستار)



الفَصلُ الثّالِثُ

(غرفة الطعام . جميع ما في الغرفة يبدو وكأنه قد نقل من موضعه الأصلي . الطاولة لم تنظف ؛ فهي مفروشة بالصحون القذرة، والفتات ، والزجاجات . السماور ينتصب في إحدى زواياها . وفي زاوية الغرفة عدة مشاجب . تاييسيا ، وهي راهبة صبية ، في قلنسوة طويلة مدببة ، تفتح إحدى الرزم . جلافيرا تتوانى بالقرب منها حاملة صينيـة في يدها . الغرفة منارة بقنـديل يتدلى فوق الطاولة .)

جلافيرا : أجاءت الأم ميلانيا للاقامة طويلاً ههنا ؟

تاييسيا : لست أدري .

جلافيرا : لمَ لمْ تنزل في ضيافة الكنيسة ؟

تاييسيا : لست أدري .

جلافيرا : كم لك من العمر ؟

تاييسيا : تسع عشرة سنة .

(يظهر زفونتسوف على السلم .)

جلافيرا : وأنت لا تعرفين شيئاً ؟... ماذا دهاك ؟. أهمجية أنت ، أم ماذا ؟

تاييسيا : محظور علينا الحديث مع العلمانيين .

زفونتسوف : هل شربت الراهبة شايها ؟

جلافيرا : كلا .

زفونتسوف : إذن يفضل أن تسخني السماور ، في حال . .

(تحمل جلافيرا السماور وتخرج .)

زفونتسوف : هل أرعبك الجنود ، هنالك قرب الدير ؟

تاييسيا : نعم .

زفونتسوف : وماذا فعلوا حتى أخافوك ؟

تاييسيا : لقد قتلوا بقرة ، وهددوا بحرق الدير . اعذرني . (تخرج حاملة حزمة من الأنسجة البيضاء بين يديها .)

فارفارا (من الصالة) : يا للطين والوحل ! أكنت تثرثر مع المبتدئة ؟

زفونتسوف : هل تعرفين ، لما يضايق الاحتفاظ براهبة في دارنا ...

فارفارا : لم تصبح الدار ملكنا بعد ... وماذا عن تياتين ؟ هل وافق ؟

زفونتسوف : تياتين حمار ، أو أنه يدعي الشرف .

فارفارا : انتظر ... يلوح أن والدي ينادي ..

(تصغي على باب غرفة والدها .)

زفونتسوف : رغم أن الأطباء يقولون إن والدك سليم العقل ، ولكن بعد ذلك المشهد الأخرق الجنوني مع عازف البوق ...

فارفارا : لقد أثار مشاهد كثيرة أسوأ من هذا المشهد في زمانه . ليبدو أن

ألكسندرا وتياتين على أتمّ وفاق مع بعضها .

زفونتسوف : نعم ، إلا أني لا أرى شيئاً حسناً في هذا . إن شقيقتك الصغيرة تلك لخبيثة نوعاً ما ... وليتوقّع المرء ـ حسناً ـ شيئاً من المتاعب الجدية قد تسببها .

فارفارا : لمن المؤسف أنك لم تفكر في شيء من هذا يوم كانت تغازلك . بل كنت تجدها شيئاً باعثاً على السرور ، فيما يبدو .

زفونتسوف : لقد كانت تغازلني لتغيظك فقط .

فارفارا : وهل أنت آسف ؟ ها قد جاء بافلين ، يدسّ أنفه من جديد . هذي ستصبح عادة متسلطة عليه .

زفونتسوف : ثمة فضلة من الأكليروس هنا ، على ما أعتقد .

(تدخل إيليزافيتا والأب بافلين يتجادلان ، يتبعهما موكي باشكين .)

الأب بافلين : الأوراق محفوظة كما عهدتها . مساء الخير .

إيليزافيتا : وأنا أقول لك إن ذلك غير صحيح .

الأب بافلين : لقد ثبت بصورة لا تقبل الشك : لقد تنازل القيصر عن العرش، ليس بارادته ، بل تحت ضغط القوة والاكراه ، وقد اعتقلته على طريق بيتروجراد جماعة من أعضاء الحزب الديمقراطي الدستوري ... هم ، نعم !

زفونتسوف : وأية نتائج نستخرج من وراء هذا ؟

إيليزافيتا : الأب بافلين ضدّ الثورة ، وهو يريد من صميم قلبه أن تستمر الحرب. أما أنا فاني ضدّ الحرب . وأنا أريد الذهاب إلى باريس ... كفانا قتالاً . ألا توافقينني ، يا فاريا ؟ أنتِ تذكرين ما قال هنري الرابع مرة : باريس أفضل من الحرب . نعم ، أعرف أنه لم يقل هـذا بالضبط ، ولكن تلك كانت خطيئته .

الاب بافلين : لست أصرّ على شيء ، لأن كل شيء مزعزع مقلقل .

فارفارا : نحن في حاجة إلى السلام ، أيها الأب بافلين ـ الـ‌ـلام ! أفلا ترى كيف يتصرّف الرعاع ؟

الأب بافلين : آه نعم ، إني أرى ! حسناً ، كيف صحة مريضنا ؟ وكيف حاله هنا ؟ (يضغط باصبعه على جبهته .)

زفونتسوف : لم يجد الأطباء أية علامات للاختلال .

الأب بافلين : حسناً ، يسرني أن أسمع هذا . وإن كان الأطباء ، على العموم ، يخطئون دائماً إلا عندما يقبضون أجورهم .

إيليزافيتا : ما أخبث ذلك منك ! فاريا ، لقد عزمتنا جين على العشاء .

باشكين : لقد أطلق سراح المساجين ، وأوقعوا الشرطة في مأزق حرج .

الأب بافلين : نعم ، هذا ما كان . يا للقصة المدهشة ! أية حسنات تتوقع من هذه الأحداث ، يا أندريه بيتروفيتش ، إيه ؟

زفونتسوف : إن القوى الاجتماعية تتطور باستمرار ، وسوف تقول كلمتها عما قريب . وأنا أعني بالقوى الاجتماعية قوماً يملكون مصالح اقتصادية معينة..

فارفارا : إسمع ، لقد دعتنا جين على العشاء . (تقوده جانباً وتهمس في أذنه .)

زفونتسوف : أصغي لي ، ذلك مُحْرِجٌ نوعاً ما بالنسبة إليّ . راهبة من جهة ، ولعوب من جهة أخرى .

فارفارا : هُسْ ـ سْ ، من فضلك !

باشكين : أندريه بيتروفيتش ـ لقد جاء موكروسوف ـ أنت تعرف ـ فهو مفتش الشرطة .

زفونتسوف : نعم ؟ ماذا يريد ؟

باشكين : لقد تخلّى عن وظيفته لأنها أمست خطرة جداً ، وهو راغب في العمل لحسابنا ، في الغابات .

زفونتسوف : وهل سيوافقنا ذلك ؟

فارفارا : انتظر ، يا أندريه ...

باشكين : يوافقنا تماماً . إن لابتيف سيبدأ الآن يدسّ أنفه في كلّ شيء خالقاً المصاعب والمتاعب .أما دونات ، كما تعلم ـ فهو فتىً غير ملائم ومنشقٌ بالاضافة ، وإن كان لايبرح يبربر عن قانون الحقيقة ، وأية حقيقة يستطيع المرء أن يتوقع عندما ... حسناً ، اتستطيع فهم ذلك بنفسك !

زفونتسوف : آه ، هذا هراء كلُّه . إنها الحقيقة التي بدأت تنتصر ما نشاهد اليوم بأمّ أعيننا ..

فارفارا : أوه ، أنتظر يا أندرية ، أفلا تستطيع ؟

زفونتسوف : والعدالة أيضاً .

فارفارا : ماذا تريد ، يا موكي ؟

باشكين : أريد أن أوظف موكروسوف . ولقد اقترحت ذلك على ييجور فاسيليفيتش .

فارفارا : وماذا قال ؟ (يعبس زفونتسوف ويغادر الغرفة .)

باشكين : لم يقل شيئاً نهائياً ، باتاً .

فارفارا : إقبَلْ موكروسوف إذن .

باشكين : لربما تودين إلقاء نظرة ما على سحنته ؟

فارفارا : لماذا ؟

باشكين : أوه ، لتتعرّفي إليه فقط . فهو ... هنا .

فارفارا : حسناً ، نادِهِ إذن .

(يخرج باشكين إلى الصالة . فارفارا تخطّ شيئاً في مذكرتها . يعود باشكين يصحبه موكروسوف ، وهذا الأخير رجل قميء مدوّر الوجه ، ذو حاجبين مرتفعين بتقطيبة دهشة وشده على الدوام ، ورغم أن ابتسامة صغيرة تتجوّل على شفتيه ، إلا أنه يبدو وكأنه يتهيأ لقذف شتيمة قاسية . إنه يرتدي بزّة عسكرية ، يتدلى مسدس على وركه يفرقع بحذائيه ، وينتصب في وضع تهيؤ واستعداد .)

موكروسوف: اسمحي لي بتقديم نفسي ـ موكروسوف ـ في خدمتك . لشدّ ما أنا مغتبط للحصول على هذا الشرف .

فارفارا : مغتبط ، أنا على ثقة من ذلك . وهكذا فأنت في بزّتك الرسمية ؟ لقد سمعت أن الشرطة ينزع سلاحها .

موكروسوف: هذا صحيح . لمن الخطر علينا أن نظهر في الشوارع مرتدين بزّاتنا الرسمية في هذه الأيام ، ولذا أرتدي معطفاً عادياً ، رغم أني متسلّح . أما الآن ، باعتبار أن آمالاً واهية الأسس قد شاعت ، فقد هدأ الرعاع واستكانوا ـ ولذا فأنا لا أحمل سيفي .

فارفارا : ومتى تتوقّع أن تبدأ العمل لحسابنا ؟

موكروسوف: لقد كنت منذ زمن بعيد خادمكم المطيع بالفكر ، إن لم يكن بالعمل . وأنا على استعداد الانطلاق غداً إلى الغابات إذا شئتِ . فأنا أعزب ، و ...

فارفارا : وهل تظن أنه سيدوم طويلاً ، هذا العصيان ؟

موكروسوف: طوال الصيف ، على ما أعتقد . وإذ ذاك يتدخل الجليد والمطر ، فيمسي التلكؤ في الشوارع أمراً غير مستحب البتة .

فارفارا (متبسّمة) : طوال الصيف فقط ؟ الثورة لا تعتمد على الطقس ، أليس كذلك ؟

موكروسوف: لكن - اغفري لي - بل هي تعتمد عليه بكل تأكيد ! فللشتاء تأثير مبرِّد .

فارفارا (ما تزال تبتسم) : لمتفائل أنت .

موكروسوف: الشرطي متفائل دائماً ، كقاعدة أساسية .

فارفارا : آه ، حقاً ؟

موكروسوف: من دون ريب . ذلك أن الشرطة تعي قوتها .

فارفارا : هل خدمتَ في الجيش ؟

موكروسوف: نعم ، لقد فعلت . في فرقة بوزولوك الاحتياطية . لقد كنت ملازماً ثانياً .

فارفارا (تمدّ يدها) : حسناً ، الوداع ، وحظاً طيباً .

موكروسوف (يقبل يدها) : إني شاكر لك جزيل الشكر .

(يخرج من الغرفة مقرقعاً بقدميه .)

فارفارا (إلى باشكين) : يبدو أنه أحمق ، أليس كذلك ؟

باشكين : ليس في هذا شيء من الأذية . أنظري إلى الناس الأذكياء ، إذا أعطيتهم فرصة طيبة ، فسوف يقلبون وجه العالم ... تماماً كما يفعلون بجيبك .

الأب بافلين (إلى باشكين وإيليزافيتا) : لمن المؤكد أنه يجب أن يُمنح الاكليروس الحقّ المطلق في الوعظ والتبشير بحرية تامة ، وإلا لم ينتج شيء من ذلك .

(تدخل جلافيرا وشورا ، بعضد أن يجور بوليتشوف. تسود السكينة الغرفة . الجميع يراقبونه . أما هو فيعبس .)

بوليتشوف : حسناً ؟ لماذا خرستم جميعاً على حين فجأة ؟ لقد كنتم توعوعون وتجمجمون ...

الأب بافلين : لقد بغتنا بالمشهد غير المتوقع لـ ..

بوليتشوف : أي مشهد ؟

الأب بافلين : مشهد رؤية رجل مُقاد ..

بوليتشوف : مُقاد ؟ عندما تتضعضع ساقا الانسان ، فيجب أن يُقاد إذن ، أليس كذلك ؟ مُقاد ، بالطبع ! .. هل أُفرج عن ياشكا لابتيف، يا موكي ؟

باشكين : نعم ، لقد أُفرج عن جميع المساجين .

زفونتسوف : يعني المساجين السياسيين .

بوليتشوف : إذن ، فقد أضحى لابتيف حراً ، بينما أمسى القيصر سجيناً ؟ ما قولك في هذا ، أيها الأب بافلين ، إيه ؟

الأب بافلين : لست خبيراً في هذه القضايا ، لكن يُستحسن ، في رأيي المتواضع، أن نتأكد تماماً ماذا ينوي هؤلاء الرجال أن يقولوا ويفعلوا ..

بوليتشوف : سيختارون قيصراً جديداً بالطبع . سوف تمسكون بخناق بعضكم بعضاً إن لم يكن ثمة قيصر ..

الأب بافلين : يبدو وجهك منتعشاً اليوم ؛ فمن الواضح أنك تستعيد صحتك وقواك ؟

بوليتشوف : هذا صحيح ، فأنا أستعيدها .. أنتما ، أيها الزوجان ؛ وأنت ، يا موكي ، دعوني وحيداً مع بافلين للحظة قصيرة . لا تذهبي ، يا

شورُكا . (باشمكين يخرج إلى الصالة . آل زفونتسوف ودوستيجاييف يصعدون إلى الطابق العلوي . بُعَيْدَ لحظة أو لحظتين تهبط فارفارا حتى نصف السلّم وترهف أذنيها .)

شورا : اضطجع ، يا أبتاه .

بوليتشوف : لا أريد . حسناً ، أيها الأب بافلين ، لقد جئتني في شأن ناقوس الكنيسة على ما أعتقد ؟

الأب بافلين : كلا . لقد جئت على أمل أن أراك في حالٍ جيدة . وها إنني لم أك مخطئاً . لكنني ، وأنا أتذكر عطاياك السخية الوافرة في الماضي ، غيّوراً على جمال البلدة وهيكلها ..

بوليتشوف : أنت لاتصلي من أجلي كما يجب . وأنت ترى ـ فحالي تزداد سوءاً. ولست أشعر رغبةً تحدوني إلى دفع المزيد من المال لله . ولماذا أدفع ، على أية حال ؟ لقد دفعت الكثير ، فماذا ربحتُ من ذلك ؟

الأب بافلين : إن هباتك وعطاياك ...

بوليتشوف : مهلاً ! أريد أن أطرح عليك سؤالاً : أفلا يجب أن يخجل الله من نفسه ؟ ولِمَ هو يرسل الموت ؟

شورا : آه ، لا تتحدث عن الموت ، أرجوك !

بوليتشوف : صهْ ، لا تتكلمي أنت ! بل اصغي فقط . فأنا لا أتحدث عن نفسي .

الأب بافلين : ينبغي أن لا تقلق نفسك بمثل هذه الأفكار . وما أهمية الموت عندما تكون الروح خالدة ؟

بوليتشوف : لِمْ هي ، إذن ، محشورة في قطعةٍ من لحمٍ وسخ ؟

الأب بافلين : إن الكنيسة لا تعتبر هذه الأمور عبثاً لا جدوى منها فحسب ...

ولكن ... إذا . (تضغط فارفارا . وهي قابعـــة على السلّم ، منديلها على شفتيها لتمنع نفسها عن الضحك .)

بوليتشوف : لاتتلعثم ! قل لنا بصراحة . شورا ، أتذكرين عازف البوق ، ماء؟

الأب بافلين : في حضور ألكسندرا ييجوروفنا ...

بوليتشوف : آه ، لا تهتمَّ بهذا . إذا كانت تريد أن تعيش ، فيجب أن تعرف كل شيء. لقد عشتُ زمناً مديداً رائعاً ، وها أنا ذا أسألك الآن : لماذا تعيش ؟

الأب بافلين : إنني أخدم الكنيسة ...

بوليتشوف : أعرف هذا ، أعرف أنك تخـــدم الكنيسة ... لكنك ستموت عاجلاً أو آجلا ، أليس كذلك ؟ فماذا يعني هذا ؟ ما هو ـ موتنا هذا ، يا بافلين ؟

الأب بافلين : أسئلتك غير منطقية ولا مُجدية . واغفرلي ـ إذ يجب ألاّ تفكر في أشياء أرضيّة في مثل هذا الوقت ...

شورا : كيف تجرؤ أن تقول هذا ؟

بوليتشوف : لقد جئت من الأرض ـ وإني أرضي بكل ذرة من ذراتي .

الأب بافلين (ينهض) : ليست الأرض سوى غبار ورماد ...

بوليتشوف : غبار ورماد ! إذن فأنت . إذن فأنت نفسك يجب أن تفهم أن الأرض ليست سوى غبار ورماد . غبار ورماد ـ ومع ذلك فأنت تلبس قفطاناً من الحرير . غبـــار ورماد ـ وصليب من الذهب ! غبار ورماد ـ ومع ذلك فأنت شَرِهٌ نَهِمٌ أكول ..

الأب بافلين : أنت تقترف خطايا دنسة في حضور هذه الفتاة ...

بوليتشوف : الفتاة ، الفتاة ـ من جعلها .. (فارفارا تصعد السلّم بسرعة .)

إنهم يجرّون الحمقى أشباهك مثلما يجرون الكلاب لملاحقة الأرانب البرية ... لقد أصبحت غنياً على حساب المسيح الفقير .

الأب بافلين : إن مرضك يفقدك وعيك وإحساسك ، ويجعلك غضبان ، فتهدر كالدب المتوحش ...

بوليتشوف : إذن ، فأنت ذاهب ، ما ؟ آها ...

(الأب بافلين يخرج .)

شورا : ينبغي ألا تثير أعصابك ، يا أبتاه . فذلك يزيد صحتك سوءاً . ما عظم اضطرابك !

بوليتشوف : لا تراعي ! لم أفعل شيئاً آسف عليه ! آه ، لا أستطيع أن أطيق هذا الكاهن ! احفظي عينيك وأذنيك مفتوحة . فأنا أفعل هذا عن قصد .

شورا : لقد خمّنت ذلك من نفسي ... فلست طفلة ... أو غبية حمقاء !

(يظهر زفونتسوف على السلّم .)

بوليتشوف : لقد قرروا أني مجنون ، بعد حفلة عازف البوق تلك ، لكنّ الأطباء قد كذبوهم ! أتصدقين الأطباء ، يا شورا ، إيه ؟

شورا : أنا أصدقك أنت ... وأنت وحدك ...

بوليتشوف : يالك فتاة طيبة ! لا تخافي ، فعقلي في أحسن حال . والأطباء يعرفون ذلك . وإن ذلك لصحيح ، فقد اصطدمت بشيء قاسٍ . ولكن كل إنسان يريد أن يعرف معنى الموت ... أو الحياة ، مثلاً ! أرأيتِ ؟

شورا : لا أعتقد أنك شديد المرض حقاً . يجب أن تغادر الدار . إن جلافيرا على حقّ . يجب أن تتداوى بصورة جدية . ويجب ألا تصغي

لانسان .

بوايتشوف : إنني أصغي للجميع . ولسوف أجرّب الآن الساحرة الطبيبة . ماذا لو أفادتني ؟ لقد كانت هنا منذ زمن . فالألم يقرضني ... مثل...لهفة مخوف!

شورا : كفى ! يا الله ! آه ، لا ، يا عزيزي ، يا أبي العزيز ! اضطجع ، هيا ...

بوايتشوف : تزداد الأمور سوءاً عندما أضطجع . هذا يعني الاستسلام ، كما هي الحال في حفلات الملاكمة . وأنا ، أنا أريد أن أتحدث . ينبغي أن أروي لك شيئاً . أنت تفهمين ـ ذلك كما يأتي ـ أنني أعيش في الشارع المغلوط ! لقد سقطتُ بين مجموعة متباينة من الغرباء ... ثلاثون سنة مرَّت عليَّ ، وأنا بين الغرباء . ولست أريد أن يحدث لك مثل هذا الأمر ! كان والدي يصنع عوامات . وأنا ـ أنظري إليَّ ... لست أستطيع تفسير ذلك لك .

شورا : لا تتسرَّع ، تكلَّم بهدوء ... تكلَّم مثلما اعتدت أن تروي لي الأقاصيص .

بوايتشوف : تلك لم تكن أقاصيص ـ لم أكن أروي لك دائماً سوى الحقيقة الناصعة . أفلا ترين ... هؤلاء الكهّان والقياصرة والحكومات... ماذا أريد منهم بحق الشيطان ؟ لست أومن بالله . وكيف يمكن أن يوجد الله ؟ أنت ترين بنفسك ... وليس ثمة أناس طيبون أيضاً . هم نادرون مثل ... مثل العملة المزوَّرة ! وأنت ترين الناس ومن يُشبهون . لقد رموا بأنفسهم الآن في مأزق بهذه الحرب اللعينة ـ لقد أمسوا مجانين ! لكن ، مالي ولهم ؟ وماذا يريد

يجور بوليتشوف منهم ؟ وأنت ... أنت ، كيف ستعيشين وإياهم الآن ؟

شورا : لا تقلق بسببي ...

كسينيا(تدخل في هذه اللحظة): لقد قدمت تونيا وشقيقها لرؤيتك ، يالكسندرا ، يصحبها ذالك الفتى ...

شورا : فلينتظروا .

كسينيا : هيا أسرعي إليهم . فينبغي لي أن أتحدث مع والدك .

بوليتشوف : وهل ينبغي لي ذلك ، أنا الآخر ؟

شورا : إنتبهي ألا يتكلم كثيراً إذن ...

كسينيا : تعلميني ! ياللفكرة ! يايجور فاسيليفيتش، لقد جاءت زوبونوفا...

بوليتشوف : شوركا ، هلاّ دعوت ضيوفك إلى هنا بعد قليل ، إذا سمحت ؟ (شورا تخرج .) حسناً ، نادي زوبونوفا هذه !

كسينيا : لحظة واحدة فقط ، ينبغي أن أحيطك علماً بأن لكسندرا توطد صداقتها مع ابن عم أندريه ، ذلك الفتى الذي لا يصلح لشيء على الاطلاق . وتستطيع التأكد بنفسك من أنه لا يصلح لها . لقد أدخلنا إلى بيتنا شحاداً مرة ، فانظر الآن كيف يصدر أوامره إلى الجميع على حد سواء .

بوليتشوف : أتدرين ، يا أكسينيا ، أنت تشهبين حلماً سيئاً ـ إنك كذلك حقاً !

كسينيا : هيا . أهنّي إذا شئت ؟ إنما ينبغي لك أن تمنعها من الاستمرار في صداقة تياتين ذلك .

بوليتشوف : أثمة شيء آخر ؟

كسينيا : ميلانا باقيةٌ هنا ...

بوليتشوف : ولِمَه؟

كسينيا : لقد وقعت في بعض المتاعب . لقد هاجم الفارون من الخدمة العسكرية الدير ، وقتلوا بقرة ، وسرقوا فأسين ، ورفشاً ، ولفة حبل ... لمن الواضح أن المصاعب ستتتالى ! وحتى دونات ، ذلك الذي يقوم بحراسة الغابات لنا ، إنه يؤوي بعض الشخصيات المريبة . وهم يعيشون في ثكنة قذرة ...

بوليتشوف : يبدو أنه عندما يكون امرؤ محبباً إليّ ، فهو إذن مقيت في أعين الآخرين جميعاً .

كسينيا : يتوجّب عليك أن تتصالح معها ...

بوليتشوف : مع ميلانيا ؟ ولماذا ؟

كسينيا : كيف ، بالطبع يجب أن تفعل ... فصحتك كما تعلم ...

بوليتشوف : حسناً ... سوف أفعل إذن ... وسأقول لها : « واغفر لنا ما علينا » ...

كسينيا : كن لطيفاً معها ... (تخرج .)

بوليتشوف (يهمهم) : « واغفر لنا ما علينا ، كما نغفر نحن لمن لنا عليه » . كذب وخداع ... يا للشياطين ... (تدخل فارفارا .)

فارفارا : لقد سمعت أمي تحدثك عن ستيبان تياتين ، يا أبتاه ...

بوليتشوف : نعم ... أنت تسمعين كل شيء ، وتعرفين كل شيء ...

فارفارا : إن تياتين شاب عصري ، وهو لن يطلب مهراً كبيراً من لكسندرا ، وهو يصلح لها كثيراً .

بوليتشوف : اسمعي ، أفلست ...

فارفارا : لقد راقبته ملياً ..

بوليتشوف : ومن هو حتى تعني به هذه العناية كلها ؟ آه ، ياللفُراسة !

(تدخل الراهبة ميلانيا وكسينيا ، يتبعها تاييسا ، التي تتوقف عند العتبة .)

بوليتشوف : حسناً ، يا مالاشا ، فلنتصالح ، ما رأيك ؟

الراهبةميلانيا: هذا حسن . يالك من مشاغب حقيقي ! تُهين الجميع من دون سبب أو مبرر ...

بوليتشوف : « واغفر لنا ما علينا » ... مالاشا !

ميلانيا : لسنا نتناقش في ما علينا وما لنا . وكفى معاكسة وأذية من جانبك ! أنظر إلى ما يجري في العالم ويدور ! فهذا القيصر – ظلّ المسيح – قد أسقط عن عرشه . أتدري ما معنى هذا ؟ هذا يعني أن الله قد أغرق أتباعه في الظلمة والخزي ؛ أنهم أمسوا مجانين حمقى ، وهم يحفرون الأخاديد والحفر تحت أقدامهم ذاتها . فالأوباش ثائرون . وقد صاحت النساء الفلاحات في كوبوسوفو في وجهي أنهنّ ، بكل تأكيد ، الشعب المواطن : « أزواجنا ، الجنود ، هم الشعب ! » هل يعجبك هذا ؟ وهل سمعت يوماً أن الجنود يُنظر إليهم على أنهم الشعب ؟

كسينيا : هذا ما كان ياكوف لابتيف يقوله دائماً ...

ميلانيا : لقد جُرّد محافظ المقاطعة من قوته ، وحلّ مكانه أوسمولوفسكي ، كاتب العدل .

بوليتشوف : هذه معدة سمينة أخرى .

ميلانيا : لقد قال المطران نيكاندر نهار البارحة : « نحن على عتبة حوادث

مشؤومة فاجعة . أفيمكن أن تتولى السلطة الزمنية الحكم ؟ لقد كانت الشعوب ، منذ عهد التوراة ، محكومة باليد المسلّحة بالسيف والصليب ... » .

فارفارا : لم يكونوا يعبدون الصليب زمن التوراة .

ميلانيا : أمسكي لسانك ، أنت أيتها الآنسة الذكية ... إن العهد الجديد والعهد القديم مرتبطان برباط واحد ، أليس كذلك ؟ والصليب هو السيف ! وهكذا تتضح الأمور ! فالمطران يعرف، كما أرجو ، أكثر مما تعرفين متى وماذا كان محترماً . أنتم جماعة طموح ، تفرحون لسقوط القيصر عن العرش. حذار من أن يتحول فرحكم إلى دموع مرّة لاذعة . لأودّ التحدث وإياك حديثاً خاصاً . يابيجوروشكا ...

بوليتشوف : أفلن نعود إلى البلاهة والغباء من جديد ؟ حسناً ، نستطيع أن نثرثر قليلاً ، إنما فيما بعد . فالمرأة الشافية آتية الآن ، وأنا أريد أن تتحسن حالي ، يا مالاشا .

ميلانيا : إن زوبونوفا شافيــة مشهورة . فالأطباء ، في هــذه الأيام ، يكادون يعادلونها ذكاءً . وينبغي لك ، بعد ذلك ، التحدث مع بروكوفي المبجّل ...

بوليتشوف : ماذا ، ذلك الذي يناديه الصبية الصغار برربوتي ؟ تعتهم يقولون إنه خبيث مخادع .

ميلانيا : الآن ، الآن ، هذا يكفي ! كيف تجرؤ على التفوّه بمثل هــذا الكلام ؟ يجب أن تستقبله هنا ...

بوليتشوف : حسناً ، فليأتِ بروكوفي أيضاً . فأنا أشعر ببعض التحسُّن هذا

النهار ، ما عدا ساقيّ ... عندما يزداد السرور ، يهرب الحزن .
كل شيء يبدو في عينيّ باعثاً على السخرية ... أدخلي الساحرة
الطبيبة ، يا أكسينيا .

(كسينيا تخرج .)

ميلانيا : آه ، ييجوري ، ثمة أشياء عديدة ... لما تبرح في باطنك !

بوليتشوف : هذه هي القضية ... أشياء لا حصر لها ...

كسينيا (تعود) : تقول إنه يجب أن يغادر الجميع الغرفة .

ميلانيا : حسناً ، فلنخرج إذن .

(الجميع يغادرون الغرفة . يجلس بوليتشوف وهو يقهقه ، ضارباً
على صدره وخاصرته . تدخل زوبونوفا . تلوي فمها ـ ليس بصورة
بينة كثيراً وإنما بشكل كافٍ كي يلحظه المرء ـ وتنفخ جهة
اليمين ، ويدها اليمنى ضاغطة على قلبها ، بينما تخفق بيدها اليسرى
مثل زِعنِفَةِ السمكة . ومن ثم تنتصب جامدة ، وتمرّر يدها
اليمنى على وجهها .)

بوليتشوف : ماذا تفعلين ـ أتصلين للشياطين ؟

زوبونوفا (في نغمة غنائية) : إيه ، أيتها الخلق الشرير ، وأنت أيتها الأمراض
الجسدية ! ألا اخرجي ، ألا اخرجي ودعي خادم الله في سلام!
منذ هذا اليوم ومنذ هذه الساعة ، أطردك بكلماتي القاسية إلى
أبد الآبدين . نعمت مساء ، يا صاحب السعادة المقـــدسة ،
المدعو ييجوري !

بوليتشوف : أسعدتِ مساء ، ياعمتي ... أكنت تطردين الشياطين ؟

زوبونوفا : يا إلهي ، كلا ـ كيف يمكن الانسان أن يكون ذا علاقة بهم ؟

بوليتشوف : تستطيعين ذلك إذا أردت ذلك. فالكهنة يصلّون إلى الله، ولكنك لستِ من الكهنة، ولذا يجب أن تصلّي للشياطين.

زوبونوفا : آه، ما هذه الكلمات المخوفة التي تنطق بها؟ إن الناس الخبثاء وحدهم يقولون إني أتعامل مع الشرير ...

بوليتشوف : وإذا لم تكن لك به علاقة، فلن تستطيعي شفاء لي إذن، ياعمتي. لقد صلى الكهنة إلى الله من أجلي، وقد رفض الله أن يمدّ لي يد العون.

زوبونوفا : لا ريب أنك تمزح، أيها الرجل العزيز. فأنت تقول هذا لأنك لا تؤمن بي.

بوليتشوف : كان يمكن أن أومن بك لو جئتني رأساً من قبل الشياطين. ولكنه قد بلغك، بالطبع، أنني إنسان فظ، وأنني قاسٍ مع الناس، وأنني نهم أعبد المال ...

زوبونوفا : سمعتُ هذا، إلا أنني لا أصدق أنك ستبخل عن إعطائي شيئاً قليلاً من مالك العظيم.

بوليتشوف : إنني خاطئ كبير، يا عمتاه، والله لا يريد أن يفعل بي شيئاً. لقد نسي الله بيجور بوليتشوف. وهكذا، إذا لم تكوني صديقة للشياطين فيفضل أن تذهبي وتحضي مومسات البلدة. هذه هي تجارتك، ما؟

زوبونوفا : آه، إنها كلمات صادقة حقيقية إذن تلك التي تقول عنك إنك إنسان عدائي كثير التهجم؟

بوليتشوف : حسناً، أية أكاذيب كنت ستسردين الآن؟ اتركي ذلك جانباً!

زوبونوفا : ما تعلّمت الكذب قط. هيا خبرني ما تعاني من آلام،

وأين موضعها .

بوليتشوف : إنه بطني .. يؤلمني كثيراً .. ههنا بالضبط .

زوبونوفا : حسناً ، أنت ترى أن القضية كما يأتي ... لكن لا تفُهْ بنبسة واحدة مما سأقول ...

بوليتشوف : لن أقول . لا تخافي .

زوبونوفا : ثمة أمراض صفر وأمراض سود . والمرض الأصفر يمكن أن يشفيه حتى الطبيب ، أما المرض الأسود فيعجز الكاهن أو الراهب عن طرده ! والمرض الأسود يتأتى من قوى الشيطان ، وليس ثمة غير علاج واحد له ...

بوليتشوف : آه ؟ - قضية قتل أو شفاء ، ما ؟

زوبونوفا : إنه علاج ثمين جداً .

بوليتشوف : بالطبع . لقد خمّنت ذلك .

زوبونوفا : هذه القضية ينبغي للمرء فيها أن يتعامل مع الشرير .

بوليتشوف : مع إبليس نفسه ؟

زوبونوفا : حسناً ، ليس معه مباشرة ، وإنما ...

بوليتشوف : وهل تستطيعين ذلك ؟

زوبونوفا : لكن - إياك أن تتفوه بنبسة واحدة لأي شخص كان .

بوليتشوف : آه ، إذهبي من هنا بحق الجحيم !

زوبونوفا : تمهّل لحظة ...

بوليتشوف : طيري من هنا . وإلا ناولتك ...

زوبونوفا : أصغِ لي ...

جلافيرا (من الصالة) : لقد أمرك بالذهاب ، أفلم تسمعي ؟

زوبونوفا : مابالكم ، أيها الناس ؟

بوليتشوف : اطرحيها خارجاً !

جلافيرا : هيا من هنا ـ وتدّعين أنك ساحرة !

زوبونوفا : أنت الساحرة ! أنظري إلى سحنتك هذه .. آه ، أنت .. ألا فلتحرما أنتما الاثنين من النوم والراحة ! (تخرج المرأتان .)

بوليتشوف (يرنو حواليه ، ثم يتنهد تنهدة قصيرة) : نفو !

(الراهبة ميلانيا وكسينيا تدخلان .)

ميلانيا : أفلم ترق لك زوبونوفا ـ أفلم تناسبك ؟

(يحملق بوليتشوف في وجهها بصمت .)

كسينيا : إنها حادة المزاج ، هي الأخرى ! لقد امتدحوها كثيراً ، فتكبَّرت وتعجرفت .

بوليتشوف : ماقولك ، يا مالاشا ـ أأصيب الله مرة بألم في المعدة ؟

ميلانيا : لا تك أحمق ، أنت .

بوليتشوف : أنا واثق من أن المسيح قد أصيب كثيراً بآلام في معدته ـ فقد كان يعيش على الأسماك ..

ميلانيا : كفى هذا ، يا بيجور . أتحاول إغاظتي ؟

(تعود جلافيرا .)

جلافيرا : تريد زوبونوفا أن ندفع لها أتعابها .

بوليتشوف : أعطيها شيئاً ، يا أكسينيا ! اصفحي عني ، يامالاشا ، فأنا تعب مرهق ـ سأذهب إلى غرفتي . ليس ثمة ما يرهق قواك أكثر من التحدث إلى المجانين . والآن ، يا جلاكا ، ناوليني يدك ..

(كسينيا تخرج .)

(جلافيرا تقوده خارجاً . تعود كسينيا وتتطلّع إلى أختها مستفسرة.)

ميلانيا : إنه يتظاهر بالجنون . ذلك ادّعاء وتظاهر .

كسينيا : أتظنين ذلك ؟ أشكّ في هذا ..

ميلانيا : ذلك لا يهمّ فليسلِّ نفسه . وسينقلب هذا كله ضدّه في النهاية ، فيما إذا نُقضت وصيَّته في المحكمـــة ، فستكون تاييسا شاهدة ، وهنالك زو بونوفا أيضاً ، والأب بافلين ، وعازف البـوق ـ وأي عدد تشائين من الناس ! نستطيع أن نثبت أن الرجل لم يكن سليم العقل عندما كتب وصيته .

كسينيا : أوه ، لست أعرف في الحقيقة ماذا أفعل ..

ميلانيا : حسناً ، إني أعلمك ما تفعلين . هَه ، أنت .. لقد كنت في عجلة عظيمة من أمرك ، تريدين الزواج ! لقد أخبرتك أن تتزوجي باشكين .

كسينيا : كان هذا من زمن بعيد ! وكان يبجور مثل النسر ـ وأنت نفسك قد حسدتني .

ميلانيا : أنا ؟ هل جننتِ ، يا امرأة ؟

كسينيا : آه ، حسناً ، ما الفائدة من تبادل التهم الآن ؟ .

ميلانيا : فلتغمرنا الرحمة ! تقول إنني حسدتها ! أنا ؟

كسينيا : وماذا عن بروكوفي ؟ أظن أنه ينبغي ألا ندخله ؟

ميلانيا : ولم لا ؟ لقد بعثنا في طلبـه ، وقـد اتفقنا على ذلك ـ ثمّ على حين فجأة ـ أنت لا تريدينه ! لا تتدخلي في الأمر . إذهبي ودعيه يتهيأ ، ثم عودي به إلى هنا . تاييسا ! (تدخل تاييسا من الصالة .) حسناً ؟

تاييسا : لم أكتشف شيئاً . (تغادر كسينيا الغرفة .)

ميلانيا : لماذا ؟

تاييسا : لقد رفضت أن تقول شيئاً .

ميلانيا : ماذا تعنين ، لقد رفضت أن تقول شيئاً ؟ يجب أن تنتزعي ذلك منها .

تاييسا : لقد حاولت ، فهمهمت كالقطة ـ وجعلت تشتم الجميع .

ميلانيا : ماذا قالت ؟

تاييسا : نعتتهم جميعاً بالغشاشين اللصوص .

ميلانيا : لماذا ؟

تاييسا : لقد قالت إنك إنما تريدين أن تدفعي بالرجل إلى الجنون .

ميلانيا : أقالت ذلك لك ؟

تاييسا : كلا ، بل قالته ابروبوتي المبجّل .

ميلانيا : وماذا قال ؟

تاييسا : لقد جلس هنالك ، يثرثر بأشياء مضحكة ..

ميلانيا : أشياء مضحكة ؟ أيتها الحمقاء ، أنت ! لقد كان الرجل المقدس يتنبأ ، أيتها المجنونة ! إجلسي في الصالة وإياك والحركة من هناك.. أكان أحد آخر في المطهى ؟

تاييسا : كان موكي هناك ..

ميلانيا : حسناً ، إذهبي الآن .. (تمضي إلى باب غرفة بوليتشوف وتقرعه) ييجوري ، المبجّل بروكوفي هنا .

(كسينيا وباشكين تقودان المبجّل بروبوتي إلى الغرفة . يلبس صندلاً من ليف النبات ، وقميصاً طويلاً من الكتان الأسمر يصل حتى رسغيه ، ومجموعة من الصلبان النحاسية المختلفة وبعض

الايقونات تتدلى على صدره . مظهره مهيب نوعاً ما : فشعره كثيف متلبّد ، ولحيته طويلة ، ضيقة عارية ، وحركاته تشنجية مهتزة .)

بروبوتي : آه ، يالرائحة التبغ الحادة ! لسوف تخنق أنفاسكم ..

كسينيا : ليس من يدخن هنا ، يا أبتاه ..

(بروبوتي يقلّد صفير ريح الشتاء .)

ميلانيا : رويدك ، انتظر حتى يجيء ..

بوليتشوف (يخرج من غرفته تقوده جلافيرا) : أنظري إليه .. إذن ، هذا هو هنا !

بروبوتي : لاتخف ! لا خوف عليك ! (يقلد صفير الريح .) كل شيء رماد ، كل شيء سيمر وينتهي ! لقد تسلق جريشا السلّم ، تسلقه ومن ثم وقع ، فجرّه لوسيفر بعيداً .

بوليتشوف : إنه يعني راسبوتين ، فيما أعتقد !

بروبوتي : لقد خلع القيصر عن العرش ، والمملكة تفنى ، لأن الخطيئة والموت والحماقة النتنة تسود الآن ! أو - وه ! الريح تنبح ، والعاصفة تزمجر . (يقلّد صفير الريح ، يشير إلى جلافيرا بعصاه.) إن الشيطان يقف إلى جانبك بشكل امرأة ، فاطردها !

بوليتشوف : سأطردك أنت ! لا تدع لسانك يتهوّر بك . أفلست أنتِ ، يا ميلانيا ، من علّمه هذا ؟

ميلانيا : وماذا ستقول بعد ذلك ؟ أيمكن أن يلقّن المجنون شيئاً ؟

بوليتشوف : يبدو أن ذلك ممكن ..

(تهرع شورا هابطة السلّم تتبعها أنطونينا وتياتين . ومن ثم يهبط آل زفونتسوف ودوستيجاييف . بروبوتي يرسم إشارات على الأرض

وفي الهواء بعصاه، دون أن يتفوه بحرف. ومن ثم ينتصب متفكراً وقد حنى رأسه .)

شورا (تهرع إلى والدها) : ما هذا الذي يجري ؟ أية مسرحية هذه ؟

ميلانيا : أمسكي لسانك !

بروبوتي (وكأنه يتكلم بصعوبة) : لا نوم للهراطقة ، والساعة تتابع سيرها ، تيك ، تيك توك ! لكن الله أراد .. فأنا أحمق منقاد .. وأكثر الأنام .. داسوني بالأقدام .. آي ، آي ! وصوّت الشيطان ، فردّ ملك الجان ، بصوت يصمّ الآذان ! وانتصف الليل ، وصاح الديك ، كوكو ـ كوكَ ... و ! ... تيـــك ، توك ، توك ـ تيك ... هذه هي نهاية الهراطيك !

بوليتشوف : لا بأس ! لقد علموك وأحسنوا تعليمك ..

ميلانيا : لا تقاطعه ، يا بيجور ، لا تقاطعه !

بروبوتي : ماذا ينبغي أن نفعل ! ماذا نقول للناس ؟

أنطونينا (بأسف) : أوه ، ولكنه غير مخيف على الاطلاق !

بروبوتي : لقد قتلوا قملة وقبروها .. لكن ، ربما يجب أن نرقص ؟ تعالوا إذن ولنرقص ، وليضجّ صوت المسرّات ! (يضرب الأرض بقدميه ويهمهم بلطف بادىء الأمر ، ثم بصوت عالٍ وهـــو يقفز .) أستاروث ، ساباتان ، أسكافات ، إيـدوميز ، نفرويز ... إن لم تستطع فقـد انتهيت ، كاراتيلي ـ برْ ، برْ ، إضرب رأسك على القبر ! هـاي ... بفْ ، بفْ ـ ماذا تهفّ ؟ هوكي بوكي ، أرضي شوكي ! إبليس يلعب بفريسته ، أوه إي ! إنه يذهب إلى الأمام ، في الأرض وحيداً بين الأنام . وأطبقت عليه زاخاناما

الساحرة ، وأخذته على ظهرها ، تلك العاهرة . هو لا يستطيع أن يفر من الخطيئة ومن العهر . ومن الواضح أن ييجورو قد ولد من أجل العذاب والألم .

شورا (صارخة) : أوه ! خذوه من هنا !

بوايتشوف : إذن فأنت تريد إخافتي ، لعنة الله عليك !

زفونتسوف : يجب أن يوضع حدٌ لهذا المشهد المقرف ..

(تركض جلافيرا صوب بروبوتي ، فيلوّح ، دون أن يتوقف عن الدوران ، بعصاته في وجهها .)

بروبوتي : هيك ، هوك ، هاك ، أيها الشرير أدِر وجهك !

(تياتين يختطف العصا من بروبوتي .)

ميلانيا : ماذا تفعل ؟ من تظنّ نفسك ؟

شورا : أبتاه ، اطردهم جميعاً من هنا .. فيمَ تجلس ولا تنطق بحرف ؟

بوايتشوف (بحركة ضجرة) : انتظري .. انتظري .

(يجلس بروبوتي على الأرض ، يزعق ويصيح .)

ميلانيا : إياك أن تمسّه ! إنه في غيبوبة ، في إشراق روحي !

دوستيجاييف: يجب أن ينالها صفعة رنانة على عنقه ، أيتهـــا الأم ميلانيا ، لأنه يستغرق في مثل هذه الاشراقات الروحية .

زفونتسوف : إنهض ! واخرج من هنا ـ الآن ، وأسرع !

بروبوتي : إيه .. أين ؟ (يقلّد صوت الريح النابحة .)

(كسينيا تبكي .)

إيليزافيتا : لم يفعل ذلك حسناً .. لقد رنّ وقعه كغناء مضطرب !

بوايتشوف : أخرجوا من هنا ، جميعكم .. لقد تثاءبتم ماطاب لكم ههنا ..

شورا (تضرب الأرض بقدمها أمام نصف المجنون) : أخرج من هنا ، أيها الوحش ! ستيوبا ، إرمه خارجاً !

تياتين (يمسك بروبوتي من مؤخرة عنقه) . تعال معي ، أيها الرجل القديس ، هيا انهض . (يخرجان .)

تاييسا : لم يكن مخيفاً اليوم . إنه أشدّ هولاً من هذا بكثير ـ لو شرب قطرة من الفودكا ..

ميلانيا : من طلب إليك الحديث ؟ (تصرب الفتاة على وجهها .)

زفونتسوف : يجب أن تخجلي من نفسك !

ميلانيا : ماذا ؟ أمامك أنت ؟

فارفارا : هدئي روعك ، يا عمتي ..

كسينيا : يا للسماوات ! .. يا للرحمة الغفور ! ..

(شورا وجلافيرا تجلسان بوليتشوف على الأريكة ، بينا يقف دوستيجاييف يرمقه ملياً . آل زفونتسوف يقودان كسينيا والراهبة ميلانيا إلى الخارج .)

دوستيجاييف (إلى زوجته) : فلنذهب إلى البيت ، ياليزا ، فلنمض إلى البيت . فبوليتشوف مضطرب المزاج كثيراً . وهناك المظاهرة .. يجب أن ننضمّ إليها .

إيليزافيتا : أفلم تكن طريقة تقليده المريح رائعة ؟ لم أك أتصوّر ذلك ..

بوليتشوف (إلى شورا) : هذا كلّه من صنع الراهبة ..

شورا : أتشعر بانزعاج ؟

بوليتشوف : هي .. نوع من الخدمة الجنائزية .. على إنسان حي ..

شورا : قل لي .. أتشعر بانحطاط ؟ أأرسل وراء الطبيب ؟

بوليتشوف : كلا ، لا حاجة لذلك . لقد قال ذلك هو نفسه ـ ذلك المهرج ـ حين تكلم عن الحكمة : هل سمعته ؟ « لكن الله أراد .. وأنا أحمق منقاد . »

شورا : يجب أن تنسى هذا كله ..

بوليتشوف : اسوف ننساه ، بكل تأكيد ! إذهبي وانظري ماذا يفعلون .. أنظري كيلا يصيبوا جلافيرا بأذية أو ضرر .. ماهذا الغناء في الشارع ؟

شورا : يجب ألا تنهض !

بوليتشوف : لسوف تتلاشى ـ المملكة التي كل شيء فيها قذر دنس .. لا أستطيع أن أرى شيئاً .. (ينهض ، ويستند إلى الطاولة بيده الواحدة ، ويحكّ عينيه .) « فليأتِ ملكوتك ! » .. أي ملكوت ؟ يا للحيوانات ! ملكوت .. « أبانا الذي .. » كلا .. ليس هذا بحسنٍ . أي صنفٍ من الآباء أنت بالنسبة إليّ ، إذا كنت قد حكمت عليّ بالموت ؟ ولماذا ؟ الجميع يموتون ؟ لكن لماذا ؟ حسناً ، فليموتوا ـ لكن لِمَ أموت أنا ؟ (يترنّح) حسناً ؟ ما هذا ، يا ييجور ؟ (يصيح بصوت أجش .) شورا .. جلاكا .. الطبيب ! هِيْ ، أين أنتم ، أيها الشياطين ! ييجور ... بوليتشوف .. ييجور !

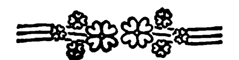
(شورا ، جلافيرا ، تياتين ، وتاييسا يسرعون إلى بوليتشوف الذي يتمايل ويترنح ، ثم يسقط قبل أن يصلوا إليه . الغناء في الشارع يزداد علواً ووضوحاً . جلافيرا وتياتين يسندان بوليتشوف . شورا تهرول إلى النافذة وتفتحها . الغناء ينفجر في الغرفة .)

بوليتشوف : ما هذا ؟ الخدمة الجنائزية ـ من جديد ـ تطرحني خارج العالم !
شورا ! من هذا ؟

شورا : تعال هنا ، تعال والقِ نظرة !

بوليتشوف : آه ، شورا ..

(ستـــار)



سلسلة عيون الأدب العالمي

١ ـ الأم . . مكسيم جوركي

٢ ـ المؤلفات الكاملة . . أنطون تشيخوف

٣ ـ تولستوي . . ستيفان زفايج

٤ ـ روائع من الأدب الالماني

٥ ـ نيتوتشكا . . فيدور دستويفسكي

٦ ـ قوي كالموت . . جي ده موباسان

٧ ـ الاخوة كرامازوف...
فيدور دستويفسكي

٨ ـ الساقطون . . مكسيم جوركي

٩ ـ عقل وعاطفة .. جين أوستن

١٠ ـ بين جوركي وتشيخوف .. مراسلات

١١ ـ إبنة الضابط .. ألكسندر بوشكين

١٢ ـ حياة صاخبة .. جي ده موباسان

١٣ ـ حب وحرب .. رومان رولان

١٤ ـ الجريمة والعقاب .. فيدور دستويفسكي

١٥ ـ بين الناس .. مكسيم جوركي

١٦ ـ الساعة الخامسة والعشرون ..
كونستانتان جيورجيو

١٧ ـ النفوس الميتة .. نيقولاس جوجول

١٨ ـ مرتفعات ويذرنج . أميلي برونتي

١٩ ـ روائع من الأدب السوفييتي

٢٠ ـ الحرب والسلم .. ليو تولستوي

٢١ ـ سقوط باريس .. إيليا إهرنبورغ

٢٢ ـ العاصفة .. إيليا إهرنبورغ

٢٣ ـ الاعماق .. مكسيم جوركي

٢٤ ـ ذكريات بيت الموتى بنت دستويفسكي

٢٥ ـ الفتاة والموت ..مكسيم جوركي

٢٦ ـ ابن الله .. مكسيم جوركي

٢٧ ـ المنتصرون ابداً .. هوارد فاست

٢٨ ـ الجلد المسحور .. بلزاك

٢٩ ـ حياتي ... ازادورا دنكان

٣٠ ـ حياة كليم سامغوين مكسيم جوركي

سلسلة عيون التاريخ العالمي

١ ـ مفكر والثورة الالمانية ادمون فرمي

٢ ـ اثر التسلح في التاريخ الجنرال فوللر

٣ ـ القادة السوفييت الجنرال كالينوف

٤ ـ الحرب العالمية الثالثة سنوات المصير ١٩٤١ ـ ١٩٤٣

٥ ـ ثورة العراق ضد بريطانيا

٦ ـ اعمدة الحكمة السبعة ت الكولونيل لورنس

٧ ـ القيادة الالمانية العامة في الحرب العالمية الثانية

٨ ـ حرب صليبية في اوربا الجنرال أيزنهاور

٩ ـ تاريخ الثورة الروسية

١٠ ـ خطب هتلر ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩

١١ ـ مذكراتي في الجزيرة العربية عبد الله فلبي

١٢ ـ روميل في الصحراء الغربية الجنرال مونتغمري

سلسلة المختار من الأدب العالمي

١ ـ ستة وعشرون رجلا وفتاة .. مكسيم جوركي

٢ ـ بتهوفن رومان رولان

٣ ـ في سبيل السلام

٤ ـ صديقان جورج دو هاميل

٥ ـ المتمردون بوريس جورباتوف

٦ ـ اتالا شاتوبريان

٧ ـ العشيقة المزيفة اونوريه ده بلزاك

٨ ـ جندي الرايخ ادون هورفان

٩ ـ الزوج الكامل اوسكار وايلد

١٠ ـ صورة بجماليون ج برنارد شو

١١ ـ عدو الاخلاق اندريه جيد

١٢ ـ اندروكليس والاسد ج برنارد شو